المملكة العـربيـة السعـوديـة
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



آراء أبي جعفر النحاس الاعتقادية

(عرض ودراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعـــداد

حسن بن موسى آل مناع العسيري

إشـــراف

فضيلة الشيخ الدكتور/ عبدالكريم بن محمد الحميدي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي
١٤٣٠/١٤٣١هـ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله M 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L[١] M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 : ; < = > L[٢] M u v w x y z { | L[٣][٤] أما بعد:-

فإن من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل لهم الرسل،وأنزل معهم الكتب،حتى تقوم حجة الله تعالى على خلقه وحتى تتبين لهم أحكام دينهم كما قال تعالى: M N O P Q R S T U V W X Z [\ ] L[٥]، وإن الله تعالى قد ختم الرسل بنبينا محمد r،وأنزل عليه هذا الكتاب العظيم منة منه سبحانه بعباده،ورحمة بهم، كما قال تعالى: M ´ µ ¶ ¸ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠.

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي r يعلمها لأصحابه،وقد رويت عن عدد من أصحاب رسول الله r،وقد أخرجها الإمام أحمد في مسنده(٦/٢٦٢) برقم(٣٧٢٠)،وأبو داود(٢/٢٠٣)(كتاب النكاح،باب في خطبة النكاح)برقم٢١٢٠،والنسائي(٣/١٠٤) (كتاب الجمعة،باب كيفية الخطبة) برقم١٤٠٤وغيرهم،وقد استوعب طرق الحديث الألباني رحمه الله في كتابه(خطبة الحاجة) وحكم عليه بالصحة.

(٥) النساء: ١٦٥.

قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٖ مُّبِينٍ L[١]، ولقد أخذ صحابة رسول الله ^ من بعده بالعمل به، وبيان معانيه، ثم جاء بعدهم التابعون فعملوا بهذا الكتاب وعقلوا عن الله مراده،ثم تتابع أهل العلم على التأليف فيما يخدم هذا الكتاب العزيز؛فمن مؤلف في تفسيره وبيان معانيه، ومن مؤلف في القراءات الواردة فيه،ومن مؤلف في أنواع مختلفة من علومه ومن بين هؤلاء العلماء الذين وفقوا لخدمة هذا الكتاب العزيز والعناية به: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٢٦٠-٣٣٨هـ)، فقد ألف في خدمة القرآن مؤلفات عديدة[٢]؛ ولقد اعتنى أهل العلم من بعده بكتبه وانتفعوا بها[٣]، ولما رأيته قد تطرق في كتبه المطبوعة لعامة أبواب العقيدة؛ أحببت أن أعرض آراءه الاعتقادية في بحث مستقل لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة التابع لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك بعنوان:**(آراء أبي جعفر النحاس الاعتقادية -عرض ودراسة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة-)** وذلك لمعرفة الآراء والمسائل التي وافق فيها أهل السنة والجماعة فيستفاد منها والآراء التي خالف فيها فتتم دراستها وتقويمها .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: -

١ - مكانة أبي جعفر النحاس العلمية، ولكونه رحمه الله تعالى من العلماء المتقدمين فقدتوفي سنةثمان وثلاثين وثلاثمائة،وهو من المعظمين للآثار في الجملة.

٢ - عناية أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالرد على بعض أهل الأهواء والبدع، والتي يجدر جمعها وإبرازها .

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) منها أربعة مؤلفات تعد بحق من أجود ما ألف في موضوعها وهي "إعراب القرآن" و"معاني القرآن" و"الناسخ والمنسوخ" و"القطع والائتناف".

(٣) ممن أفاد من كتب أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى :السمعاني في تفسيره،والقرطبي في تفسيره،فقد أحصيت للقرطبي رحمه الله مئات المواضع التي نقل فيها عن أبي جعفر النحاس رحمهم الله تعالى.

٣ - تقريره لبعض الآراء التي خالف فيها عقيدة السلف الصالح، مما يستدعي ضرورة عرضها ودراستها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

هدف البحث:

جمع آراء أبي جعفر النحاس الاعتقادية ودراستها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

الدراسات السابقة:

تبين لي بعد البحث أن ما سجل من رسائل وألف من كتب مما يتعلق بأبي جعفر بن النحاس ينقسم إلى قسمين: -

أولاً: رسائل متخصصة فيما يتعلق بالتفسيروالنحو والبلاغة،وهذه الرسائل يظهرمن عناوينها أنها لم تتطرق لبيان عقيدته(١).

القسم الثاني: -

رسائل تطرقت لبيان شيء مختصر عن عقيدة أبي جعفر النحاس، ومنها: -

---

(١) من أمثلتها:

١ - رسالة(جهود أبي جعفر النحاس اللغوية في كتابه معاني القرآن) للباحث: علي عبد الله الراجحي وهي رسالة "ماجستير" مقدمة لكلية اللغة العربية قسم النحو والصرف وفقه اللغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولم يعرج في بحثه على مسائل الاعتقاد.

٢ - رسالة (إعراب القرآن بين النحاس ومكي وابن الأنباري للباحث: عبد العزيز بن ناصر السبر)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير بكلية أصول الدين ولم يعرض في رسالته لبيان عقيدة المؤلف.

٣- رسالة (أبوجعفر النحاس وأثره في الدراسات النحوية للباحثة: وهبة متولي عمرسالمة)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ولم تذكر في رسالتها شيئا يتعلق بعقيدة النحاس.

٤- رسالة(مسائل الخلاف النحوية والتصريفية بين النحاس والفراء في كتابيهما "إعراب القرآن ومعاني القرآن) وهي رسالة ماجستير أعدها الباحث: إبراهيم المحيميد لكلية اللغة العربية قسم النحو والصرف وفقة اللغة، ولم يعرض في رسالتة لشيء من عقيدة النحاس.

١ - رسالة (مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري) وهي رسالة مقدمة لنيل درجة "الدكتوراه" بالجامعة الإسلامية للباحث: محمد الشيخ عليو محمد، وقد تطرق فيها للحديث عن عقيدة أبي جعفر ابن النحاس في مطلبين. ذكر في المطلب الأول عقيدته في الأسماء والصفات، وأورد فيه بعض الصفات.

وفي المطلب الثاني: (عرض جملة من تقريراته في أبواب من الاعتقاد) تطرق فيه للتالي: -

أولا: تعريف الإيمان، وزيادته ونقصانه .

ثانيا: عصمة الأنبياء .

ثالثا: الرد على من أول الصور بالصور .

رابعا: الرد على الرافضة[1] في الخلافة .

خامسا: إثبات عذاب القبر ونعيمه .

وبما سبق بيانه مما عرض له الباحث يتبين ما يلي:

أولا: لم يتطرق الباحث في رسالته إلا لتوحيد الأسماء والصفات، ولم يعرج على توحيد الربوبية، أو الألوهية، أو مما يضاد توحيد الألوهية .

ثانيا:لم يعرج الباحث في المطلب الأول على ذكر تقرير أبي جعفر النحاس لأسماء الله تعالى، فلم يذكر أي مثال لذلك .

ثالثاً: اختار الباحث بعضا من الصفات وعرضها، وبقيت صفات كثيرة لم يتطرق لها.

ولكن يعتذر عن الباحث أنه قد نص في بدء كلامه عن عقيدة ابن النحاس (أن المادة العلمية الواردة عن أبي جعفر ابن النحاس في أبواب العقيدة لايمكن استيفاؤها في

---

(١) طائفة من غلاة الشيعة،سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي لما تولى الشيخين،ويطلق عليهم الإمامية،ولهم أصول ينطلقون منها ،وهم فرق متعددة.انظر:فرق الشيعة للنوبختي،الفصل في الملل والنحل(٥/ ٣٥) التبصير في الدين (١/ ٤١).

مطلبين بل في رسالة علمية)[١] .

٢- تطرق بعض الباحثين ممن كتب حول أبي جعفر النحاس لبيان شيء من عقيدته، وذلك في بضعة أسطر[٢] .

---

(١) انظر:مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري للباحث:محمد الشيخ عليو (ص٣٧٠) ط. المنهاج ١٤٢٧هـ.

(٢) من أمثلة تلك الرسائل : رسالة:ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة للباحث/زيد بن علي مهارش،وهي رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى،وقد عرض فيها لشيء يسير من عقيدة النحاس(ص٣١-٥٨)ود. سليمان اللاحم في مقدمة تحقيقه للناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس(١/٣٤-٣٥)، وذكرالشيخ:علي العمران في رسالته(أبو جعفر النحاس وأثره في علوم الحديث)بأن له أثرا ملموسا في الانتصار لأقوال السلف وأهل الحديث والسنة(ص٦٠)،وانظر:اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر إلى نهاية سورة النمل، للباحث/عبدالهادي بن علي الزهراني،وهي رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى،وقد عرض فيها لشيء يسير من عقيدة النحاس (ص٥٠-٦٠).

- خطة البحث:

تضمنت خطة البحث: مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وفهارس .

المقدمة: وتشتمل على ما يلي:-

أولا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

ثانيا: هدف البحث .

ثالثا: الدراسات السابقة .

رابعا: خطة البحث .

خامسا: منهج البحث .

التمهيد: ويتضمن ما يلي:

أولا:ترجمة موجزة لأبي جعفر النحاس .

ثانيا: منهج أبي جعفر النحاس في العقيدة .

الفصل الأول: آراء أبي جعفر النحاس في توحيد الربوبية والألوهية وما يضادها، وفيه ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: آراؤه في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الربوبية .

المطلب الثاني: أدلة الربوبية .

المطلب الثالث: حكم أطفال المشركين .

المبحث الثاني:آراؤه في توحيد الألوهية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الألوهية.

المطلب الثاني: فضل كلمة التوحيد .

المطلب الثالث: معنى العبادة وشروطها.

المطلب الرابع: أنواع العبادة .

المبحث الثالث: آراؤه فيما يضاد توحيد الألوهية، وفيه أربعة مطالب:

الفصل السادس: جهود أبي جعفر النحاس المتعلقة بالرد على اليهود والنصارى، والفرق المخالفة، وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: جهوده في الرد على اليهود والنصارى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرد على اليهود .

المطلب الثاني: الرد على النصارى .

المبحث الثاني: جهوده في الرد على الفرق المخالفة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرد على الرافضة.

المطلب الثاني: الرد على الخوارج

المطلب الثالث: الرد على المرجئة. .

المطلب الرابع: الرد على القدرية .

المطلب الخامس: الرد على المعتزلة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج .

الفهارس:

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام المترجم لهم .
- فهرس الفرق والطوائف .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

• منهج البحث:

سأتبع بإذن الله تعالى المنهج الاستقرائي، وكذا التحليلي النقدي، وذلك بمراعاة ما يلي: -

* استقراء المسائل العقدية التي ذكرها أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى وجمعها من مواضعها وذلك في عامة كتبه، ثم ترتيبها على أبواب العقيدة، وفق خطة البحث .

*دراسة تلك المسائل بذكر رأي أبي جعفر النحاس في المسألة؛ فإن كانت موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة بينت مايدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف، وإن كانت مخالفة فأبين عقيدة أهل السنة والجماعة في المسألة مع مناقشة أبي جعفر النحاس في ما خالف فيه .

* فيما يتعلق بخدمة النص وتوثيقه فعلى النحو التالي: -

أ- عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله جل وعلا؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية.

ب- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث. وإن كان في غيرهما قمت بتخريج الحديث من كتب السنة مع نقل أقوال أهل العلم في بيان درجته .

ج -الترجمة للأعلام غير المشهورين .

د- التعريف بالفرق، والأماكن، وشرح الغريب من الألفاظ .

هـ- توثيق المادة العلمية من مصادرها الأصلية حسب طرائق البحث المتبعة .

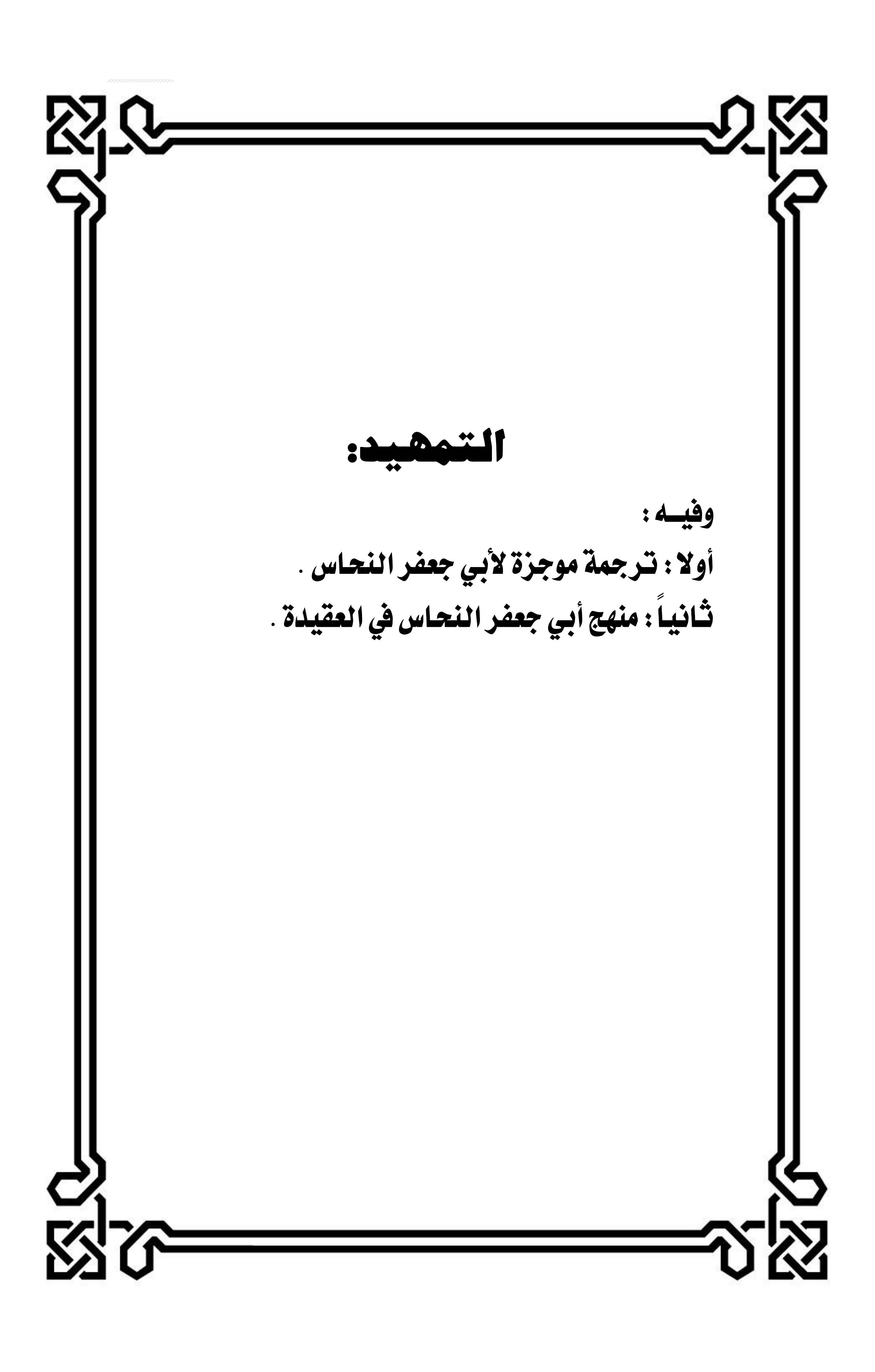
و- عمل الفهارس اللازمة.

وبعد: فإني أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات على ما أنعم به من إتمام هذا البحث وإكماله،ثم إني أشكر بعد شكر الله تعالى لوالدي الكريمين على حسن تربيتهما ورعايتهما ،كما لا أنسى أن أشكر المشرف على هذه الرسالة فضيلة الشيخ

الدكتور:عبدالكريم بن محمد الحميدي الذي أفدت كثيرا من توجيهاته،مع تواضع وخلق رفيع، والشكر موصول لمن تفضل بقراءة هذه الرسالة وتقويمها وهما فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:يوسف بن محمد السعيد أستاذ الدراسات العليا بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،وفضيلة الشيخ الدكتور:عبدالله بن محمد السند رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة،فجزاهما الله تعالى عني خير الجزاء وأوفاه ،والشكر موصول لكل من ساندني في بحثي[١] ، والله أسأل أن يجعل ما قمت به من عمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح الذي يرضيه والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أفدت من رسالة الباحث الشيخ محمد بن عبدالعزيز الشايع الموسومة ب"آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية –عرض وتقويم-"في أكثر من موطن ، وكذا رسالة د.محمد عليو والتي هي بعنوان"مناهج اللغويين في تقرير العقيدة" .



التمهيد:

وفيـه :

أولا : تـرجمة موجزة لأبي جعفر النحاس .

ثـانياً : منهج أبي جعفر النحاس في العقيدة .

أولا: ترجمة موجزة لأبي جعفر النحاس: -

١ - الحياة السياسية في عصر أبي جعفر النحاس: -

عاش أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري - أي: في العصر العباسي الثاني - وقد كان هذا العصر من أوله بداية الضعف في مركز الخلافة العباسية في بغداد واستبداد المماليك الأتراك بمقاليد الحكم واجتراء أمراء الأطراف على الاستقلال مع تفشي الفوضى والاضطرابات والفتن والثورات المتلاحقة في الداخل والطمع في الدولة الإسلامية وشن الهجمات عليها من الخارج .

ولقد كان من أشد هذه الثورات وأنكاها على العالم الإسلامي ثورات الزنج وثورات القرامطة، ففي سنة (٢٥٥ هـ) ظهرت ثورة الزنج، وقد ذكر المؤرخون ممن كتب في أحداث هذه السنة: (وفيها فتنة الزنج، وخروج قائد الزنج العلوي بالبصرة؛ خرج وعسكر، وانتسب إلى زيد بن علي، وزعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي، وهذا نسب لم يصح. وكان مبدأ ظهوره في هذه السنة، فبادر إلى دعوته عبيد أهل البصرة السودان ومن ثم قيل الزنج والتف إليه كل صاحب فتنة حتى استفحل أمره وهزم جيوش الخليفة واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل وامتدت أيامه إلى أن قتل في سنة سبعين ومائتين)[1].

أما ثورة القرامطة التي كانت أشد وأقسى على الأمة الإسلامية من ثورات الزنج فقد كانت بداية ظهورهم سنة (٢٧٨هـ) في سواد الكوفة واستمرت ثوراتهم وهجماتهم على البلاد الإسلامية أكثر من أربعين سنة ولقد عمت ثوراتهم أكثر البلاد

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي(١٩ / ١٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي(٢/١٢٨)ط.دار الكتب العلمية.

الإسلامية، وكانوا إذا دخلوا قرية عاثوا فيها فسادا وقتلوا عامة أهلها، ونهبوا الأموال؛ بل إن أمرهم استفحل فأخذوا يعترضون حجاج بيت الله الحرام وينهبون أموالهم ويقتلونهم ويأسرون بعضهم، وتفاقم أمرهم وتعاظم سنة (٣١٧هـ) حينما قتل عدو الله أبو طاهر القرمطي الحجاج قتلا ذريعا في فجاج مكة، وداخل البيت الحرام، وعرَّى البيت، وخلع بابه، واقتلع الحجر الأسود وأخذه، وطرح القتلى في بئر زمزم، ثم عاد إلى هجر ومعه الحجر الأسود، واستمرت ثورات القرامطة إلى أن مات زعيمهم أبو طاهر سنة (٣٢٢هـ) وضعف أمرهم واضطروا إلى الدخول في طاعة الخلافة العباسية ورد الحجر الأسود إلى مكانه سنة (٣٣٩هـ) .

وقد صاحب ثورات الزنوج والقرامطة إغارات الأعراب وقطاع الطريق على بعض نواحي البلاد الإسلامية وعلى الحجاج وقيامهم بالنهب والسلب والقتل وسبي النساء .

هذا هو الوضع بالنسبة للحالة السياسية العامة في أنحاء بلاد المسلمين، وأما الحالة السياسية في مصر خاصة موطن أبي جعفر النحاس فهي أحسن من بقية أنحاء العالم الإسلامي نظرا لقوة السلطة التي حكمت مصر في هذه الفترة [١].

٢ - الحالة العلمية: -

يعد القرن الثالث الهجري والذي أدرك بعضه أبو جعفر النحاس وأوائل القرن الرابع الهجري من أزهى العصور في التأليف والنهضة العلمية، في التفسير وعلوم القرآن وفي الحديث وعلومه والفقه وأصوله واللغة وعلومها وغير ذلك.

ولقد زاد من هذا النشاط -بعد أن ضعف مركز الخلافة العباسية في بغداد-

---

(١) انظر:"تاريخ الطبري"(٩/ ٤١٠ومابعدها) ت: أبو الفضل إبراهيم ط. ١٣٨٧هـ، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغر بردي" (٣/ ٣١-٢٠٠)ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومي –مصر١٣٨٣هـ، "البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي"(١١/ ١٨-٤٤)ط. مكتبة المعارف – بيروت ١٣٨٦هـ، "العصر العباسي الثاني د. شوقي ضيف"(ص٩ ومابعدها) ط. المعارف –مصر-الطبعة الثانية، "الدولة العباسية لمحمد بك"(٥٨٤-٥٨٥)، ط. المكتبة التجارية بمصر ١٣٩٠هـ .

استقلال بعض الدول عن الخلافة العباسية، مما سبب التنافس بين الولاة على تشجيع العلماء والأدباء .

كما أن للمناظرات التي يعقدها العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء ونحوهم الأثر الكبير في تشجيع هذا النشاط .

ولقد خرجت هذه الفترة كثيرا من الأئمة الأعلام الذين كان لهم في حياتهم أعظم الأثر على الحياة والعلمية، ولهم اليد الطولى فيما خلفوه من ثروة علمية كبيرة، زخرت بها المكتبة الإسلامية وورثتها الأجيال عنهم .

وفي تلك الفترة التي عاش فيها (أبو جعفر النحاس) كانت مصر تتنافس مع بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك، لا سيما بعد أن وفد إليها نخبة من العلماء الأفذاذ، فأصبحت مصر في (النصف الثاني من القرن الثالث الهجري) موئل أهل العلم بعد أن ظهر فيها العلماء ونبغ فيها المحدثون والفقهاء من أمثال الإمام الطحاوي الذي قال عنه الذهبي رحمه الله: (هو الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة المصري الطحاوي الحنفي صاحب التصانيف الشهيرة. .)[١] وأمثاله من أهل الفضل والعلم كثيرون، وأمَّها طلاب العلم من شتى الديار والأقطار .[٢]

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥ / ٢٧).

(٢) انظر: "تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي د. حسن بن إبراهيم"(٣/٣٣٢)ط:مكتبة النهضة المصرية، السابعة١٣٨٥هـ، "العصر العباسي الثاني"(ص١٢٢)، "تاريخ اللغة العربية في مصر د. أحمد مختار عمر"(٦٦-٦٧) ط. ١٣٩٠هـ، مقدمة تحقيق "معاني القرآن لأبي جعفر النحاس" لمحققه:محمد بن علي الصابوني (١/١٠-٢٥)ط. جامعة أم القرى١٤٠٩هـ، مقدمة تحقيق "الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس للدكتور. سليمان اللاحم(١/٢٧-٣١)ط. الرسالة١٤١٢هـ .

٣ - نسبه ولقبه[(١)]:-

هو: أبو جعفر (أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي) المفسر المصري النحوي المعروف بالنحاس أو بابن النحاس ويعرف أيضا بالصفار ولكن لقب (النحاس) هو الأشهر الذي عرف به نسبة إلى من يصنع أواني النحاس، ويظهر أن

---

(١) ينظر في ترجمته:

-" وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان"(١ / ٩٩) ت:إحسان عباس ط. دار صادر- الأولى١٣٩١هـ

-"سير أعلام النبلاء للذهبي" (١٥ / ٤٠١) ت:مجموعة من العلماء ط. الرسالة١٤٠٩هـ .

-"الوافي بالوفيات(٧ / ٢٣٧) تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى " .

-"إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلي بن يوسف القفطي" (١٠١/١)ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار الكتب العلمية–الأولى ١٣٦٩هـ.

- "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرةللسيوطي" (١ / ٣٠٦)ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار إحياء الكتب العربية –الأولى١٣٨٧هـ.

- "نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري" (٢١٧)ت:إبراهيم السامرائي ط. مكتبة الأندلس ببغداد-الثانية ١٣٩٠هـ.

-" البداية والنهاية لابن كثير" (١١ / ٢٢٢)ط. مكتبة المعارف ببيروت-الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

- "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي" (١ / ٣٦٢)ت: محمد أبو الفضل إبراهيم –ط. عيسى الحلبي - الأولى١٣٨٧هـ .

-" طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي" (ص٢٢٠)ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دارالمعارف بمصر١٣٩٢هـ.

- "إعراب القرآن للنحاس تحقيق زهير زاهد" (١ / ١١)ط. عالم الكتب-الأولى١٤٢٦هـ .

- "الأنساب للسمعاني" (١٣ / ٤٤)

-"طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي(ص٧٢) "ت: سليمان بن صالح الخزي ط : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة-الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

-"شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبدالحي بن أحمد الحنبلي"(٣٤٣/٢) .

- مقدمة تحقيق "الناسخ والمنسوخ" للدكتور سليمان اللاحم(١/٢٧-٣١)"

- مقدمة تحقيق "معاني القرآن لأبي جعفر النحاس"لمحمد الصابوني(١/١٠-٢٥)

أجداده كانوا يشتغلون بهذه الصنعة .

ولد أبو جعفر النحاس رحمه الله في مصر، ولم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده تحديدا، لكن رجح بعضهم أن ولادته كانت قرابة سنة ستين ومائتين، وذلك أن بعض شيوخ أبي جعفر النحاس كبكر بن سهل الدمياطي كانت وفاته سنة تسع وثمانين ومائتين[١] .

٤ - نشأته العلمية: -

نشأ أبو جعفر النحاس في عصر النهضة العلمية فبدأ تعليمه على بعض العلماء في مصر وذلك في علوم الشريعة واللغة والنحو، ثم رحل إلى العراق والشام، وتنقل فيها بين بغداد والكوفة والأنبار من مدن العراق، وبين الرملة وغزة من مدن الشام. وبعد ذلك عاد إلى مصر واستقر فيها، فوفد عليه طلاب العلم ينهلون من علمه وبقي مكبا على التعليم والتأليف حتى توفاه الله تعالى.

٥ - شيوخه: -

استقى أبوجعفر النحاس علومه من مشارب متنوعة، ومصادر متعددة فتخرج على يدي كثير من العلماء، فمن هؤلاء المفسر، ومنهم المحدث، ومنهم الفقيه، ومنهم النحوي اللغوي، وقد أوصلهم بعض الباحثين إلى أكثر من ثمانين شيخا، وسأذكر هنا أبرز هؤلاء العلماء الذين استفاد منهم أبو جعفر النحاس كثيرا: -

١ - الإمام أبو عبد الرحمن: أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي صاحب السنن المتوفى سنة(٣٠٣ هـ) وهو أحد أعلام الدين، وقد ترجم له الحافظ ابن كثير[٢]

---

(١) انظر: الإمام أبو جعفر ابن النحاس وأثره في الحديث وعلومه ت: علي بن محمد العمران(ص٢١)ط. عالم الفوائد١٤٢٩ هـ

(٢) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين، إمام حافظ مفسر مؤرخ، أحد الأعلام، توفي =

رحمه الله بقوله:(الإمام في عصره والمقدم على أشكاله وفضلاء دهره رحل إلى الآفاق واجتمع بالأئمة الحذاق)[١]، وقد أكثر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من الرواية عنه في كتبه.

٢- أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي، الإمام الفقيه والذي كان أولا شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الحنفي، وهو صاحب المصنفات النافعة مثل:"شرح معاني الآثار"و"شرح مشكل الآثار"و العقيدة الموسومة ب"العقيدة الطحاوية" وغيرها، مات بمصر سنة(٣٣١هـ)[٢]، وقد روى عنه كثيرا أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى.

٣- بكر بن سهل بن إسماعيل، أبومحمد الدمياطي، قال عنه الذهبي[٣] (حمل الناس عنه، وهو مقارب الحال)[٤]، وذكره السيوطي[٥] فيمن كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ، والمنفردين بعلو الإسناد، وقد أخذ عنه أبوجعفر النحاس بعد عودته إلى مصر في القراءات والتفسير والحديث وغيرها، وهو من أبرز شيوخه في كثرة مروياته عنه، له مصنفات منها:"كتاب التفسير" مات سنة (٢٨٩هـ)[٦].

= بدمشق سنة(٧٧٤هـ) انظر: البدر الطالع(١/١٥٣)، الأعلام(١/٣٢٠).

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٢٣)، وانظر: وفيات الأعيان لابن خلكان(١/٢٩)سير أعلام النبلاء(١٥/٤٠١).

(٢) وفيات الأعيان (١/٧١)، سير أعلام النبلاء(١٥/٢٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبدالله الذهبي، أحد الأعلام الكبار، وهو من أعلام أهل السنة، من مؤلفاته:سير أعلام النبلاء، العلو للعلي الغفار وغيرها، انظر:الدرر الكامنة(٥/٦٦)، شذرات الذهب(٦/١٥٣).

(٤) سير أعلام النبلاء(١٣/٤٢٦).

(٥) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد، المشهور بجلال الدين السيوطي، أشعري المعتقد، وشافعي المذهب، مكثر في التصانيف، من مصنفاته: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، شرح الصدور بأحوال الموتى والقبور، توفي سنة(٩١١هـ)انظر: الضوء اللامع(٤/٥٦-٧٠)، شذرات الذهب(٨/٥١).

(٦) حسن المحاضرة(١/٣٦٧)، بغية الوعاة(١/٣٦٢)، سير أعلام النبلاء(١٥/٤٠١)

٤ –"الزجاج" وهو (أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل) اللغوي الشهير صاحب كتاب (معاني القرآن) و(تفسير أسماء الله الحسنى)و المتوفى سنة (٣١١ هـ) أخذ عنه النحاس وقرأ عليه كتاب سيبويه وغيره، ونقل عنه في كتبه كثيرا من المسائل اللغوية والنحوية[١].

٥ - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر بن الأنباري النحوي البغدادي المتوفى سنة (٣٢٨ هـ) صاحب كتاب (المشكل في معاني القرآن)و(غريب الحديث) وهو من أصحاب ثعلب، قال عنه الذهبي:(حمل عن والده، وألف الدواوين الكبار مع الصدق والدين، وسعة الحفظ. . . .

قيل عنه:كان يملي من حفظه، ما أملى من دفتر قط .

وقال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحدا أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه)[٢] .

٦ - أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان الكيساني المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) أخذ عن ثعلب[٣] والمبرد[٤] وكان نحويا بارعا يحفظ أقوال الكوفيين والبصريين[٥]، وقد نقل عنه أبو جعفر النحاس كثيرا في كتبه .

---

(١) نزهة الألباء(ص١٨٣)، بغية الوعاة(١/ ٤١١)، سير أعلام النبلاء(١٤/ ٣٦٠).

(٢) نزهة الألباء(ص١٩٧)، تاريخ بغداد(٣/٢٨٢)سير أعلام النبلاء(١٥/ ٢٧٤)، البداية والنهاية (١١/١٩٦).

(٣) هو أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء، البغدادي، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، محدث حافظ، من مؤلفاته:معاني القرآن، مجالس ثعلب، توفي سنة(٢٩١هـ)انظر: طبقات النحويين واللغويين(ص١٤١)سير أعلام النبلاء(١٤/ ٥-٧).

(٤) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المبرد، الأديب اللغوي، لزمه جماعة من أكابر النحويين ببغداد، من مؤلفاته:الكامل، المقتضب، توفي سنة(٢٨٥هـ)طبقات النحويين واللغويين(ص١٥١)، سير أعلام النبلاء(١٣/ ٥٧٦).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١١٧)، النجوم الزاهرة(٣/١٧٨) .

٧ - (نفطويه) وهو (إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي) المتوفى سنة (٣٢٣ هـ) قال عنه الزبيدي: (كان أديبا متفننا في الأدب ..... وكان يروي الحديث) [١] وقال الذهبي: (وكان ذا سنة ودين وفتوة ومروءة، وحسن خلق، وكيس، وله نظم ونثر.

صنف " غريب القرآن " و " كتاب المقنع " في النحو)[٢]وهو من النحويين الكوفيين ومن أصحاب ثعلب[٣]، وقد صرح أبوجعفر النحاس بالأخذ عنه في مواضع عدة من كتبه.

٨ - (الأخفش الصغير) وهو:أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل المعروف بالأخفش الصغير المتوفى سنة (٣١٥ هـ) الذي تلقى عن ثعلب والمبرد[٤].

٩ -محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد، الفقيه الشافعي، سمع الحديث من النسائي وغيره، وأخذ الفقه عن محمد بن عقيل الفريابي، كان عارفا بالحديث والأسماء والكنى، والنحو واللغة، واختلاف الفقهاء، وقد كان له حلقة في الفقه كل ليلة جمعة، كان أبوجعفر النحاس يحضرها، له مؤلفات عدة منها:"الباهر" في الفقه، و"أدب القضاة"، وكتاب "الفروع"، مات سنة(٣٤٥هـ)[٥].

٦ - تلاميذه: -

انقطع أبوجعفر النحاس بعد أن أتم تعليمه للتأليف والتدريس، ولذا فقد

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي(ص١٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء - (١٥ / ٧٦).

(٣) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي(ص١٥٤)، وفيات الأعيان(١/ ٤٧).

(٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي(ص١١٥)، نزهة الألباء(ص١٨٥)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٣٣) بغية الوعاة (٢/ ١٦٧).

(٥) طبقات النحويين(ص٢٢٠)، طبقات الشافعية الكبرى(٣/ ٧٩).

قصده طلاب العلم من بلاد كثيرة، فتخرج على يديه كثير من أهل العلم، وأبرزهم:-

١ - منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي، القاضي الأندلسي، رحل إلى مكة وأخذ عن ابن المنذر، كما رحل إلى مصر وأخذ عن ابن ولاد وأبي جعفر، وكان يحضر مجالسه ويكتب عنه، له مصنفات منها:"الناسخ والمنسوخ"و"كتاب الأحكام" توفي سنة (٣٣٥ هـ)[١].

٢ - محمد بن مفرج بن عبد الله المعافري، الأندلسي، رحل إلى مكة فسمع من ابن الأعرابي، ورحل إلى مصر، ولقي أبا جعفر النحاس فروى عنه كتبه الثلاثة"المعاني"و"الإعراب"و"الناسخ والمنسوخ" توفي سنة (٣٧١ هـ)[٢].

٣ - محمد بن يحيى الأزدي القرطبي النحوي، قال الزبيدي:(كان حاذقا في علم العربية، دقيق النظر فيها، لطيف المسلك في معانيها، غاية في الإبداع والاستنباط، رحل إلى المشرق فلقي أبا جعفر النحاس، فحمل عنه كتاب سيبويه رواية، قال:وكان ذا وقار وسمت وصيانة، ونزاهة نفس، وكريم خليقة، وصحة نية) توفي سنة (٣٥٨ هـ)[٣].

٤ - محمد بن علي الأدفوي المصري النحوي المفسر(سكن مصر. . .، وصحب أبا جعفر النحاس، وأخذ عنه وأكثر، وروى كل تصانيفه، وأخذ عن غيره من أهل العلم والقرآن والحديث والعربية. . . . . وصنف في التفسير كتبا مفيدة، منها كتابه "الاستغناء")توفي سنة(٣٨٨) هـ[٤].

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي(ص٢٩٥)، إنباه الرواة(٣/٣٢٥)، بغية الوعاة(٢/٣٠١).

(٢) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لأبي الوليد الأزدي المعروف بابن الفرضي(٢/٨٤)ت:عزت الحسيني، ط. مكتبة الخانجي-الطبعة الثانية١٤٠٨هـ.

(٣) طبقات النحويين(ص٣١٠)، بغية الوعاة(١/٢٦٢) .

(٤) إنباه الرواة(٣/١٨٦)، بغية الوعاة(١/٨٩)، طبقات المفسرين للأدنروي(١/٩١)، طبقات المفسرين للسيوطي(١/٩٧)

وغير هؤلاء كثير ممن تتلمذ على أبي جعفر النحاس واستفاد منه.

٧ - **مؤلفاته: -**

توفي أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وقد ترك مؤلفات كثيرة ومصنفات شهيرة في فنون متعددة تزيد على خمسين مصنفا[١]، والمطبوع من تلك الكتب:

١ - كتاب "معاني القرآن الكريم" وقد طبع بتحقيق: أ. محمد علي الصابوني[٢] في ستة مجلدات، طبع مركز التراث بجامعة أم القرى ١٤٠٩هـ، والكتاب فيه سقط من سورة الفتح إلى آخر القرآن، وكذا مواضع من سورة البقرة، وسورتي "طه" و"الأنبياء".

٢ - كتاب "الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك" وقد طبع عدة طبعات، أجودها المطبوع مؤخرا بتحقيق: د. سليمان بن إبراهيم اللاحم طبعته مؤسسة الرسالة سنة١٤١٢هـ في ثلاثة مجلدات، وقد اعتنى به محققه عناية طيبة .

٣ - كتاب "إعراب القرآن" وهو مطبوع، في خمس مجلدات طبعته دار عالم الكتب، ثم طبع مؤخرا في مجلد واحد ضخم في الدار نفسها وهو بتحقيق: زهير غازي زاهد.

٤ - كتاب "القطع والائتناف" أو "الوقف والابتداء" وهو مطبوع بتحقيق: د. عبدالرحمن المطرودي في مجلدين سنة١٤١٣هـ، وتدور مادته حول بيان مواضع الوقف والابتداء، ومواضع التمام في الآيات، مع ذكر ما يحتاج إليه من المعاني والقراءات.

٥ – كتاب "صناعة الكتاب" وهو مطبوع بتحقيق: د. بدر أحمد ضيف، بدار العلوم

---

(١) كما ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء(٤ / ٢٢٨)ط. دار إحياء التراث –ببيروت، وغيره.

(٢) تابع محقق الكتاب -الصابوني- المؤلف في المواضع التي خالف فيها أبو جعفر النحاس رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أمثلة ذلك: (١/ ٣٨٤)(١/ ٤٥٨)(٥/ ٢٢).

العربية ببيروت-سنة١٤١٠هـ، وهو متعلق بالكتابة وأحكامها وآدابها، وذكر الأخبار في ذلك.

٦ - كتاب "شرح القصائد التسع المشهورات"وقد طبع في مجلدين بتحقيق أحمد خطاب سنة١٣٩٣هـ في العراق، وهو شرح نحوي لأبيات مختارة من كل معلقة.

٧ - كتاب "شرح أبيات سيبويه" وهو مطبوع بتحقيق:د. زهير غازي زاهد-طبع دار عالم الكتب ببيروت١٤٠٦هـ، شرح فيه عدة أبيات منتقاة من كتاب سيبويه.

٨ – كتاب "التفاحة في النحو" وهو مطبوع بتحقيق:كوركيس عواد، طبعه المجمع العلمي العراقي سنة١٣٨٥هـ، وهو نافع للمبتدئين في تعلم العربية .

أما كتبه الأخرى المفقودة فكثيرة جدا، ومنها فيما يتصل بالعلوم الشرعية:

١ - مختصر تهذيب الآثار للطبري[١].

٢ - اشتقاق أسماء الله الحسنى[٢] .

٨ - وفاته:-

توفي أبو جعفر النحاس بحادثة عجيبة ذكرها المترجمون لحياته وهي أنه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل في أيام زيادته، وهو يقطع بالعروض شيئاً من الشعر، فقال بعض العوام: هذا يسحر النيل حتى لايزيد فتغلو الأسعار، فدفعه برجله في النيل، فلم يوقف له على خبر)[٣].

وكانت وفاته سنة (٣٣٨ هـ) رحمه الله وغفر له.

---

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي(١/١٦٩).

(٢) إنباه الرواة للقفطي(١/١٣٦)، سير أعلام النبلاء(١٥/٤٠١).

(٣) ذكر هذه الحادثة: ابن خلكان في وفيات الأعيان(١ / ١٠٠)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥/٤٠٢)، وابن كثير في البداية والنهاية(١١ / ٢٢٢)، والصفدي في كتابه الوافي بالوفيات(٧/٣٦٢).

٩ - ثناء العلماء عليه:-

أثنى على أبي جعفر النحاس علماء عرفوا قدره وفضله وأشادوا بمآثره ومناقبه:-

قال الذهبي رحمه الله:(العلامة أبو جعفر إمام العربية كان ينظر في زمانه بابن الأنباري وبنفطويه للمصريين . . . . وكان من أذكياء العالم).[١]

وقال ابن كثير رحمه الله:(اللغوي المفسر الأديب له مصنفات كثيرة ومفيدة في التفسير وغيره لقي أصحاب المبرد سمع الحديث عن النسائي وانتفع الناس به وبعلومه)[٢].

وقال ابن خلكان[٣]رحمه الله:(فكان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه فنفع وأفاد، وأخذ عنه خلق كثير)[٤] .

وقال السيوطي رحمه الله:(من أهل الفضل الشائع والعلم الذائع) [٥].

وقال القفطي[٦]رحمه الله: (وله مصنفات في القرآن، منها:كتاب الإعراب وكتاب المعاني وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنف قبلهما في معناهما)[٧] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤٠١).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٢٢).

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، كان فاضلاً، بصيراً بالعربية علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، من مؤلفاته: " وفيات الأعيان "توفي سنة(٦٨١هـ)الأعلام(١/ ٢٢٠).

(٤) وفيات الأعيان (١/ ٩٩).

(٥) حسن المحاضرة(١/ ٣٦٢).

(٦) هو علي بن يوسف ابن إبراهيم الشيباني القفطي المصري صاحب "إنباه الرواة"،وكان عالما متفننا، جمع من الكتب شيئا كثيرا ووزر بحلب، مات في رمضان سنة (٦٤٦هـ) سير أعلام النبلاء - (٢٣ / ٢٢٧).

(٧) إنباه الرواة (١/ ١٠١).

١٠ - عقيدته: -

أثبت غير واحد من أهل العلم أن أبا جعفر النحاس رحمه الله تعالى على عقيدة أهل السنة والجماعة[١]، ومع أن السمة البارزة لأبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في مسائل العقيدة هي لزوم منهج أهل السنة والجماعة، إلا أن ثمة مسائل قد خالف فيها أهل السنة والجماعة ،ففي الصفات نفى بعضا بدعوى المجاز[٢]،وفي مواضع أخر ينقل عن بعض المخالفين لأهل السنة كلاما ولايتعقبه[٣] مع أنه قد قرر المسألة بما يوافق عقيدة السلف ، وهذا مأخذ عليه رحمه الله ،وما عدا ذلك فلم أجد له مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة كما سيأتي بيانه بالتفصيل،فهو **في الجملة** على عقيدة أهل السنة والجماعة.

(١) ممن ذكر ذلك:أبو المظفر السمعاني في تفسيره(٣/ ٣٢٠)، ود. سليمان اللاحم في مقدمة تحقيقه للناسخ والمنسوخ(١/ ٣٤-٣٥)، ود. محمد الشيخ عليو(٣٦٩-٣٨٤)، وذكرالشيخ:علي العمران في رسالته (أبو جعفر النحاس وأثره في علوم الحديث)بأن له أثرا ملموسا في الانتصار لأقوال السلف وأهل الحديث والسنة(ص٦٠).

(٢) من الصفات التي لم يثبتها:الوجه ،واليدين،والعينين،والغضب، والمحبة، والرحمة،والصفات المقيدة.

(٣) من أمثلة ذلك :إعراب القرآن(٢/ ١٧٣)(٣/ ٢١٥)،معاني القرآن(٢/ ١٠٨).

ثانياً :منهجه في العقيدة إجمالا :

أ: مصادر تلقي العقيدة عند أبي جعفر النحاس .

أولا: القرآن الكريم: -

يتميز منهج أهل السنة والجماعة بأنه معتمد على الكتاب والسنة ، و بأنه لايجوز الاعتياض عنهما بآراء الرجال وأقوالهم، وفي ذلك يقول الله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L[١] ويقول تعالى:M p q r s t u v w L[٢] .

وفي بيان هذا الأصل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا عقيدة أهل السنة والجماعة:(ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ^ ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ^ على هدي كل أحد؛ وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة)[٣].

وقد اعتنى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالقرآن الكريم عناية عظيمة، فقد ألف فيما يتعلق بالقرآن أربعة كتب، كما بين رحمه الله تعالى منزلة كتاب الله تعالى من خلال تعرضه لشرح وبيان معنى بعض الآيات؛ فيقول مبينا معنى قول الله تعالى:M P Q R S T U L[٤] :(أي: ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن إما دلالة مبينة مشروحة وإما مجملة نحو:M p q r s t u v w L[٥])[٦].

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) الأنعام: ١٥٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٧).

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) الحشر: ٧.

(٦) إعراب القرآن - (٢ / ٦٥- ٦٦).

وعند قول الله تعالى:M P O Q R S T U V W X L[١] يقول في بيان هذا المعنى:(لأنه ليس من متكلم يتكلم بكلام كثير إلا وجد في كلامه اختلاف كثير؛ إما في الوصف واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب، فأنزل جل وعز القرآن وأمر بتدبره؛ لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف من العيوب، ولا رذالة في معنى، ولا تناقضا، ولا كذبا فيما يخبرون به من علم الغيوب وما يسرون)[٢].

وفي معنى قول الله تعالى:M / 0 1 2 3 4 5 L[٣]يقول:(المعنى يهدي للحال التي هي أقوم والحال التي هي أقوم توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعته)[٤].

كما بين معنى قول الله تعالى:M K L M L[٥] فقال:(دل بهذا على أنه يجب التدبر للقرآن ليعرف معناه، وكان في هذا رد على من قال لا يؤخذ تفسير القرآن إلا عن النبي ^)[٦] .

وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى كثيرا من المسائل العقدية التي استدل على تقريرها بأدلة الكتاب، وستأتي بإذن الله تعالى مفصلة في أثناء البحث.

ثانيا:السنة:-

أخبر الله تعالى في كتابه أن السنة وحي من الله تعالى كالقرآن الكريم، فقال تعالى:M + , - . L[٧]، وقال تعالى: Mوَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ L[١]

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) إعراب القرآن - (١ / ٤٧٤-٤٧٥).

(٣) الإسراء: ٩.

(٤) معاني القرآن - (٤ / ١٢٧).

(٥) النساء: ٨٢.

(٦) إعراب القرآن(١/ ٤٧٤)،وانظر تفسير القرطبي(٥/ ٢٩٠).

(٧) النجم: ٣.

وقـال تعـالىM . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B L[٢]، فتبين مما سبق أن السنة وحي من الله تعالى وأنها حجة يجب العمل بها كالقرآن، وقد اهتم أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى كثيرا بسنة رسول الله r فقد اختصر كتاب (تهذيب الآثار)للطبري، كما أن كثرة شيوخه الذين روى عنهم في الحديث كالنسائي، والطحاوي، وبكر بن سهل الدمياطي، وعبد الله بن أحمد النيسابوري –رحمهم الله تعالى- تبرز مدى اهتمامه بالسنة، وقد جاء عن أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في كتبه ما يبين منزلة السنة عنده، ومن ذلك قوله:(لأن ما صح عن النبي ^ لم يسع أحدا رده، قال الله جل وعز:M p q r s t u v w L[٣])[٤].

كما استدل رحمه الله تعالى بالسنة في مسائل المعتقد؛ فعند قول الله تعالى:M " # $ % L[٥] قال:(والزيادة النظر إلى الله جل اسمه . . . ثم ساق الأحاديث الواردة في بيان ذلك بسنده)[٦].

ولما أورد قول الله تعالى: M 9 : ; < L[٧] قال في بيان معنى الآية:(يبين هذا الحديث المرفوع عن النبي r من طرق كثيرة صحاح تنظرون إلى الله جل وعز لا تضامون في رؤيته)[٨].

أما موقفه من خبر الآحاد فقد أنكر رحمه الله تعالى على من لم يأخذ بحديث

---

(١) النساء: ١١٣.

(٢) الجمعة: ٢ .

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الناسخ والمنسوخ (٣/٣٩).

(٥) يونس: ٢٦ .

(٦) معاني القرآن (٣ / ٢٨٩).

(٧) الزمر: ٦٩.

(٨) معاني القرآن (٦ / ١٩٥).

الآحاد وذلك عندما أورد اختلاف أهل العلم في أي الأنساك الثلاثة فعل النبي r فقال:(طعن بعض أهل الأهواء وبعض الملحدين في هذا -حجة الوداع- وقالوا: هذه الحجة التي حجها رسول الله r أجمع ما كان أصحابه فقد اختلفتم فيها وهي أصل من أصول الدين فكيف نقبل منكم ما رويتموه من أخبار الآحاد .

وهذا الطعن من أحد اثنين؛ إما أن يكون الطاعن به جاهلا باللغة التي خوطب بها القوم، وإما أن يكون جائرا عن الحق)[١].

ولما أورد قول النبي r يوم الأحزاب: من يعرف لنا خبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، فقال النبي r :**(لكل نبي حواري وحواري الزبير)**[٢] .

قال أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معلقا عليه:(وفيه الدليل على صحة خبر الواحد ولولا أنه مقبول ما وجه النبي r بواحد ليخبره بخبرالقوم)[٣].

وصنيع أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في إيراد الأدلة على مسائل الاعتقاد من غير تفريق بين متواتر وآحاد دليل على اعتباره صحة الحديث سواء كان متواترا أم آحادا.

٣- الإجماع:-

يعتبر الإجماع أحد الأدلة الشرعية المتفق عليها بعد الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله، وسنة رسوله r ، وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)[٤]ويقول أيضا مبينا منزلة الإجماع من الشريعة:(والإجماع: هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم

---

(١) الناسخ والمنسوخ(١/ ٥٦٢)وانظر: الناسخ والمنسوخ(٣/٩٩).

(٢) أخرجه البخاري:كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة(برقم٢٨٤٦) (ص٤٧١)، ومسلم:كتاب الفضائل، باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما(برقم٢٤١٥)(ص١٠٦٥).

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ٥٣).

(٤) درء تعارض العقل والنقل(١/ ٢٧٢).

والدين .....والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة)[١].

وقد اعتبر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الإجماع دليلا من الأدلة الشرعية وأورده مستدلا به في مواطن متعددة، فقد حكى الإجماع في بعض مسائل الاعتقاد، ومن ذلك احتجاجه بالإجماع على تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر بقوله:(وأجمع المسلمون على قولهم كبائر وصغائر)[٢] .

ويقول في موضع آخر:(قوله تعالى:Mوَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ © فِيهَآ أَبَدًا L[٣]، شرط ومجازاة، وهو في كلام العرب عام لكل من عصى الله جل وعز إلا من استثني بآية من القرآن، أو توقيف من الرسول ^ ، أو بإجماع من المسلمين)[٤].

كما ذكر في موضع آخر إثبات صفة الكلام لله تعال واستدل على ذلك بإجماع أهل اللغة فقال:(M I J K L L[٥] مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا)[٦].

ب: منهج أبي جعفر النحاس في تقرير العقيدة:-

١-اعتماده ألا تعارض بين النقل الصحيح و العقل:

من الأصول المقررة عند أهل السنة والجماعة أن لا تعارض بين النقل الصحيح و العقل الصريح، وأن(ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل

---

(١) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٧).

(٢) إعراب القرآن (١ / ٣٠٩)وسيأتي الكلام عن المسألة (ص٣٧٦) .

(٣) الجن: ٢٣.

(٤) إعراب القرآن - (٥ / ٥٣).

(٥) النساء: ١٦٤.

(٦) إعراب القرآن - (١ / ٥٠٧).

المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط)[١]، وقد ضل أهل البدع في هذا الباب، فقالوا بتقديم العقل على النقل وجعلوا العقل حاكماً على النقل وأصلاً له يقول السمعاني[٢] رحمه الله مبينا عظم هذه المسألة:(واعلم: أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل؛ فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة؛ قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لا ستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوا)[٣]، وقد اعتمد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في غالب أقواله وترجيحاته على الكتاب والسنة، وعلى أقوال سلف الأمة، وذلك من خلال تفسيركتاب الله تعالى بالكتاب والسنة، وكذا أقوال الصحابة والتابعين وتقديم ذلك على أقوال من خالفهم، وأبرز مثال على ذلك:-

أنه لما ذكر قول من فسر "النظر" في قوله تعالى: M - . / L[٤]بأنها منتظرة ثواب ربها قال بعده:(ونحن نذكر الاحتجاج في ذلك من قول الأئمة والعلماء وأهل اللغة إذ كان أصلاً من أصول السنة، ونذكر ما عارض به أهل الأهواء، ونبدأ بالأحاديث الصحيحة عن الرسول ^ إذ كان المبين عن الله جل وعز)[٥] ثم ساق بسنده عدة أحاديث في إثبات الرؤية، ثم أسند عن الإمام الذهلي[٦] قوله:(السنة

---

(١) درء التعارض (١ / ١٤٧).

(٢) هو:منصور بن محمد السمعاني، أبو المظفر الشافعي،أصولي مفسر ،أبرز مصنفاته: كتاب التفسير،قواطع الأدلة في أصول الفقه،الانتصار لأهل الحديث، توفي سنة٤٨٩هـ انظر السير(١٩ / ١١٤-١١٩).

(٣) نقله عنه الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١ / ٣٤٧) تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، الناشر: دار الراية –السعودية، ١٤١٩هـ .

(٤) القيامة: ٢٣.

(٥) إعراب القرآن (٥ / ٨٤).

(٦) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب، الإمام، العلامة، الحافظ، البارع، وإمام =

عندنا، وهو قول أئمتنا؛ مالك بن أنس، وأبي عبد الرحمن بن عمر، والأوزاعي[١] وسفيان بن سعيد الثوري[٢]، وسفيان بن عيينة الهلالي[٣]، وأحمد بن حنبل، وعليه عهدنا أهل العلم أن الله جل وعز يرى في الآخرة بالأبصار يراه أهل الجنة فأما سواهم من بني آدم فلا قال والحجة في ذلك أحاديث مأثورة عن النبي ^) ثم أتبع ذلك بقوله:(قال محمد بن يحيى: وأن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ^ في رؤية الرب في القيامة، والقدر، والشفاعة، وعذاب القبر، والحوض والميزان، والدجال، والرجم، ونزول الرب تبارك وتعالى في كل ليلة بعد النصف أو الثلث الباقي، والحساب، والنار والجنة وأنهما مخلوقتان غير فانيتين، وأنه ليس أحد إلاسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، ونحوها من الأحاديث والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم ولم يعرفوا تفسيرها، فعليهم الإيمان بها والتسليم، بلا كيف، ولا تنقير، ولا قياس؛ لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد .

قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[٤]

فهذا المثال يبين مدى عناية أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالاعتماد على الأدلة الشرعية وكذا أقوال سلف الأمة، وتقديمها على المعقول، ومع كل ذلك فإن

= أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي مولاهم، النيسابوري، توفي سنة(٢٥٨هـ) انظر:سير أعلام النبلاء (١٢/٢٧٣-٢٨٥)، شذرات الذهب(٢/١٣٧).

(١) هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الاوزاعي، ولد في عهد الصحابة، وتوفي سنة(١٥٧هـ)انظر: سير أعلام النبلاء - (٧ / ١٠٧-١٣٤).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، توفي سنة(١٦١هـ) انظر:سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٢٩)، شذرات الذهب(١/٢٤٣).

(٣) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، مولى محمد بن مزاحم، إمام كبير، أحد أئمة السنة توفي سنة(١٩٨هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(٨/٤٥٤)، شذرات الذهب(١/٣٥٤) .

(٤) إعراب القرآن (٥/٨٨).

مما يؤخذ على أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى تأويله لبعض الصفات بدعوى المجاز.

٢ - الاستدلال باللغة العربية في تقرير مسائل العقيدة: -

امتن الله تعالى على عباده بإنزال كتابه بلغة العرب، قال الله تعالى:M y z { | } ~ L[١] وقال تعالى:M ( ) (* + , - . L[٢]، ولما كانت اللغة بهذه المنزلة من الأهمية فقد اهتم بها العلماء من جهة ضبط أصولها وقواعدها وكيفية الاستدلال بها، وما ينبني على ذلك من معرفة وفهم مراد الله تعالى ومراد رسوله r ، ولذا كان من أسباب ضلال من ضل في أبواب المعتقد الجهل باللغة العربية، وقد أخذ أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عن علماء العربية في عصره ولازم بعضهم مما كان له الأثر البالغ في اهتمامه باللغة من جهة التأليف في علومها والاستشهاد بها في تفسير كلام الله تعالى وغير ذلك .

كما استدل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى باللغة العربية على مسائل المعتقد في أكثر من موطن، فقد استدل بها في رده على أبي عبيدة رحمه الله في تفسيره للصوْر بالصوَر فقال:(الذي قاله أبو عبيدة لا يعرفه أهل التفسير ولا أهل اللغة ......وأهل اللغة على أن جمع صورة صوَر)[٣].

وعند قول الله تعالى:Mوَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا © عِندَ رَبِّكَ L[٤]
يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(قال مجاهد: عند الملك، وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد رب)[٥].

---

(١) يوسف: ٢.

(٢) فصلت: ٣.

(٣) معاني القرآن (٥/٥٠٣).

(٤) يوسف: ٤٢ .

(٥) معاني القرآن (٣ / ٤٢٨).

وقد رد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في أكثر من موطن على علماء العربية ممن كانت له نزعة اعتزالية، ومن ذلك أنه لما أورد قول الله تعالى:M e f g h i j k l m o p q r s u v w L[١] قال بعده: (قال أبو حاتم[٢]: وسمعت الأخفش يذكر كسر "إن" يحتج به لأهل القدر لأنه كان منهم، ويجعله على التقديم والتأخير أي ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما إنما نملي لهم خير لأنفسهم قال ورأيت في مصحف في المسجد الجامع قد زادوا فيه حرفا فصار إنما نملي لهم ليزدادوا إيمانا فنظر إليه يعقوب القارىء فتبين اللحق فحكه)[٣].

وعند قول الله تعالى: M عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا L[٤] يقول: (وقد طعن في هذا بعض الملحدين إما لجهله باللغة وإما لقصده الكفر اجتراء على الله عز وجل وأخذ شيء من حطام الدنيا؛ وذلك أن الجنة لا بيع فيها، ولا شراء، ولا معنى لطعنه لقلة قيمة الفضة، ولأن هذا لا يحسن للرجال فجهل معنى التفسير؛ لأن في التفسير أن هذا يكون لأزواجهن، ولو كان لهم ما دفع حسنه، وقد طعن في الاستبرق ولم يدر معناه، أو دراه وتعمد الكفر والاستبرق عند العرب: ما كان متينا وغلظ في نفسه، لا غلظ خيوطه)[٥].

ولما أورد قول من فسر معنى اسم الله (الجبار) بأنه "الذي يجبر خلقه على ما يشاء" قال قال (وهذا خطأ عند أهل العربية؛ لأنه إنما يجيء من هذا مجبر، ولا يجيء

---

(١) آل عمران: ١٧٨ .

(٢)هو:أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان، السجستاني ثم البصري، المقرئ النحوي اللغوي، صاحب التصانيف ، وله باع طويل في اللغات والشعر، وله كتاب " إعراب القرآن "، وكتاب " ما يلحن فيه العامة "،توفي سنة ٢٥٠أو٢٥٥ سير أعلام النبلاء - (١٢ / ٢٦٨)

(٣) إعراب القرآن (١ /٤٢١)،وانظر :الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي للسيف(١ /٥١٨).

(٤) الإنسان: ٢١.

(٥) إعراب القرآن (٥ / ١٠٥-١٠٦).

فعال من أفعل)[١].

وعند قول الله تعالى:M - . / L[٢]يقول: (وفي ناظرة ثلاثة أقوال؛ منها: أن المعنى منتظرة، ومنها: أن المعنى إلى ثواب ربها، ومنها: أنها تنظر إلى الله جل وعز، قال: ويعرف الصواب في هذه الأجوبة من العربية ....، أما قول من قال معناه "منتظرة" فخطأ سمعت علي بن سليمان يقول: نظرت إليه بمعنى انتظرته، وإنما يقال نظرته، وهو قول إبراهيم بن محمد بن عرفة وغيره ممن يوثق بعلمه، وأما من قال: إن المعنى إلى ثواب ربها فخطأ أيضا على قول النحويين الرؤساء؛ لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد علمته نظرت زيدا أي: نظرت ثوابه)[٣].

كما نقل عنه السمعاني أنه أنكر على من فسر الاستواء بالاستيلاء فقال:(وذكر الزجاج ، والنحاس ، وجماعة [من] النحاة من أهل السنة : أنه لا يسمى الاستواء استيلاء في اللغة إلا إذا غلب غيره عليه ، وهذا لا يجوز على الله تعالى[٤])

٣- بيان معنى المحكم والمتشابه وذكر بعض أنواعه:-

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أقوال العلماء في مسألة المحكم والمتشابه بمعناه الخاص فقال:(قال يحيى بن يعمر[٥]: المحكمات الفرائض والأمر والنهي وهن عماد الدين وعماد كل شيء أمه. . . . . . .

وقال الضحاك[٦]: المحكمات: الناسخات، والمتشابهات: المنسوخات.

---

(١) إعراب القرآن (٤ /٤٠٦) .

(٢) القيامة: ٢٣.

(٣) إعراب القرآن (٥ /٨٤).

(٤) تفسير السمعاني - (٣ / ٣٢٠)

(٥) هو يحيى بن يعمر الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو، كان من أوعية العلم، وقيل إنه كان أول من نقط المصاحف، توفي قبل التسعين، انظر: سير أعلام النبلاء (٤ /٤٤١-٤٤٣).

(٦) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، =

وقال ابن عباس: كل من عند ربنا يعني ما نسخ وما لم ينسخ . . . . . .

وأجمع هذه الأقوال أن المحكم: ما كان قائما بنفسه لا يحتاج إلى استدلال.

والمتشابه: ما لم يقم بنفسه واحتاج إلى استدلال)[١].

وما اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى المحكم والمتشابه بمعناه الخاص قد ارتضاه غير واحد المحققين من أهل العلم[٢]، يقول القرطبي[٣] بعد نقله لقول أبي جعفر النحاس مبينا رجحانه: (وهو الجاري على وضع اللسان، وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم، والإحكام الإتقان، ولا شك في أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها، ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال)[٤].

ثم ذكر أمثلة لما ينبني على اختياره لهذا القول فقال: (قال أبو جعفر: أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره نحو: M . / 0 1 2 L[٥] M e f g h L[٦] والمتشابهات

= نقل غير واحد أن وفاته سنة (١٠٢هـ) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٩٨-٥٩٩).

(١) معاني القرآن (١ / ٣٤٤-٣٤٦).

(٢) ممن اختار هذا القول: محمد بن جعفر بن الزبير، ومجاهد، وابن إسحاق، وابن عطية، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والألوسي، والسعدي، انظر: تفسير الطبري (٦ / ١٧٥-١٧٧)، المحرر الوجيز (١ / ٤٠٠-٤٠٢) ت: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى- ١٤١٣هـ، مجموع الفتاوى (١٣ / ٢٧٤)، روح المعاني (٣ / ٨١-٨٣)، تفسير السعدي (ص١٢٢)، وللاستزادة: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (١ / ٣٦٣-٤٢٠) د. سليمان بن صالح الغصن.

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، أبوعبدالله القرطبي، مالكي المذهب له مؤلفات نافعة منها: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، توفي سنة (٦٧١هـ) انظر: شذرات الذهب (٥ / ٣٣٥).

(٤) تفسير القرطبي (٤ / ١١).

(٥) الإخلاص: ٤ .

(٦) طه: ٨٢.

نحو:Mإِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا L[1] يرجع فيه إلى قوله:L h g f e M[2] وإلى قوله:L x w v u t s r M[3])[4].

وذكر أن قول الله تعالى:L ~ } | { z y M[5] (من المتشابه الذي قد تكلم فيه العلماء؛فقال بعضهم: كان هذا متشابها حتى بين الله جل وعز ذلك بالوعيد .

وقال محمد بن جرير[6]: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشية الله جل وعز إن شاء عفا عنه ذنبه وإن شاء عاقبه عليه ما لم يكن كبيرته شركا بالله جل وعز)[7].

وقال أيضا:(قال ابن عباس: الآيات المحكمات Mقُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ L[8] إلى آخر ثلاث آيات)[9]. ومما سبق يتبين أن أبا جعفر النحاس رحمه الله تعالى لم يخرج عما قرره أهل العلم في بيان معنى المحكم والمتشابه.

---

(١) الزمر: ٥٣ .

(٢) طه: ٨٢.

(٣) النساء: ٤٨ .

(٤) إعراب القرآن (١/ ٣٥٥).

(٥) النساء: ٤٨ .

(٦) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام البارع المفسر المؤرخ، قال الذهبي عنه: أكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف، من مصنفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، التبصير في معالم الدين، توفي ببغداد سنة (٣١٠ هـ) . طبقات المفسرين للأدنروي(٤٨-٥١)، سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢٦٧ - ٢٨٢) .

(٧) إعراب القرآن (١/ ٤٦١) .

(٨) الأنعام: ١٥١ .

(٩) معاني القرآن (٢ / ٥١٦).

٤ - إعماله للمجاز في بعض النصوص: -

اختلف أهل العلم في وقوع المجاز على ثلاثة أقوال[١]: -

القول الأول: وقوعه في اللغة والقرآن.

القول الثاني: وقوعه في اللغة دون القرآن.

القول الثالث: المنع من وقوع المجاز في اللغة والقرآن، واختار هذا القول المحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله [٢]، وقد ذكرشيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن القول بوقوع المجاز في القرآن دفع المبتدعة إلى تحريف نصوص الصفات وإبطالها بدعوى المجازفقال:(من المفاسد: أن لفظ المجاز المقابل للحقيقة سواء جعل من عوارض الألفاظ، أو من عوارض الاستعمال، يفهم ويوهم نقص درجة المجاز عن درجة الحقيقة، لا سيما ومن علامات المجاز صحة إطلاق نفيه، فإذا قال القائل: إن الله تعالى ليس برحيم ولا برحمن؛ لا حقيقة بل مجاز؛ إلى غير ذلك مما يطلقونه على كثير من أسمائه وصفاته)[٣]، والكلام في المسألة

---

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/٤٣-٤٤)ط. المكتب الإسلامي ببيروت-١٤٠٢هـ، ت:الشيخ عبدالرزاق عفيفي، البرهان في علوم القرآن للزركشي(٢/٢٥٥)ت:د.يوسف المرعشي وآخرين ط.دار المعرفة ببيروت ١٤١٠-الأولى، المسودة في أصول الفقه(ص١٦٥)، التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب(١/٨٠)تحقيق أبي عمشة-دار إحياء التراث بمكة المكرمة-الطبعةالأولى-١٤٠٦، الإيمان لابن تيمية(ص٨١) بتحقيق الشيخ/محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت-١٤٠٨هـ، مختصر الصواعق المرسلة(٢/٦٩٠)وما بعدها ط.أضواء السلف-السعودية-الطبعة الأولى-١٤٢٥هـ بتحقيق:د.الحسن العلوي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (١/٢٨١-٣٩٢)ط. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ تحقيق: فؤاد علي منصور، وانظر:منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، د. عبد العظيم المطعني .

(٢) انتصر العلامة ابن القيم لهذا القول بجعل المجاز طاغوتا وضعته الجهمية لتعطيل حقائق الأسماء والصفات، وذكر لذلك أكثر من خمسين وجها انظر:مختصر الصواعق المرسلة(٢/٦٩٠)وما بعدها.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٤٥٥).

يحتمل بسطا أكبر،و المقصود أن أبا جعفر النحاس رحمه الله تعالى قرر وجود المجاز في كتاب الله تعالى، ومما قرره قوله:(لا يخرج الشيء إلى المجاز ومعناه صحيح في الحقيقة)[١].

وقد استعمل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى دعوى المجاز في نفي بعض صفات الله تعالى، وهي وإن كانت قليلة في جانب ما أثبته من الصفات إلا أنها تعتبر خروجا عما قرره في مواضع أخر، فقد نقل عنه القرطبي رحمه الله تعالى قوله:(فإنما يلزم العبد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب، ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب، ولا تدرى بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق تعالى فيلزم المسلم أن يتثبت معرفة الصفات بالا تباع والتسليم كما جاء، قال أبو جعفر:فهذا كلام العلماء الأدباء، لامن يجترئ على مالا يلوح له، وسمعه من جاهل)[٢]،ومما قرر أيضا في هذا المعنى قوله:(والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله جل وعز على الظاهر والمعروف من المعاني إلا أن يقع دليل على غير ذلك)[٣]

ومع ذلك فقد ادعى المجاز في مواطن متعددة؛ففي بيان معنى:قول الله تعالى: 9M : ; < = L[٤] يقول:(وهذا مجاز؛ أي: إلا طلب رضوانه)[٥]وعند قول الله تعالى:HM I J K L M L[٦] يقول:(مجاز أي: يخادعون أولياء الله)[٧]، وسيأتي بإذن الله تعالى مزيد بسط لهذه المسألة في موطنه في البحث.

---

(١) إعراب القرآن (١ / ٤٤٢)و(٤/ ٢٠٦).

(٢) الأسنى للقرطبي (ص٨).

(٣) إعراب القرآن للنحاس - (٥ / ١٣٢)،وانظر:(٥/ ١٨٧-١٨٨)

(٤) الليل: ٢٠.

(٥) إعراب القرآن (٥ / ٢٤٦).

(٦) النساء: ١٤٢.

(٧) إعراب القرآن (١/ ٤٩٧)وانظر:(١/ ٣٨٩)(٢/ ٣٥٤).

وثمة مسائل أخر ينقل فيها قولا بالمجاز ولا يتعقبه[١].

٥ - موقفه من النسخ في العقيدة: -

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن النسخ غير واقع في مسائل العقيدة لأنها من باب الأخبار فلا مجال للنسخ فيها فقال:(ومنهم من قال: النسخ يكون في الأخبار والأمر والنهي، قال أبو جعفر: وهذا القول عظيم جدا يؤول في الكفر؛ لأن قائلا لو قال: قام فلان، ثم قال:لم يقم، فقال نسخته، لكان كاذبا)[٢]، ووضح ذلك أكثر عندما استعرض الناسخ والمنسوخ من سورة القدر إلى سورة الناس ثم قال:(لم نجد فيهن ناسخا ولا منسوخا، وإذا تدبرت ذلك وجدت أكثرهن وأكثر ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ إنما هو فيما لا يجوز أن يقع فيه نسخ؛ لأنه لا يجوز أن يقع نسخ في توحيد الله عز وجل ولا في أسمائه ولا في صفاته، والعلماء يقولون: ولا في أخباره، ومعناه: ولا في إخباره بما كان وما يكون.

والحكمة في هذا أن النسخ إنما يكون في أحكام الشرائع من الصلاة والصيام والحظر والإباحة، وقد يجوز أن ينقل الشيء من الأمر إلى النهي ومن النهي إلى الأمر؛ لأنك إذا قلت افعل كذا، أو كذا محرم عليك سنة جاز أن تبيحه بعد سنة. وإذا قلت: افعل كذا، أو كذا محرم عليك وأنت لا تريد وقتا أو شرطا فكذا أيضا سواء عليك ذكرته أم لم تذكره فهذا محال في توحيد الله عز وجل وأسمائه وصفاته وإخباره بما كان وما يكون؛ألا ترى أنه محال أن تقول قام فلان ثم تقول بعد وقت لم يقم لأنه لم يقع في الأول اشتراط ولا زمان)[٣]، وقد بين أبو جعفر النحاس رحمه الله سبب عدم وقوع النسخ في العقيدة بقوله:(والنسخ في الأخبار محال لو جاز النسخ فيها ما عرف حق من باطل ولا صدق من كذب ولبطلت المعاني ولجاز لرجل أن

---

(١) إعراب القرآن (٣/ ٣٠٠، ٣٢٩)(٤/ ١٨٠)(٥/ ٥٥).

(٢) الناسخ والمنسوخ (١/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٣) الناسخ والمنسوخ(٣/ ١٥٤-١٥٥) .

يقول لقيت فلانا ثم يقول نسخته مالقيته)[١].

فهذا هو موقف أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى من وقوع النسخ في العقائد وسيأتي بإذن الله تعالى مزيد بحث لهذه المسألة في موضعها من البحث.

٦ - عزو الأقوال التي يختارها إلى أهل السنة والجماعة: -

يضيف أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في تقريره لبعض مسائل المعتقد القول الذي يختاره إلى:(أهل السنة والجماعة) أو(أهل السنة) فيقول أولا في بيان معنى السنة:(السنة في كلام العرب الطريق المستقيم، و"فلان على السنة" أي: على الطريق المستقيم لا يميل إلى شيء من الأهواء)[٢].

أما في نسبة الأقوال إلى أهل السنة ففي مواضع متعددة؛ ومنها: قوله: (وأما الحديث في تنزيل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فصحيح غير مدفوع عند أهل السنة، وإنما يدفعه قوم من أهل الأهواء)[٣].

وفي موضع آخر عند قول الله تعالى:M O P QR S T U V W X L[٤] أورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما بسنده وفيه:. . . . قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما كيف سمعت رسول الله r يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول:(يدني المؤمن من ربه جل وعز حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته.

فأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله عز و جل)[٥] .

---

(١) الناسخ والمنسوخ(٢/ ٤٧٣).

(٢) إعراب القرآن (١ /٤٠٧) و (٤ / ١٤٨).

(٣) إعراب القرآن (٥ /٢٦٦).

(٤) البقرة: ٢٨٤.

(٥) أخرجه البخاري:كتاب التفسير، باب قوله Mوَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ L =

قال أبو جعفر: الحديث حقيقة معنى الآية وأنه لا نسخ فيها وإسناده إسناد لا يدخل القلب منه لبس وهو من أحاديث أهل السنة والجماعة)[١].

٧-عنايته بالرد على المخالفين:-

اعتنى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالرد على الفرق الضالة من خلال بيانه لمعاني الآيات، ومن أمثلة ذلك:

أ- لما أورد قول الله تعالى:M T U V W X Y L[٢] قال:(في معناه قولان:

أحدهما: أنه دل بهذا على أن المؤمنين لا يحجبون عن النظر إليه جل وعز، قال أبو جعفر: وقد ذكرنا ما قاله مالك بن أنس في ذلك، وسئل الشافعي رحمه الله عن النظر إلى الله جل وعز يوم القيامة فقال: يدل عليه:M T U V W X Y L[٣].

والقول الآخر: أن التقدير "عن كرامة ربهم" مثل:M j k L[٤] قال أبو جعفر: وهذا خطأ على مذهب النحويين منهم الخليل وسيبويه ولا يجوز عندهما ولا عند غيرهما من النحويين جاءني زيد بمعنى جاءني غلامه وجاءتني كرامته)[٥].

ب- استنبط من قول الله تعالى:M x y L[٦] فضل الصحابة والرد على من يتنقصهم وذلك بقوله:(فدل بهذا على فضل أصحاب رسول الله ^ ، وعلى الرد

= هود: ١٨ (برقم٤٦٨٥) (ص٨٠٦) ومسلم:كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين (برقم٢٧٦٨) (ص١٢٠٠).

(١) الناسخ والمنسوخ (٢/ ١٢٤).

(٢) المطففين: ١٥.

(٣) المطففين: ١٥.

(٤) يوسف: ٨٢

(٥) إعراب القرآن - (٥ / ١٧٨-١٧٩).

(٦) الحج: ٧٨ .

على من يتنقصهم؛ لأنه جل وعز اختارهم لنصرة نبيه عليه السلام)[١].

ج- بيَّن معنى قول الله تعالى: Mفَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ L[٢] ثم قال:(فكان في هذا رد على من قال إن الأنبياء تعلم الغيب)[٣].

د- لما أورد قول الله تعالى:M= > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U L[٤].

ذكر ما استنبطه بقوله:(فكان في هذا رد على كل من عبد غير الله جل وعز لأنهم لا يجدون في كتاب من الكتب أن الله جل وعز أمر أن يعبد غيره)[٥].

هـ- استدل في الرد على القدرية بقول الله تعالى:Mإِنَّا كُلَّ à خَلَقۡنَٰهُ â L[٦] فقال:(فيه رد على من أنكر خلق الأفعال)[٧].

و- استنبط من قول الله تعالى:M4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L[٨] الرد على المرجئة فقال:(فكان في هذا رد على المرجئة، لأنهم يقولون يجوز أن يكون المفسد كالمصلح أو أرفع درجة منه وبعده أيضا (أم نجعل المتقين كالفجار)[٩] .

---

(١) إعراب القرآن - (٣ / ١٠٦).

(٢) النمل: ٢٢.

(٣) إعراب القرآن (٣ / ٢٠٣).

(٤) فاطر: ٤٠.

(٥) إعراب القرآن (٣ / ٣٧٦).

(٦) القمر: ٤٩.

(٧) إعراب القرآن (٤ / ٣٠٠) .

(٨) ص: ٢٨.

(٩) إعراب القرآن (٣ / ٤٦٢) وللاستزادة ينظر:(١/ ٤٩١) (٣/٢٠٣،٢٤١، ٤٤٥،٣٦٤) (٤/ ٣٠٠) (٥/ ٨٣).

الفصل الأول:
آراء أبي جعفر النحاس في توحيد الربوبية والألوهية وما يضادهما

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: آراؤه في توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: آراؤه في توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: آراؤه فيما يضاد توحيد الألوهية



المبحث الأول:
آراؤه في توحيد الربوبية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة الربوبية.

المطلب الثالث: حكم أطفال المشركين.

المطلب الأول: معنى الربوبية

بين أبو جعفر النحاس معنى الربوبية لغة بقوله (قال أهل اللغة: الرب المالك وأنشدوا: -

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء[١]

وأصل هذا أنه يقال: ربه يربه ربا، وهو راب ورب إذا قام بصلاحه، ويقال على التكثير رباه وربيه وربته)[٢]

ويقول (. . . . . وذلك معروف في اللغة أن يقال للسيد: رب . .) [٣]

الدراسة: -

الربوبية: مصدر ربَّ يرُبُّ ربابةً وربوبية [٤].

وهو يطلق في اللغة على عدة معان، يقول ابن الأنباري[٥]: (الرب: ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب "المالك"؛ ويكون الرب "السيد المطاع"، ويكون الرب "المصلح")[٦].

ويقول ابن فارس[٧]: الراء والباء يدل على أصول:

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري الجاهلي، أحد أصحاب المعلقات، والبيت في معلقته (ص٢٨٣) انظر: شرح المعلقات العشر لأبي عبدالله الزوزني"ط. دار مكتبة الحياة-بيروت -لبنان(١٤٠٣هـ).

(٢) معاني القرآن (١/ ٥٩-٦٠).

(٣) معاني القرآن (٣/٤٢٨).

(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي(ص٣٢) ت:د. عبدالحسين مبارك، ط. مؤسسة الرسالة-الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

(٥) هو محمد بن القاسم بن بشار، أبو بكر، المشهور بابن الأنباري، إمام مقرئ ولغوي، من مؤلفاته: الزاهر في اللغة، وغريب الحديث، وعجائب علوم القرآن توفي سنة٣٢٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء(١٥/ ٢٧٤).

(٦) لسان العرب (١/ ٤٠٠-٤٠١).

(٧) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازى، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، =

فالأول: إصلاح الشيء، والقيام عليه . . . . والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزوم الشيء، والإقامة عليه. . . . .

والأصل الثالث: ضمُّ الشيء للشَّيء، وهو أيضاً مناسبٌ لما قبله، ومتى أُنْعِمَ النَّظرُ كان الباب كلُّه قياساً واحداً)[١].

وإطلاق الرب في الشرع ينصب على نفس الإطلاق اللغوي يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك: (والرب هو السيد، والمالك، والمنعم، والمربي والمصلح، والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها)[٢].

ويقول ابن جرير الطبري[٣] رحمه الله تعالى بعد أن ذكر معاني الربوبية الثلاثة التي ذكرها أبو جعفر النحاس (وقد يتصرف أيضًا معنى "الربّ" في وجوه غير ذلك، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة.

فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر)[٤].

= وأقام مدة في همذان، من أشهر كتبه: مقاييس اللغة، والمجمل، وجامع التأويل في التفسير، توفي في الري سنة ٣٩٥ هـ . سير أعلام النبلاء (١٧ / ١٠٣) .

(١) معجم مقاييس اللغة (ص٣٨١-٣٨٢).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم(٤ /٩٤٣)ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد ، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ الطبعة: الأولى.

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، الإمام، المؤرخ، المفسر ولد في آمل طبرستان سنة ٢٢٤ هـ، وسكن بغداد، وكان ثقة مجتهدًا فصيحًا . توفي ببغداد سنة ٣١٠ هـ، له مؤلفات منها: تفسير القرآن المسمي: جامع البيان في تفسير القرآن . أخبار الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري . انظر: سير أعلام النبلاء(١٤ /٢٦٧)، شذرات الذهب(٢ /٢٦٠).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١ /١٤٢)ت:أحمد شاكر، ط. الرسالة ١٤٢٠هـ

المطلب الثاني: أدلة الربوبية

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أدلة دالة على ربوبية الله جل وعز، وقد فرقها في كتبه بحسب ورودها في كتاب الله جل وعلا فتارة يكتفي بذكر أقوال السلف في الآية، وتارة يزيد المسألة بسطا وبحثا، ومن هذه الأدلة التي ذكرها رحمه الله تعالى:

الدليل الأول: الفطرة:-

عرف أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الفطرة بقوله: (الفطرة:ابتداء الخلق، ومنه M ! " L[1]ومنه فطر ناب البعير، ومنه فطرت البئر أي: ابتدأت حفرها، أي: ابتدأ خلقهم على أنهم يعلمون أن لهم خالقا ومدبرا، وفي الحديث عن النبي r : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) قال الأوزاعي[2] وحماد بن سلمة[3]: هذا مثل قوله تعالى:M 6 7 8 9 : ; < = > L[4] والمعنى على هذا:كل مولود يولد على العهد الذي أخذ عليه).

ثم قال عن هذا القول:(وهو قول أهل السنة وهو موافق للغة، ولا يجوز أن يكون منسوخا لأنه خبر، ولا يكون خاصا، وإنما أشكل معنى الحديث لأنهم تأولوا

---

(١) الشورى: ١١ .

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، إمام الديار الشامية وأحد الأئمة الأعلام الثقات، توفي ببيروت سنة ١٥٧هـ، انظر: حلية الأولياء(٦/١٣٥-١٤٩)وسير أعلام النبلاء (١٠٧/٧-١٣٤) .

(٣) هو أبو سلمة البصري، حماد بن سلمة بن دينار، إمام قدوة محدث من أئمة السلف، توفي سنة١٦٧هـ، انظر:سير أعلام النبلاء(٧/٤٤٤)، شذرات الذهب(١/٢٦٢).

(٤) الأعراف: ١٧٢ .

الفطرة على الإسلام، وإنما هي ابتداء الخلق)[(١)] .

الدراسة:

الفطرة لغة: مصدر فَطَر يفطر فطْرا .

والفطر يطلق ويراد به: الشق، والابتداء، والاختراع، والخلق[(٢)] .

وشرعاً: اختلف السلف في تفسير الفطرة شرعاً على أقوال متعددة، أبرزها: -

القول الأول: أن المراد بها الإسلام .

القول الثاني: أن المراد البداءة التي ابتدأهم عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة، والموت، والشقاء، والسعادة .

القول الثالث: أن معناها: ما أخذ الله من ذرية آدم من الميثاق قبل أن يخرجوا إلى الدنيا يوم استخرج ذرية آدم من ظهره فخاطبهم M B C E F H L[(٣)].

القول الرابع: أن المراد بالفطرة ما يقلب الله قلوب الخلق إليه بما يريد فقد يكفر العبد ثم يؤمن فيموت مؤمنا، وقد يؤمن ثم يكفر فيموت كافرا، فالفطرة عند هؤلاء ما قدره الله على عباده من أول أحوالهم إلى آخرها سواء كانت حالة واحدة لا تنتقل أو حالا بعد حال)[(٤)].

---

(١) معاني القرآن (٥/٢٦١٢٦٠-٢٦١).وانظر: (١/٢٧٤) (٢/١٩٥) (٣/١٠٢، ٢٨٤) إعراب القرآن (٣/٢٧١-٢٧٢) (٤/١٠٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٢٨٠٢)، معجم مقاييس اللغة (٨٤٣)، الصحاح (٢/٧٨١)، لسان العرب (٥/٥٥)، القاموس المحيط (ص٥٨٧).

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر (١٨/٥٧ومابعدها)ت:مصطفى العلوي ومحمد البكري، ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧، شرح السنة للبغوي (١/١٥٦-١٦١) ت: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - ١٤٠٣هـ - الطبعة: الثانية، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٢٥)ت:هشام =

والراجح -والله أعلم- أن المراد بالفطرة هو الإسلام، وهو ما عليه أكثر الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف، والأدلة على ذلك:-

أولا: قوله تعالىM فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ L[1] فقد أجمع أهل التأويل من السلف أن المراد بفطرة الله في هذه الآية دين الإسلام[2].

ثانياً: قول الرسول الله r : **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا ء هل تحسون فيها من جدعاء ؟)** ثم يقول أبو هريرة: إقرؤا إن شئتمM فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ ¶ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ L[3].

وفي رواية أخرى للحديث **(مامن مولود إلا وهو على الملة)**، وفي أخرى **(إلا على هذه الملة)**[4].

ودلالة هذا الحديث على أن المراد بالفطرة الإسلام من وجوه كثيرة، منها:-

١- روايات الحديث المختلفة التي تدل بمجموعها على أن المراد بالفطرة الإسلام.

٢- تفسير راوي الحديث أبي هريرة t الحديث بالآية، وهو أعلم بمعنى ماسمع.

= سمير بخاري، ط. دار عالم الكتب١٤٢٣هـ، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية(٣٥٩/٨-٤٣٥)، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٠١٦/٢-١٠٦٩) ت: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، ط. رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام – بيروت -الطبعة الأولى، ١٤١٨ . الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي القرني (ص٦٥-١٧٢)ط. دار المسلم١٤٢٤هـ.

(١) الروم: ٣٠.

(٢) انظر: التمهيد (٧٦/١٨)، درء تعارض العقل والنقل (٣٦٧/٨).

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) أخرجه البخاري:كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، برقم(١٣٨٥) (ص٢٢٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (برقم٢٦٥٨) (ص١١٥٧).

٣- أن النبي r ذكر ملل الكفر دون الإسلام فقال: يهودانه أوينصرانه أويمجسانه، ولم يقل يسلمانه، فدل ذلك على أنه المراد بالفطرة، وأنه يتحول منه إلى غيره بفعل الأبوين أوغيره .

وفي بيان أن الفطرة هي الإسلام معنى أن فيها قوة موجبة ومستلزمة للإقرار بالله عز وجل، ومحبته سبحانه والذل والخضوع له والإخلاص له سبحانه لا أن المولود يولد عالماً بالإسلام عاملاً به وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل أنه ولد على الفطرة أو على الإسلام أو على هذه الملة أو خلق حنيفاً فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإنه الله يقول:M µ ¶ ¸ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا L[1] ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقربه ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض)[2].

وأما اختيار أبي جعفر النحاس أن المراد بالفطرة: العهد والميثاق؛ فقد نسب هذا القول أيضا إلى جماعة من أهل العلم ومنهم: الأوزاعي، وحماد ابن سلمة، وحماد بن زيد[3]، وسحنون[4]، وقال به أيضا ابن قتيبة[5]

---

(١) النحل: ٧٨ .

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم(٢/٧٨٩)ط. العبيكان – الرياض١٤٢٠هـ ت:عمر الحفيان.

(٣) هو: حماد بن زيد بن درهم الأزدى الجهضمى، أبو إسماعيل البصرى الإمام، أحد الأعلام، قال ابن مهدى: ما رأيت أحدا لم يكن يكتب أحفظ منه ت(١٧٩ هـ) انظر:تهذيب التهذيب(٣/٩-١٠) .

(٤) هو سحنون هو عبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون التنوخي، فقيه مالكي أصله من حمص، كان مشهورا بالزهد والورع، أخذ المدونة في الفقه عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك توفي سنة ٢٤٠هـ (سير أعلام النبلاء١٢/٦٤-٦٩).

(٥) هو عبد اللهَّ بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزيل بغداد، خطيب أهل السنة، وكان رأسا في العربية واللغة =

وابن بطة[١] رحمهم الله تعالى، وغيرهم[٢] .

وقد استدل أصحاب هذا القول بالآثار الواردة في تفسير قوله تعالى M 6 7
8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H J K
L M N O P Q R L [٣]عن أناس من أصحاب النبي r قالوا:(لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول: وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم قالوا بلى: فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين، فقالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن ربه الله، ولا مشرك إلا وهو يقول إنا وجدنا آباءنا على أمة، فذلك قول الله عز وجل: وإذ أخذ ربك. . . . . . الآية، وذلك حين يقول:] وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا Z وذلك حين يقول:] X Y Z [ ] ^ _ ` Z يعني يوم أخذ عليهم الميثاق).[٤]

= والأيام وأخبار الناس، من مؤلفاته: تفسير غريب القرآن، تأويل مختلف الحديث، الاختلاف في اللفظ، الرد على الجهمية توفي سنة ٢٧٦ هـ انظر:سير أعلام النبلاء(١٣/٢٩٦-٣٠٢)، شذرات الذهب(٢/١٦٩).

(١) هوأبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، أحد أئمة أهل السنة، من مؤلفاته:الإبانة الكبرى، الإبانة الصغرى توفي سنة٣٨٧هـ انظر:سير أعلام النبلاء(١٦/٥٢٩)، شذرات الذهب(٣/١٢٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/٣١٦)، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص١٢٩) دار النشر: دار الجيل - بيروت ١٣٩٣، تحقيق: محمد زهري النجار، الإبانة "القدر"(٢/٧٢-٧٤).

(٣) الأعراف: ١٧٢ .

(٤) هذا الأثر أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (١٠/٥٦٠-٥٦١)إلا أنه ذكره من قول السدي، وابن =

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن قولهم هذا (هو توكيد لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والإقرار وهذا لا يخالف ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من أنهم يولدون على الملة وأن الله خلقهم حنفاء بل هو مؤيد لها)[١].

وأما قوله (إنهم في ذلك الإقرار انقسموا إلى طائع وكافر) في أثر السدي[٢] فهذا لم ينقل عن أحد من السلف هذا التفصيل عند أخذ الميثاق إلا عن السدي ولم يسنده وكأنه أخذه من الإسرائيليات[٣].

الدليل الثاني: الميثاق: -

تطرق أبو جعفر رحمه الله تعالى للكلام في الميثاق من خلال ذكره الخلاف في أخذ الميثاق المذكور في قول الله تعالى: :M 6 7 8 9 : ; < = >

? @ A B C E F H J K L M N O P Q

R L[٤]، وذلك بقوله: (وللعلماء في أخذ الميثاق قولان: -

أحدهما: أنه أخذ الميثاق حين أخرجوا من ظهر آدم r بأن الله عز وجل ربهم لا إله لهم سواه، وهذا مذهب العلماء من أصحاب الحديث منهم مجاهد .

والقول الآخر: أنه مجاز لما كانت آيات الله جل وعز بينة والدلائل واضحة وحكمته

= عبدالبر في التمهيد(١٨/ ٨٥).

(١) درء التعارض (٨/ ٤٤٠)

(٢) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب(١/ ٢٧٣-٢٧٤) (قال العقيلى: ضعيف، و كان يتناول الشيخين . و قال الساجى: صدوق فيه نظر . و حكى عن أحمد: إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذى يجيء به قد جعل له إسنادا و استكلفه و قال الطبرى: لا يحتج بحديثه)ط. دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤، الطبعةالأولى. وقال في التقريب(ص١٠٨):(صدوق يهم) ط. دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة .

(٣) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٢٢)، أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٣٦)، فتح الباري (٣/ ٣١٦) .

(٤) الأعراف: ١٧٢.

ظاهرة يشهد بها من رآها كان علمه بذلك بمنزلة أخذ الميثاق منه)[١] .

ثم اختار رحمه الله تعالى القول الأول وذلك بقوله:(أحسن ما قيل في هذا ما تواترت به الأخبار عن النبي ^ : **"إن الله جل وعز مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق")**[٢].

الدراسة:

الميثاق لغة:-

قال ابن فارس:(الواو والثاء والقاف كلمة تدل على عقد وإحكام . . . . . . والميثاق العهد المحكم)[٣].

وشرعاً: هو الإشهاد الذي أشهد الله تعالى بني آدم فيه على أنفسهم، وهو المذكور في الآية:M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H J K L M N O P Q R L[٤].

وقد اختلف أهل العلم في حقيقة استخراج ذرية آدم من صلبه على قولين:-

القول الأول: أن الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح على ظهره فأخرج منه ذريته كأمثال الذر، وهذا الإخراج كان لجميع الذرية، وجعل لهم عقولا يعقلون بها ما يعرض عليهم، ثم كلمهم الباري عيانا، وأخذ عليهم الميثاق بأنه ربهم المعبود، الذي لا إله غيره، وأنهم عبيده المربوبون، فأقروا بذلك ووقعت الشهادة عليهم بذلك، وأعلمهم أنه منزل عليهم كتبه، ومرسل إليهم رسله، مذكرة عهد الله وميثاقه، كما ورد في حديث أبي بن كعب t ، ثم أعادهم في ظهر أبيهم آدم عليه

---

(١) إعراب القرآن (٤/ ٣٥٢).

(٢) معاني القرآن (٣/ ١٠١)، وانظر:(١/ ٤٥٧)(٢/ ٢٧٧)(٣/ ١٣، ١٠١-١٠٢)إعراب القرآن(٢/ ١٠، ١٦١)(٣/ ٣٠٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة(٦/ ٨٥).

(٤) الأعراف: ١٧٢.

السلام فهم يتناسلون على ذلك إلى قيام الساعة . وهذا القول هو مذهب جمهور الصحابة والتابعين وجمهور المفسرين، وعامة أهل الأثر والحديث، وهو الذي رجحه أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى(١) .

وقد استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى منها جملة أبرزها:-

١- قوله تعالى:M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H J K L M N O P Q R L(٢)وقول عمر بن الخطاب t عند هذه الآية:سمعت رسول الله ^ سئل عنها فقال: **(إن الله جل وعز خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون)** فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله r : **(إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت فيدخله النار، قال: وليس الله تعالى بظالم له في هذه الحال، لأنه قد علم ما سيكون منه)**(٣) .

---

(١) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/٩٤٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٩/٣٧٥-٣٨٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/٢٨٣) ط: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ .
فتح القدير للشوكاني(٢/٢٦٢)ط. دار الفكر - بيروت، روح المعاني للألوسي (٩/١٠٢)ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٧٢٨)، السلسلة الصحيحة للألباني (٤/١٥٩)ط. مكتبة المعارف الرياض، الفطرة للباحث:علي القرني (٥٢٢-٥٢٣) .

(٢) الأعراف: ١٧٢ .

(٣) رواه مالك في "الموطأ"كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر (٢/ ٨٩٨)ط. دار إحياء التراث العربي – مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، و أحمد (١/ ٣٩٩)برقم(٣١١) ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة-الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، و أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر(٤/٣٦٣) برقم(٤٧٠٥)، والترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف (٥/٢٦٦)
=

٢- ما ورد عن أبي بن كعب t في قول الله عز وجل:M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H L[١] قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صورهم فاستنطقهم، فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئاً؛ إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا بذلك ورفع عليهم آدم ينظر إليهم فرأى الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال: رب لولا سويت بين عبادك. قال إني أحببت أن أشكر. . . . . الحديث)[٢].

٣- حكى أبو جعفر رحمه الله تعالى التواتر لهذه الأخبار[٣]، وفي هذا يقول الشوكاني[٤] رحمه الله تعالى: (وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا

= برقم(٣٠٧٥) وقال الترمذي:"حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقال ابن عبدالبر في التمهيد بعد ذكر الأسانيد(وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ^ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره جماعة يطول ذكرهم) التمهيد(٦/٦).

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/٥٥٧-٥٥٨)، والآجري في الشريعة(٢/٨٥٨)، وابن بطة في الإبانة(١/٣١٤-٣١٨)، والفريابي في كتاب القدر(ص٦٠-٦٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (ص٦١٩-٦٢١برقم٩٩١)، وقال الهيثمي في المجمع(٧/٩٦):(رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح).

(٣) معاني القرآن (٣/١٠١).

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه أصولي مفسر، أحد العلماء الأجلاء، من مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، التحف في مذهب السلف، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، توفي سنة(١٢٥٠هـ)البدر الطالع(٢/٢٠٤)، الأعلام(٦/٢٩٨).

المصير إلى غيره؛ لثبوته مرفوعا إلى النبي r ،وموقوفا على غيره من الصحابة، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل)[١].

٤ - رجح أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أثر مجاهد[٢] رحمه الله تعالى في قول الله تعالى:Mوَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا ´ µ ¶ ¸ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ L[٣] وذلك بقوله (وهذا أحسن الأقوال؛ يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق ثم كان السجود لآدم بعد)[٤].

القول الثاني:- ذكر أصحابه أنه لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة بالفعل، وإنما ذلك كله على سبيل المجاز، أو التمثيل فيكون المراد بأخذ الميثاق أحد أمرين:

أ-ما فطرهم الله عليه من التوحيد كما قال تعالى M فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ´ ¶ ¸ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ L[٥] وكما قال النبي r : **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة)**، وقد قال بهذا القول طائفة من علماء السلف كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن أبي العز الحنفي[٦] والسعدي[٧] رحمهم الله تعالى، وغيرهم[١] .

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/٣٨٢) .

(٢) هو مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج، إمام حافظ مفسر، أحد كبار التابعين، توفي سنة(١٠٢هـ)انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩).

(٣) الأعراف: ١١.

(٤) تفسير مجاهد (١/٢٣٢)، تفسير ابن جرير (١٠/٧٨-٧٩)، وانظر معاني القرآن (٣/١٣).

(٥) الروم: ٣٠.

(٦) هو أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الصالحي، حنفي المذهب، من أهل السنة، من مؤلفاته:شرح العقيدة الطحاوية توفي سنة(٧٩٢هـ):انظر:شذرات الذهب (٦/٣٢٦) الأعلام للزركلي(٤/٣١٣).

(٧) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، الإمام المفسر الفقيه، المشهور بعلمه وفضله، انتفع به خلق من =

ب- أن المراد منه نصب الأدلة لهم في أنفسهم أو في الكون، ثم ظهورها للعقول لئلا يقولوا إنما أشركنا على سبيل التقليد لآبائنا، لأن نصب أدلة التوحيد قائم معهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على تقليد الآباء في الشرك، وهذا قول بعض المفسرين وهو مذهب المعتزلة [٢]، وقد ذكر أصحاب هذا القول أن لاذكر في الآية للميثاق، والآثار الواردة في الإشهاد ضعيفة وفي هذا يقول ابن كثير رحمه الله تعالى (وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث. . . ابن عباس رضي الله عنهما وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان، . . . . ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد)[٣]. والجواب عن أدلة هذا القول ستأتي عند الترجيح.

الترجيح:- مما سبق يظهر -والله أعلم- رجحان القول الأول وهو ما اختاره أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى وذلك لما يلي:-

١- لأنه قول جمهور الصحابة والتابعين وأهل العلم من بعدهم .

٢- صحة الأحاديث الواردة في ذلك، وقد سبق أن ذكر تواترها غير واحد من أهل العلم .

= أهل العلم كان مولده في عام ١٣٠٧ هـ، ووفاته في عام ١٣٧٦ هـ من مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القول السديد في مقاصد التوحيد . انظر: علماء نجد خلال ستة قرون(٢/٤٢٢-٤٣١).

(١) درء التعارض (٨/٤٨٧)، أحكام أهل الذمة (٢/)، تفسير ابن كثير (٣/٥٠٦)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٣٠٨-٣١٠)، تفسير ابن سعدي (٣٠٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٩/٣٧٥-٣٧٧)، النكت والعيون للماوردي (٢/٢٧٧-٢٧٨)، الروح لابن القيم (ص٤٠٠)، الكشاف للزمخشري (٢/١٦٦)، روح المعاني للألوسي(٩/١٠١-١٠٢)، البحر المحيط لأبي حيان (٤/٤١٩-٤٢٠)ط.دار الكتب العلمية ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض-الأولى-١٤٢٢هـ] Z Z Y XW الأنعام: ٣٨، تفسير أبي السعود (٣/٢٨٩-٢٩٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٦)

٣- ليس في سياق الآية ما ينفي القول بموجب تلك الأحاديث ويبعده، بل فيه ما يؤيده ويدل عليه .

٤- موافقة هذا القول لمنهج السلف في تعاملهم مع هذه النصوص وأمثالها وذلك بما يوافق ظاهرها ولذا يقول الشيخ محمد خليل هراس[١] في القول الثاني:(نرى أنه بعيد عن ظاهر الآية، وأن القول به يحتاج إلى كثير من التكلف في تأويلها)[٢].

الدليل الثالث: دليل الآفاق:-

قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن دليل الآفاق من أدلة ربوبية الله تعالى؛فعند قول الله تعالى:M وَمِنْ ءَايَٰتِهِ © وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ´ ³ ¶ µ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ L[٣] يقول في معنى الآية: (أي: ومن علاماته التي تدل على قدرة الله ووحدانيته: الليل والنهار والشمس والقمر)[٤] ويقول في بيان معنى قول الله تعالى:M T U V W L[٥] (أي: جعلناهما دالين على أن خالقهما ليس كمثله شيء)[٦] .

وعند قول الله تعالى:M o p q r s t u

---

(١) هو الشيخ محمد خليل هراس، ولد سنة١٣٣٤هـ بمصر، وقد درس بالمملكة العربية السعودية، ثم عاد إلى مصر وبها توفي سنة ١٣٩٥هـ، من مؤلفاته:شرح العقيدة الواسطية، شرح القصيدة النونية لابن القيم، ابن تيمية السلفي.

(٢) دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس (ص٨٤)ط. دار الكتب العلمية.

(٣) فصلت: ٣٧.

(٤) معاني القرآن (٦/ ٢٧١).

(٥) الإسراء: ١٢ .

(٦) معاني القرآن(٤/ ١٢٨).

v x y z { | L[١] يقـول:(والمعنـى: ومـن آياتـه التـي تـدل عـلى وحدانيته وأنه لا شريك له ولا نظير)[٢].

الدراسة: -

دلت الأدلة المتكاثرة من كتاب الله تعالى على الحث على التفكر والنظر في ملكوت السماء والأرض، فمن الأدلة قول الله تعالى:M X Y Z [\ ] _ ` a b c d e f L[٣] وقوله تعالى:M z { | } ~ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ L[٤] وقوله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L[٥]

وهذا الدليل من الآيات العظيمة الدالة على ربوبية الله جل وعلا، فهذا الكون وما فيه من سماء وأرض وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب، وما حوته الأرض من جبال وأشجار وأنهار وغيرها مما خلق الله في السماوات والأرض لو تأملها الإنسان وتأمل صنيعها وإتقانها لدلته وأرشدته إلى أن هناك خالقا لهذه الأكوان، وأنه جل وعلا حكيم عليم، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: (وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال

---

(١) الروم: ٢٢.

(٢) معاني القرآن (٥ / ٢٥٣)، وانظر:إعراب القرآن(٣/١٤٧)و(٤/٦٧).

(٣) يونس: ١٠١، وانظر عند هذه الآية:تفسير الطبري(١٥/٢١٥)، تفسير البغوي(٤/١٥٣-١٥٤)، تفسير ابن كثير(٤/٢٩٩)، تفسير السعدي (ص٣٧٤).

(٤) الأعراف: ١٨٥، وانظر عند هذه الآية:تفسير الطبري (١٣/٢٩٠) تفسير ابن كثير(٣/٥١٧).

(٥) البقرة: ١٦٤، وانظر عند هذه الآية:تفسير البغوي(١/١٧٧)، تفسير السعدي(ص٧٨).

حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته)[١].

والمقصود أن الدلائل على تفرد الله جل وعلا بالوحدانية كثيرة واضحة، يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:(والحاصل أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع الكائنات، علم أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب براهين ودلالات على جميع ما أخبر به عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مدبرات مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها، فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا هو ولا رب سواه)[٢].

الدليل الرابع: دليل الأنفس:-

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما يدل على هذا الدليل عند قول الله عز وجل M r s u v L[٣] فقال:(وفيها أيضا آيات للسان والعين والكلام والقلب فيه العقل هل يدري أحد ما العقل وما كيفيته ففي ذلك كله آيات، " u v " أي: أفلا تتفكرون فتستدلوا على عظمة الله جل وعز وقدرته)[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٧) ط.دار الكتب العلمية –بيروت -لبنان.

(٢) تفسير السعدي(ص٧٨)، وانظر:دلائل التوحيد للقاسمي(ص١٥٣)ومابعدها ط.دار النفائس-الأولى-١٤١٢هـ، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد د.سعود العريفي(٢٦٥-٢٩٣)ط.عالم الفوائد-الرياض-السعودية-الطبعة الأولى-١٤١٩هـ.

(٣) الذاريات: ٢١ .

(٤) إعراب القرآن(٤ / ٢٤٠)، وانظر عند هذه الآية:تفسير الطبري(٢٢/ ٤١٩)، تفسير البغوي (٧/ ٣٧٥)، تفسير ابن كثير(٧/ ٤١٩).

كما أوضح أيضا عند قوله تعالى:M o p q r s t u v x y z { | L[1] ما يبن هذا الأمر فقال: (بين جل وعز آياته الدالة عليه بخلق السموات والأرض واختلاف اللسان في الفم واختلاف اللغات واختلاف الألوان والصور على كثرة الناس؛ فما تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر، فهذا من أدل دليل على المدبر والباري لأن من صنع شيئا غيره لم يكن فيه هذا التفريق)[2] .

وعند قول الله تعالى:M d e f g L[3] يقول:(المعنى ليس: يجب أن يدعو التفكر فيما بينه الله من خلقكم مما يدل على وحدانيته وأنه لا شبه له)[4].

الدراسة: -

لقد خلق الله الإنسان وصوره فأحسن خلقه كما قال تعالى M + , - . / 0 L[5] وجعله على هذه الصورة الجميلة المتميزة، M 9 : ; < > L فلو أن الإنسان أنعم النظر في نفسه وما فيها من عجائب خلق الله تعالى؛ فنظر إلى ظاهره وما فيه من كمال الخلقة في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات، وتأمل في نفسه التي بين جنبيه لعرف حق الله تعالى عليه كما قال تعالى:M 7 8 9 : ; < = > ? @ A L[6].

وقد ذكر الإمام ابن منده[7] -رحمه الله تعالى- في كتابه "التوحيد" فصولا تدل

---

(١) الروم: ٢٢، وانظر:تفسير الطبري(٢٠/ ٨٧)، تفسير ابن كثير(٦/ ٣٠٩)، تفسير السعدي(٦٣٩).

(٢) إعراب القرآن (٣/ ٢٦٩).

(٣) العلق: ٦.

(٤) إعراب القرآن - (٥ /٢٦٢) .

(٥) التين: ٤ .

(٦) الانفطار: ٦ – ٧.

(٧) هو الإمام الحافظ أبوعبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، ولد بأصبهان سنة(٣١٠هـ) =

على هذا المعنى[١]، وفي كون هذا الدليل من أدلة الربوبية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:(فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل به وبينه واحتج به فهو دليل شرعي لان الشارع استدل به وأمر أن يستدل به وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته)[٢].

وفي هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:(لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب وانقشعت عنه ظلمات الجهل)[٣].

وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند بيانه لمعنى بعض الآيات أن أدلة الربوبية يحتج بها على إثبات توحيد الإلهية؛ ففي بيان معنى قول الله تعالى:

= وتوفي سنة (٣٩٥هـ)، من مؤلفاته:كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد، كتاب الإيمان، الرد على الجهمية. انظر:طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/ ١٦٧)سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨-٤٣).

(١) التوحيد للحافظ ابن منده (١/ ١٠٤-٢١٨) ط.مكتبة العلوم والحكم.ت:د.علي الفقيهي-الطبعة الأولى (١٤٢٣).

(٢) النبوات (١/ ٢٩٢-٢٩٣).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١ / ١٨٨)، وانظر:مجموع الفتاوى(٢/ ١١-١٤)، درء تعارض العقل والنقل(٨/ ٢٥-٣٣)الأدلة العقلية النقلية (٢٤٤-٢٦٠).

M وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ L[1] يقول:(أي: فتعتبرون وتعلمون أن العبادة لا تصلح إلا لمن خلق هذه الأشياء) [2]

وعند قول الله تعالى:M e f g h i j k l L[3] يقول في معناها: (أمره الله أن يحتج عليهم بأنه متبع أمر من هم مقرون به لأنهم مقرون بأن الله عز وجل خالقهم فأمروا أن يعبدوا من خلقهم وحده)[4].

وفي بيان هذا المعنى من ذكر التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذه طريقة القرآن الكريم يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة، وإذا كان وحده هو ربنا ومالكنا وإلهنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا إليه ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعي ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه ولا يتوكل إلا عليه؛ لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك وولي شأنك وهو ربك فلا رب سواه أو تكون مملوكه وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه)[5].

---

(١) الذاريات: ٤٧ - ٤٩ .

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٢٥٠).

(٣) آل عمران: ٢٠.

(٤) معاني القرآن (١ / ٣٧٣)و(٦/ ١٦٦، ٢٨٧) وانظر:إعراب القرآن(٣/ ٩٤، ٩٥).

(٥) بدائع الفوائد(٢/ ٧٨٠) .

المطلب الثالث: حكم أطفال المشركين

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M = > ? L[١] ما نصه:(صح عن ابن عباس y أنه استدل بهذه الآية على أن الأطفال كلهم في الجنة قال: لأن الله جل وعز قد انتصر لهم ممن ظلمهم)[٢][٣].

ولما ذكر الآثار الواردة في قول الله تعالى:M وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ L[٤] قال: (وفي الأحاديث تأويل آخر فيه لطف ودقة وهو أن الله جل وعز إنما قال:M وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ L[٥] ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب فليس يجب للإنسان إلا ما سعى فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء إلا أن الله جل وعز يتفضل عليه بما لم يجب له كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل قال أبو جعفر: فعلى هذا يصح تأويل الأحاديث)[٦].

الدراسة:

إن مسألة أطفال المشركين من المسائل التي عرض لها العلماء قديما وحديثا، وتباينت فيها أنظارهم واختلفت فيها مشاربهم، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (والمسألة التي وسعوا فيها الكلام هي مسألة أطفال المشركين)[٧].

وبعد النظر في الأقوال في المسألة ظهر لي أن أبرز تلكم الأقوال وأقواها ثلاثة: -

---

(١) التكوير: ٨ .

(٢) إعراب القرآن (٥/١٥٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٤٠٤) وأورده ابن كثير في تفسيره (٨/٣٣٤) .

(٤) النجم: ٣٩.

(٥) النجم: ٣٩.

(٦) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣/٤٨).

(٧) طريق الهجرتين (ص٦٨٥).

القول الأول: - أنهم في الجنة وهذا ما ذهب إليه الإمام البخاري، والقرطبي والنووي[١]، وظاهر كلام الحافظ ابن حجر[٢] وغيرهم[٣] رحمهم الله تعالى، واحتج هؤلاء بما يلي: -

١ - حديث سمرة بن جندب t قال:كان رسول الله r مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى منكم رؤيا ؟ قال فنقص عليه ما شاء الله أن نقص وأنه قال لنا ذات غداة: **(إني أتاني الليلة آتيان)** . . . . فذكر الحديث وفيه: فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط وفيه:" وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة . فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين، فقال الرسول r : وأولاد المشركين)[٤] . فهذا الحديث الصحيح صريح في أنهم في الجنة ورؤيا الأنبياء وحي [٥].

٢ - قوله تعالى:M 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B

(١) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني أبو زكريا فقيه شافعي محدث، له مصنفات شهيرة في الفقه والحديث منها المجموع شرح المهذب ولم يتمه، ومنهاج الطالبين، وشرح صحيح مسلم، وتهذيب الأسماء واللغات توفي سنة ٦٧٦ هـ، انظر طبقات الشافعية الكبرى (١٦٥/٥) وشذرات الذهب(٣٥٤/٥ – ٥٣٦) .

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل، شافعي المذهب، أحد أعلام الحديث وعلله، من مؤلفاته النافعة: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تهذيب التهذيب انظر: شذرات الذهب(٢٧٠/٧)، البدر الطالع(١٦١/١-١٦٣).

(٣) فتح الباري (٣١٢/٣) السلام، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨٠/٩)، شرح صحيح مسلم (٢٠٨/١٦)ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢، الفصل في الملل والنحل(٦٢/٤)ط. مكتبة الخانجي – القاهرة . الكشاف (٧٠٩/٤)ط. إحياء التراث العربي – بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي، روح المعاني(١٠٩/٩ ومابعدها)ت. محمود الألوسي أبو الفضل ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) أخرجه البخاري بطوله في كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح: الفتح (٤٣٨/١٢).

(٥) طريق الهجرتين (٦٩٣) .

C E F H J K L M N O P Q R L[١] فقد استدل بهذه الآية من قال: إن من مات صغيرا دخل الجنة لإقراره في الميثاق الأول[٢] وبقوله تعالى: Mوَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا L[٣] وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله بالرسل فلا يعذبهم .

٣- قول النبي r مرفوعاً: **(النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والموءودة في الجنة)** وفي لفظ: **(والوئيد في الجنة)**[٤] .

٤- حديث أنس t عن النبي r أنه قال: **(سألت ربي عن اللاهين من ذرية البشر فأعطانيها)**[٥] .

واللاهون:" الأطفال" كما في بعض روايات الحديث[٦] .

قال ابن عبد البر[٧]: (إنما قيل للأطفال اللاهين، لأن أعمالهم كاللهو واللعب

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٩/ ٣٨٠).

(٣) الإسراء: ١٥ .

(٤) رواه أحمد (٥/ ٥٨ و٤٠٩) وأبو داود (٤/ ٣٦٦) كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة، والبيهقي في الكبرى (٩/ ١٦٣)كتاب السير، باب فضل الشهادة في سبيل الله من طرق عن عوف - هو الأعرابي - عن خنساء به .
والحديث حسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري(٣/ ٢٩٠).

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/ ٢٦٧)(رقم ٣٥٧٠)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٠٢)، وقال الحافظ في الفتح (٣/ ٢٩٠):(إسناده حسن) . والحديث حسنه الشيخ الألباني بمجموع الطرق في السلسة الصحيحة (رقم ١٨٨١)(٤/ ٥٠٢) فقال:(وجملة القول أن الحديث حسن عندي بمجموع طرقه).

(٦) معجم الطبراني الكبير(١١/ ٣٣٠) برقم(١١٩٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٧/ ٢١٧):(فيه هلال بن خباب وهو ثقة وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح).وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (٤/ ٥٠٤).

(٧) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عاصم، النميري المالكي، أبو عمر، أحد الأئمة الأعلام، من مؤلفاته:التمهيد، جامع بيان العلم وفضله، الاستيعاب، توفي سنة(٤٦٣هـ)انظر:سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣)، شذرات الذهب(٣/ ٣١٤).

من غير عقد ولا عزم، من قولهم: لهيت عن الشيء أي لم أعتمده، كقوله تعالى: M 5 6 L[١])[٢] فالحديث من الأدلة على أن أطفال الكفار في الجنة .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق بعضا من هذه الأدلة: (وهذه حجج كما ترى قوة وكثرة ولا سبيل إلى دفعها)[٣].

ويقول النووي رحمه الله تعالى:(وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون)[٤] .

القول الثاني: الوقف فيهم وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار بل يوكل علمهم إلى الله تعالى ويقال: الله أعلم ما كانوا عاملين، وهذا القول (ذكره ابن عبد البر عن حماد بن سلمة، و حماد بن زيد، و ابن المبارك[٥]،و إسحاق بن راهويه[٦]، قال: وعلى ذلك أكثر أصحاب مالك)[٧] رحمهم الله تعالى واحتج هؤلاء بحجج منها:

١ - حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال:**(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمة من بهيمة جمعاء هل يحس فيها من جدعاء)** قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: **(الله أعلم بما**

---

(١) الأنبياء: ٣.

(٢) التمهيد (١٨/ ١١٧).

(٣) طريق الهجرتين (ص٦٩٧).

(٤) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٨).

(٥) هو عبدالله بن المبارك الحنظلي مولاهم المروزي، أبو عبدالرحمن، أحد أئمة السلف علما وعملا، من مؤلفاته: كتاب الزهد، توفي سنة(١٨١هـ) انظر: سير أعلام النبلاء(٨/ ٣٧٨)، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥).

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي الحنظلي ثم المروزي، أبو يعقوب والمشهور بإسحاق بن راهويه، أحد أئمة السلف، من مؤلفاته:المسند، كتاب التفسير، توفي سنة ٢٣٨هـ انظر:سير أعلام النبلاء(١١/ ٣٥٨).

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٣٥).

كانوا عاملين)[١] .

٢- حديث ابن عباس t أن النبي r سئل عن أولاد المشركين فقال:**(الله أعلم بما كانوا عاملين)**[٢] .

٣- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله r : **(لا يزال أمر هذه الأمة قواما أو مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر)** قال أبو حاتم: "الولدان" أراد به أطفال المشركين [٣]. وفي الجواب عن هذا الحديث يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وبالجملة فإنما يدل على ذم من تكلم فيهم بغير علم . . . . ، وأما من تكلم فيهم بعلم وحق فلا يذم)[٤] ثم قال: (في استدلال هذه الفرقة على ما ذهبت إليه من الوقف بهذه النصوص نظر؛ فإن النبي e لم يجب فيهم بالوقف وإنما وكل علم ما كانوا يعملون لو عاشوا إلى الله سبحانه وتعالى والمعنى: الله أعلم بما كانوا يعملون لو عاشوا؛ فهو سبحانه وتعالى يعلم القابل منهم للهدى العامل به لو عاش، والقابل منهم للكفر المؤثر له لو عاش)[٥].

القول الثالث: أنهم يمتحنون في عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه أدخله النار

---

(١) رواه البخاري (برقم٦٥٩٩)كتاب القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين(ص١١٤١)، ومسلم (برقم٦٧٦٠) كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة(ص١١٥٨).

(٢) رواه البخاري(برقم٦٥٩٧)في القدر، باب: الله أعلم بما كانوا عاملين(ص١١٤١)، ومسلم (برقم٦٧٦٢)كتاب القدر، باب حكم موتى أطفال الكفار وأطفال المسلمين(ص١١٥٩).

(٣) الحديث رواه ابن حبان في صحيحه (١/٣٤١)، والحاكم(١/٣٣)، والطبراني في الكبير (١٢/١٦٢) برقم(١٢٧٦٤) والحديث قال عنه الحاكم(هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لا نعلم له علة ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٢٤):(رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح).

(٤) تهذيب سنن أبي داوود (١٢/٣٢١).

(٥) طريق الهجرتين (٦٨٧-٦٨٨).

وبهذا قال جمع من أهل العلم كالبيهقي، [١] وكشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والحافظ ابن كثير رحمهم الله تعالى[٢].

واستدلوا: بأنه قد جاءت بذلك آثار كثيرة يؤيد بعضها بعضا فمنها حديث الأسود بن سريع t أن النبي r قال: **(أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع، ورجل هرم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، أما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما)**[٣].

والجواب عما استدل به أصحاب هذا القول: أن الصحيح من تلك الأدلة ليس في شيء منها ذكر المولود، كما قرر ذلك غير واحد من المحققين كابن عبدالبر وابن حزم، وهو ظاهر كلام ابن حجر، ثم إن هذه الأحاديث معارضة بما هو أقوى منها[٤].

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله البيهقي، المحدث، أحد علماء الشافعية الكبار، من مؤلفاته: الأسماء والصفات، السنن، دلائل النبوة توفي سنة(٤٥٨هـ) انظر:سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣)، شذرات الذهب(٣/ ٣٠٤).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٥) وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٩)الاعتقاد للبيهقي (ص١٨٤-١٨٦) ت:فريح البهلال، ط.رئاسة البحوث العلمية بالسعودية-الأولى-١٤١٨هـ، تفسير ابن كثير (٥/ ٥٧-٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد(٢٦/ ٢٢٨) برقم(١٦٣٠١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٦) برقم(٧٣٥٧)، والبيهقي في الاعتقاد(ص١٦٩) يقول الهيثمي في المجمع (٧ / ١٤٠):(هذا لفظ أحمد ورجاله في طريق الأسود بن سريع وأبي هريرة رجال الصحيح وكذلك رجال البزار فيهما) وصححه شعيب الأرنؤط في تعليقه على الحديث عند ابن حبان.

(٤) التمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٦٧)، الفصل (٤/ ٦٣)، فتح الباري (٣/ ٢٤٦-٢٤٨).

ومما سبق يظهر أن الأقرب والله أعلم القول الأول "أنهم في الجنة "لقـوة أدلتـه، وضعف إجابة أصحاب الأقوال الأخرى عـن أدلـة هـذا القـول، وهـذا القـول هـو اختيار أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في هذه المسألة.

المبحث الثاني:

آراؤه في توحيد الألوهية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الألوهية.

المطلب الثاني: فضل كلمة التوحيد .

المطلب الثالث: معنى العبادة وشروطها.

المطلب الرابع: أنواع العبادة .

المطلب الأول: معنى الألوهية

ذكر أبو جعفر النحاس -رحمه الله- الخلاف في اشتقاق لفظ الجلالة] . Z وذلك بقوله:(قال الكسائي والفراء: معنى بسم الله باسم الإله، وتركوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارت لاما مشددة كما قال عز وجل:] L M N O Z ومعناه: لكن أنا هو الله ربي كذلك قرأها الحسن، ولسيبويه في هذا قولان: **أحدهما**: أن الأصل إله، ثم جيء بالألف واللام عوضا من الهمزة وكذلك الناس عنده الأصل فيه أناس.

والقول الآخر -هو أيضا قول أصحابه-: أن الأصل "لاه" ثم دخلت عليه الألف واللام وأنشدوا:-

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني[(١)]

وقال كذلك: (قال سيبويه: الأصل إله، وقال الفراء: الأصل "الإله" ثم ألقيت حركة الهمزة على اللام ثم أدغم، فالتقدير قاتلوا الذين لا يؤمنون بالإله الذي لا تصلح الألوهة إلا له)[(٢)].

كما أوضح أن مقتضى كلمة التوحيد الكفر بما يعبد من دون الله فقال:(قوله تعالى: Mوَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ L[(٣)] (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي: البيان بأن لا معبود سواه، وأن عبادة هذه الأشياء شرك وكفر)[(٤)]، وبين أيضا معنى الكلمة

---

(١) معاني القرآن(١/٥٢-٥٣)،والبيت لذي الأصبع العدواني انظر:شرح أمالي القالي للبكري(١/٢٨٩-٢٩٠).

(٢) معاني القرآن١/٥٢-٥٣.

(٣) النجم: ٢٣.

(٤) إعراب القرآن (٤ / ٢٧٢).

التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه عند قول الله تعالى:M a b c d e f g L[١] فقال في معناها:(وجعل تبرؤه من كل ما يعبدون من دون الله جل وعز وإخلاصه التوحيد لله عز وجل)[٢].

الدراسة: -

لفظ الجلالة [الله] هو أعظم أسمائه سبحانه وأجمعها حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع، وهو أحد تأويلي قوله تعالى:M * + , - L[٣] أي: من تسمى باسمه الذي هو الله [٤].

ويقول العلامة ابن القيم -رحمه الله-:(جميع أهل الأرض علمائهم وجهالهم ومن يعرف الاشتقاق ومن لا يعرفه وعربهم وعجمهم يعلمون أن الله اسم لرب العالمين خالق السموات والأرض الذي يحيي ويميت وهو رب كل شيء ومليكه فهم لا يختلفون في أن هذا الاسم يراد به هذا المسمى وهو أظهر عندهم وأعرف وأشهر من كل اسم وضع لكل مسمى وإن كان الناس متنازعين في اشتقاقه فليس ذلك بنزاع منهم في معناه)[٥].

وقد اختلف العلماء في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع علم للذات ؟
فذهب إلى أنه مشتق جمع من أهل العلم[٦]، واستدلوا عليه بما يلي:-
١ - قول رؤْبَة بن العَجّاج[٧]:

---

(١)الزخرف: ٢٨.
(٢) إعراب القرآن (٤ / ١٠٦).
(٣) مريم: ٦٥ .
(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للقرطبي(ص٢٧٩) بتصرف يسير.
(٥) الصواعق المرسلة (٢/٧٥٠).
(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١/١٥٧-١٥٨)، اشتقاق أسماء الله للزجاجي(ص٢٣) .
(٧) هو أبو الجحاف رؤبة بن العجاج السعدي التميمي، من أشهر الرجاز، انظر:الشعر والشعراء (٢/٢٩٥)، والبيت في ديونه(١/١٦٥).

لله در الغانيـــات المُـــدّه　　　　سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر، وهو التأله، من أله يأله إلاهة وتألهًا[١].

٢- أن ابن عباس t قرأ: "ويذرك وَإلاهَتَك" قال: عبادتك[٢]،أي: أنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد، وكذا قال مجاهد وغيره.

٣- استدل بعضهم على كونه مشتقا بقوله تعالى:I G F E DC B M J K L M N L[٣] أي: المعبود في السماوات والأرض، كما قال تعالى:M v w x y z { | { وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ L[٤].

القول الثاني: القول بعدم الاشتقاق وذهب إليه جماعة من العلماء أيضا منهم الشافعي والبيهقي والخطابي[٥] وابن حزم[٦] رحمهم الله تعالى وغيرهم وروي عن الخليل[٧] وسيبويه[٨][١]، وأدلتهم: -

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٦٧)، مختار الصحاح (ص٩) .

(٢) أورده ابن جرير في تفسيره (١/ ١٢٢)من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) الأنعام: ٣ .

(٤) الزخرف: ٨٤.

(٥) هو حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي الشافعي، المحدث الفقيه اللغوي، من مؤلفاته: الغنية عن الكلام وأهله، غريب الحديث، معالم السنن، توفي سنة(٣٨٨هـ)انظر: سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٣)، شذرات الذهب (١٢٧/٣).

(٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، أحد كبار الظاهرية، من مؤلفاته:المحلى، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الدرة فيما يجب اعتقاده، توفي سنة(٤٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، شذرات الذهب (٢٩٩/٣).

(٧) هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي البصري، أحد أئمة العربية، ذا دين وورع، من مؤلفاته:كتاب العين، توفي بالبصرة سنة(١٧٠هـ)انظر:طبقات النحويين واللغويين(٤٧-٥١)بغية الوعاة (٥٥٧/١-٥٦٠).

(٨) هوعمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري، إمام النحو، صنف "الكتاب" في النحو توفي سنة

=

١ - أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس، فدل أنه ليس بمشتق.

٢ - قالوا: إن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق[٢] .

يقول ابن القيم في الإجابة عن هذا القول: (ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، لكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى . . . (وهي) مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله، ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، . . . . ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى)[٣].

ومما سبق يتبين موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لأكثر أهل العلم في القول باشتقاق اسم الله تعالى "الله"، و أنه من أله يأله إلهة، وأنه ذو الألوهة التي لاتصلح إلا له سبحانه وتعالى.

❋ ❋ ❋

= (١٨٠هـ)على الأرجح، انظر: سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٥١)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص٤٩).

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي(١ /٥٨-٥٩) ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي – جدة، الطبعة: الأولى.، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(١ /١٥٧-١٥٨).

(٢) بدائع الفوائد(١ /٢٦-٢٧).

(٣) بدائع الفوائد (١ /٢٦-٢٧).

المطلب الثاني: فضل كلمة التوحيد

تكاثرت النصوص من كتاب الله جل وعز، وسنة رسوله e في بيان فضائل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ولما كانت جل مؤلفات أبي جعفر النحاس رحمه الله متعلقة بكتاب الله جل وعز، فلا عجب أن يعرض لبيان أهمية هذه الكلمة العظيمة وذلك من خلال نقله لكلام السلف في تلكم الآيات، ومن أبرز الفضائل لتلك الكلمة العظيمة مما عرض له أبو جعفر رحمه الله تعالى:-

١- أن هذه الكلمة هي كلمة التقوى التي ألزم الله الصحابة بها وذلك في قول الله تعالى: M r s t u v w x | L[(١)] فقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى تفسيرها بقوله: (يروى عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وسلمة بن الأكوع رحمهم الله قالوا: كلمة التقوى "لا إله إلا الله")[(٢)].

٢- أنها القول السديد الذي أمر الله به في قوله تعالى: M z { | L[(٣)] فقد نقل أبوجعفر رحمه الله تعالى ماروي عن عكرمة[(٤)] رحمه الله قال: (لا إله إلا الله، وما أشبهها من الصدق والصواب)[(٥)].

٣-أنها الزكاة التي توعد الله المشركين الذين لم يأتوا بها وذلك في قول الله تعالى:

---

(١) الفتح: ٢٦.

(٢) انظر في هذه الآثار: تفسير الطبري(٢٢/٢٥٣-٢٥٤)، الأسماء والصفات للبيهقي(١/٢٦٣-٢٦٨)، تفسير ابن كثير(٧/٣٢٦)، الدر المنثور (٧/٥٣٧)،وانظر:إعراب القرآن(٤/٢٠٣) .

(٣) الأحزاب: ٧٠ .

(٤) هو عكرمة القرشي العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله، المدني، البربري الاصل، كان أعلم تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما بالتفسير، توفي سنة(١٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء(٥/١٢)شذرات الذهب(١/١٣٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٩/١٩٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٢١٨) وذكره البغوي (٦/٣٧٩)، وابن كثير(٦/٤٨٨)،وانظر:إعراب القرآن(٣/٣٢٨).

M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c L[١] وقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى في معنى الآية أقوالا عدة، ثم قال:(فمن أصح ما روي فيه وأحسنه استقامة إسناد ما رواه عبيد الله[٢] عن نافع[٣] عن ابن عمر قال: التوحيد لله جل وعز، وروى الحكم بن أبان[٤] عن عكرمة (لا يؤتون الزكوة) قال: لا يقولون لا إله إلا الله)[٥].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (وأصل الزكاة: التوحيد والإخلاص، كما فسرها بذلك أكابر السلف)[٦].

٤ - أنها الكلمة التي تعصم دم من قالها، وقد أسند أبو جعفر رحمه الله تعالى(حديث جابر t أن رسول الله r قال: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)** ثم تلا: (إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)[٧] .

٥ -أنها الحسنة العظيمة التي من جاء بها ضاعفها الله له، وقد أورد أبو جعفر رحمه الله تعالى عند قوله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + L[٨]

---

(١) فصلت: ٦ – ٧.

(٢) هو عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي العمي المدني أبو عثمان أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة(١٤٧هـ) انظر: تهذيب التهذيب - (٧ / ٣٥).

(٣) هو أبو عبد الله نافع القرشي، ثم العدوي العمري الامام المفتي الثبت، عالم المدينة،، مولى ابن عمر وراويته، توفي سنة(١١٧هـ)انظر: سير أعلام النبلاء - (٥ / ٩٥).

(٤) هو الحكم بن أبان العدني، أبو عيسى، من الذين عاصروا صغار التابعين، توفي سنة (١٥٤هـ) انظر:تهذيب التهذيب(٢ /٢٦٣).

(٥) إعراب القرآن (٤/ ٤٨) والآثار في: تفسير ابن جرير(٢٠ /٣٧٩-٣٨٠)، وذكرها ابن كثير(٧ /١٦٤)، والبغوي(٧ /١٦٤)، وانظر:الأسماء والصفات للبيهقي(١ /٢١٨).

(٦) مجموع الفتاوى(١٧ /١٤٥-١٤٦).

(٧) أخرجه مسلم بهذا اللفظ (برقم١٢٨)كتاب الإيمان، باب الأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ (ص٣٣).

(٨) النمل: ٨٩.

قول من فسرها من السلف: (الحسن[١] ومجاهد وقيس بن سعد[٢] من جاء بالحسنة "بلا إله إلا الله" ومن جاء بالسيئة "الشرك") ثم قال أبو جعفر: ولا نعلم أحدا من أهل التفسير قال غير هذا)[٣].

٦ -أنها القول الصواب المذكور في قول الله تعالى:M H G I J K M N O P Q R S T U L[٤] قال أبو جعفر:(وقال صوابا في الدنيا أي: قال لا إله إلا الله)وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وغيرهم[٥]،والآية محتملة لهذا المعنى وغيره، وفي هذا يقول الحافظ ابن كثير:(وقوله M T U L أي: حقا، ومن الحق: "لا إله إلا الله")[٦].

٧- أنها دعوة الحق في قول الله تعالى:M ! " # L[٧] وقد ساق أبو جعفر بإسناده ما روي في معناها فقال:(عن ابن عباس t قال: لا إله إلا الله، وكذلك قال قتادة والضحاك)[٨] .

٨ -أنها الكلمة التي جعلها الله في عقب خليله إبراهيم e وذلك في قول الله تعالى

(١) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار أبو سعيد، أحد أئمة التابعين، توفي سنة(١١٠هـ)انظر: سير أعلام النبلاء(٤٥٦٣).

(٢) هو قيس بن سعد ابن عبادة بن دليم، أبو عبد الله، سيد الخزرج وابن سيدهم أبي ثابت، الانصاري الخزرجي الساعدي، صاحب رسول الله ^ . انظر:الإصابة(٥/ ٤٧٣)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠٢).

(٣) معاني القرآن(٥/ ١٥١)، وانظر:تفسير البغوي(٦/ ١٨٣-١٨٤)، تفسير ابن كثير(٦/ ٢١٧).

(٤) النبأ: ٣٨ .

(٥) أخرج هذه الآثار: ابن جرير الطبري في التفسير(٢٤/ ٥٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢٠٥) والطبراني في الدعاء(ص٥٠١)، وانظر:تفسير البغوي(٨/ ٣١٨)، تفسير ابن كثير(٨/ ٣١٠).

(٦) تفسير ابن كثير(٨/ ٣١٠) ،وانظر:إعراب القرآن(٥/ ١٣٧).

(٧) الرعد:١٤.

(٨) أخرج هذه الآثار:الطبري في التفسير(١٣/ ٤٨٥-٤٨٦) والطبراني في الدعاء(ص٥٠٢)ط. دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٨هـ ت:سامي أنور،وانظر:معاني القرآن(٣/ ٤٨٥).

عنه: M a b c d e f g L[1] فقد ساق أبو جعفر الآثار في هذه الآية بقوله: (قال مجاهد: "كلمة باقية" لا إله إلا الله، وقال قتادة: التوحيد والإخلاص في عقبه)[2].

ثم فصل أبو جعفر رحمه الله تعالى القول في بيان معناها فقال: (أي: وجعل تبرؤه من كل ما يعبدون من دون الله جل وعز وإخلاصه التوحيد لله عز وجل، والفاعل المضمر في جعلها يجوز أن يكون عائدا على قوله الذي فطرني أي: وجعلها الله تعالى كلمة باقية في عقبه، وأهل التفسير على هذا أنه لا يزال من ولد إبراهيم ^ موحدون.

وقيل: الضمير عائد على إبراهيم؛ أي: عرفهم التوحيد والتبرؤ من كل معبود دون الله جل وعز فتوارثوه فصار كلمة باقية في عقبه)[3].

---

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) معاني القرآن(٦/ ٣٤٩) وقد أخرج هذه الآثار: الطبراني في الدعاء(ص٤٩١)، ابن جرير في التفسير(٢١/ ٥٨٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات(١/ ٢٢١).

(٣) إعراب القرآن(٣/ ١٠٦).

المطلب الثالث: معنى العبادة، وشروطها:

أولا: معنى العبادة: -

بيَّن أبوجعفر رحمه الله تعالى معنى العبادة لغةً وشرعاً بقوله: (والعبادة في اللغة الطاعة مع تذلل وخضوع، يقال طريق معبَّد إذا كان قد ذلل بالوطء، وبعير معبَّد إذا طلي بالقطران أي امتهن كما يمتهن العبد، قال طرفه[١]: -

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبَّد

أو يقال: عبد من كذا أي: أنف منه)[٢]

وقال كذلك: (يقال عبَده يعبده إذا ذل له أشد الذل، ومنه بعير معبَّد أي: مذلل بالقطران ومنه طريق معبَّد ومنه يقال: عبدت أعبد إذا أنفت)[٣] .

الدراسة:

العبادة لغة: مصدر عبد يعبد عبادة، وتطلق في اللغة على معان عدة ذكر مجملها أبو جعفر النحاس ومن ذلك: الذلة والخضوع، والامتهان، والطاعة، والأنفة [٤].

أما تعريف العبادة شرعاً:

فقد تنوعت عبارات العلماء في ذلك مع اتفاقهم على المعنى[٥]، وأشمل ماقيل في تعريفها: -

---

(١) هو عمرو ابن العبد الملقب ب(طرفة) من بني بكر بن وائل، شاعر جاهلي، والبيت في معلقته:انظر شرح المعلقات العشر للزوزني (ص١١١)ط،مكتبة الحياة ببيروت ١٤٠٣هـ.

(٢) معاني القرآن(١/ ٦٤) .

(٣) معاني القرآن (٢/ ٣٣١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري(٢/ ١٣٨-١٣٩)، لسان العرب(٣/ ٢٧٣)، القاموس المحيط(٣٧٨-٣٧٩).

(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان(ص٣٠)ط. دار ابن الجوزي.

أن العبادة بمفهومها العام -من جهة فعل العابد- هي "التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه"[١].

أما المفهوم الخاص للعبادة -من جهة المتعبد به- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام)[٢].

وفي العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي يقول القرطبي رحمه الله:(وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى)[٣].

ثانيا: شروط العبادة:-

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شروط العبادة وذلك من خلال شرحه وبيانه لمعاني الآيات، ففي بيان معنى الشرط الأول وهو الإخلاص، يقول رحمه الله:(وقوله جل وعز:M ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ Î L[٤] قال مجاهد: يعني الرياء، وقال سعيد بن جبير[٥]: أي لا يرائي، وقال كثير بن زياد[٦]:سألت الحسن عن قوله فمن

---

(١) تقريب التدمرية للشيخ العثيمين (ص١٢٩)ط. مكتبة السنة بمصر ١٤١٣هـ، وانظر: المخصص - لابن سيده(٤/٦٣) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ الطبعة: الأولى تحقيق: خليل إبراهم جفال.

(٢) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية(ص١٧)ت:علي بن حسن، ط. دار المغني الرابعة١٤٢٥هـ.

(٣) نقله عنه الشيخ سليمان بن عبدالله في التيسير(١/١٣٨)وانظر الجامع للقرطبي(١/٢٢٣).

(٤) الكهف: ١١٠ .

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي، التابعي الحافظ والمفسر، قتله الحجاج سنة(٩٥هـ) انظر:تهذيب التهذيب(٤/١١-١٤)، سير أعلام النبلاء(٤/٣٢١-٣٤٣).

(٦) كثير بن زياد أبو سهل البرساني الأزدي العتكي البصري، من أكابر أصحاب الحسن البصري،انظر: تهذيب التهذيب - (٨ / ٣٧٠).

كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فيمن نزلت؟ فقال: نزلت في المؤمن. قلت:أيكون مشركا، فقال: يشرك في العمل إذا عمل عملا أراد الله له والناس، وذلك الذي يرد عليه)[١].

كما ذكر أن قول الله جل وعلا:M P Q R S T L معناه:لا تعبد معه غيره، وقوله سبحانه: M W V X Y L[٢] قال:أي يعبد وحده لأن من الناس من له دين ولا يخلصه لله[٣] .

وحكى ماروي عن قتادة في المثل الأعلى عند قول الله تعالى:M h i j l m n L[٤] قوله:(المثل الأعلى: الإخلاص والتوحيد) [٥]. . . . . أي لله جل وعز التوحيد ونفى كل معبود دونه)[٦].

وبين معنى إسلام الوجه لله تعالى فقال: (ومعنى أسلمت وجهي لله قصدت بعبادتي إلى الله وأقررت أنه لا إله غيره)[٧].

ولبيان الشرط الثاني وهو المتابعة فقد أوضح -رحمه الله تعالى- الوعيد على ترك متابعة النبي e وذلك عند قوله تعالى:M ¶ ¸ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ L[٨] فقال:(ذلك جزاؤهم بأنهم اتبعوا الشيء الذي أسخط الله من ترك متابعة النبي ^)[٩].

---

(١) انظر في هذه الآثار: تفسير الطبري(١٥/ ٤٤٠) ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٣٠٣).

(٢) الزمر: ٢ - ٣ .

(٣) معاني القرآن (٦/ ١٤٩).

(٤) النحل: ٦٠ .

(٥) أورده ابن جرير في تفسيره مسندا (١٤/ ٢٥٨)، وانظر معاني القرآن(٤/ ٧٧).

(٦) معاني القرآن (٤/ ٧٧).

(٧) إعراب القرآن (٣ /٢٨٧).

(٨) محمد: ٢٨ .

(٩) إعراب القرآن (٤/ ١٩٠).

ولما أورد قول الله تعالى:M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L[١] قال:(فهذا الذي شرع لكم لجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أن يقيموا الدين الذي ارتضاه وهو الإسلام وأمة محمد ^ مقتدون بهم)[٢] .

الدراسة :

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن العبادة لابد فيها من أصلين عظيمين هما الإخلاص والمتابعة، فمن أدلة الإخلاص قول الله تعالى:M â كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ç è é ê ë بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ î L[٣] وقوله تعالى:M P Q R S T L[٤] وقوله تعالى:M h i j k l m n o p q r s t v w x L[٥] ومن السنة قوله - r -: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)**[٦] ، وقوله- r - في الحديث القدسي:**(قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)**[٧] .

وأدلة المتابعة من القرآن: قول الله تعالى:M] ^ _ ` a b c d e f g h L[٨]وقوله تعالى:M p q r s t u

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٧٣).

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الزمر: ٢.

(٥) البينة: ٥.

(٦) أخرجه البخاري:كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ^ (برقم١)(ص١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ^ "إنما الأعمال بالنية"(برقم١٩٠٧)(ص٨٣٥). باب قوله - ^ « إنما الأعمال بالنية ». وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٧) أخرجه مسلم:برقم:٧٤٧٥كتاب الزهد والرقائق، باب تحريم الرياء(ص١٢٩٢).

(٨) النور: ٦٣.

L w v [١].

ومن السنة قوله r :**(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)**[٢] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (معنا أصلان عظيمان أحدهما: أن لا نعبد إلا الله، والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " كما قال تعالى: M / 0 1 2 L [٣] قال الفضيل بن عياض[٤]: أخلصه وأصوبه . قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة)[٥] .

ويقول مبينا منزلة هذين الأصلين عند السلف:(ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين)[٦].

كما بين مكانة ما قاله الفضيل رحمه الله تعالى بقوله:(وهذا الذي قاله الفضيل متفق عليه بين المسلمين ، فإنه لا بد له في العمل أن يكون مشروعا مأمورا به ، وهو العمل الصالح . ولا بد أن يقصد به وجه الله)[٧] .

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) أخرجه مسلم:برقم:٤٤٩٣ كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (ص٧٦٢) .

(٣) الملك: ٢ .

(٤) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود المكي، الإمام العابد الزاهد، توفي بمكة سنة(١٨٧هـ)سير أعلام النبلاء(٨/٤٢١-٤٤٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٣)، والأثر في: تفسير البغوي(٨/١٧٦)، حلية الأولياء(٨/٩٥).

(٦) مجموع الفتاوى(٢٨ /١٧٧)

(٧) مجموع الفتاوى(٢٢/١٨٨)

المطلب الرابع: أنواع العبادة:

١ - الدعاء:-

فرَّق أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الكلام عن الدعاء بحسب مواضعه من كتاب الله تعالى[(١)] فقد قرر رحمه الله تعالى أن الدعاء عبادة لله تعالى فقال: وقوله جل وعز: M x y z } | { ~يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ L[(٢)] أي:(مستكينين متعبدين وخفية: أي وأخفوا العبادة لأن الدعاء عبادة)[(٣)] .

كما أورد رحمه الله تعالى في موضع آخر حديث النعمان بن بشير **t** عن النبي **e** قال: **(الدعاء هو العبادة)**، وتلا رسول الله **e** M - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : L[(٤)(٥)].

الدراسة:

إن دعاء الله تعالى من أعظم أنواع العبادة، وهو افتقار وتذلل وطلب ممن يملك النفع والضر وقد وردت أدلة كثير في الحث عليه وعدم الاستكبار عنه ذكر

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/٣٩٨) (٣/١٢٣، ٢٤٦).

(٢) الأعراف:٥٥ .

(٣) معاني القرآن (٣/٤٣)، وانظر:معاني القرآن(١/٣٩٨، ٣/٤٣، ٢٦٢، ٤/٢٠٧)، إعراب القرآن (٣/٣١٨).

(٤) غافر: ٦٠.

(٥) أخرجه أحمد في "المسند" ٣٠/٢٩٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٨٠) وأبو داود في (١/٥٥١) كتاب الوتر، باب الدعاء برقم ١٤٨١ ، والترمذي في "الجامع"كتاب ثواب القرآن عن رسول الله **e**، باب ومن سورة المؤمن (٥/٣٧٤)رقم ٣٢٤٧، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في "السنن"كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/١٢٥٨) رقم ٣٨٢٨، وصححه النووي في "الأذكار"(ص٣٠٩) ط. دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ وجوَّد الحافظ ابن حجر إسناده . "فتح الباري"١/ ٤٩، وصححه الألباني في تعليقه على السنن.

شيئا منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، وفي بيان معنى الدعاء في قول الله تعالى:

M - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9

: L[١] يقول شيخ الإسلام- رحمه الله-:(فالدعاء -في هذه الآية- يتضمن النوعين وهو في دعاء العبادة أظهر؛ ولهذا أعقبه: M3 4 5 6 7 L ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا)[٢].

وفي أهمية دعاء العبادة يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله-:(وكل القربات الظاهرة والباطنة تدخل في دعاء العبادة، لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها)[٣]، وأيضا فإن(الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله . . فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك، فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله ^)[٤].

وقد عرض أبو جعفر رحمه الله تعالى عند بيانه لمعنى الدعاء لأمور:-

الأمر الأول: إخفاؤه:- وبيَّن ذلك فقال: وقوله جل وعز: M x y z } | { ~يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ L[٥] أي: مستكينين متعبدين، وخفية: أي وأخفوا العبادة لأن الدعاء عبادة)[٦]، كما بين رحمه الله تعالى أنه قد روي عن النبي ^ في

---

(١) غافر: ٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٢).

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص٥٧) ط. المعارف –الرياض (١٤٠٠هـ).

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١/ ٤١٥)ط. الصميعي ١٤٢٨هـ ت:أسامة العتيبي.

(٥) الأعراف:٥٥ .

(٦) معاني القرآن (٣/٤٣).

كراهة رفع الصوت بالدعاء ما ساقه بسنده عن أبي موسى t قال: كنت مع النبي r في سفر فنزلنا في وهدة من الأرض فرفع الناس أصواتهم بالتكبير فقال رسول الله r :(**يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم. . . الحديث**)[١] ، وذكر أيضا أثر ابن جريج في أن من الاعتداء رفع الصوت بالدعاء والنداء والصياح[٢]، كما حكى إجماع العلماء على كراهية رفع الصوت بالدعاء[٣].

وقد نقل الحافظ ابن حجر قول الطبري عند حديث أبي موسى t فقال:(قال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين)[٤]، كما نقل الحافظ ابن رجب بعض أقوال السلف في هذه المسألة فقال:(وقال الإمام أحمد: ينبغي أن يسر دعاءه؛ لهذه الآية . قال: وكان يكره أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء .وقال الحسن: رفع الصوت بالدعاء بدعةٌ .

وقال سعيد بن المسيب: أحدث الناس الصوت عند الدعاء، وكرهه مجاهدٌ وغيره)[٥] .

ولإخفاء الدعاء فوائد، ذكر طرفا منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:(وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة: " أحدها " أنه أعظم إيمانا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي . و " ثانيها " أنه أعظم في الأدب والتعظيم لأن الملوك لا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (حديث ٢٩٩٢) (ص٤٩٤) وفي عدد من المواضع. ومسلم (٤/٢٠٧٦) كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث(٦٨٦٢)(ص١١٧٥) .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/٢٤٩)، وأورده ابن كثير في تفسيره(٣/٤٢٨)وانظر:الناسخ والمنسوخ للنحاس(٢/٢٤٩).

(٣) الناسخ والمنسوخ (٢/٤٩٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر - (٩ / ١٨٩).

(٥) فتح الباري ـ لابن رجب (٥ / ٢٣٩)، وانظر في هذه المسألة:تفسير البحر المحيط(٤/٣١٣)اقتضاء الصراط المستقيم(١/٣١١)، عمدة القاري للعيني(٢٢/٢١).

ترفع الأصوات عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه ولله المثل الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به . و " ثالثها " أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده . ... و "رابعها" أنه أبلغ في الإخلاص . و " خامسها " أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه . و " سادسها " - وهو من النكت البديعة جدا - أنه دال على قرب صاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل:

] (* + , - Z.

فلما استحضر القلب قرب الله عز وجل وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه . ... و " سابعها " أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب ....و " ثامنها " أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات)[١].

الأمر الثاني: عدم الاعتداء في الدعاء، فقد أورد أثر قتادة رحمه الله في قول الله تعالىM { ~يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ L[٢] فقال: (قال قتادة: فدل هذا على أن من الدعاء ما فيه اعتداء أي فلا تعتدوا في الدعاء) [٣]، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (فالاعتداء بالدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله . .، أو يسأله أن يطلعه على غيبه . . . . ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء، فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله، وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضا في الدعاء، . . . . وإن أعظم العدوان الشرك وهو وضع العبادة في غير موضعها فهذا العدوان لا بد أن يكون

(١) مجموع الفتاوى(١٥/١٥-١٧)، وانظر:بدائع الفوائد(٣/٥١٨).

(٢) الأعراف:٥٥ .

(٣) معاني القرآن (٣/٤٣).

داخلا في قوله أنه لا يحب المعتدين . . .، ومن الاعتداء أن تعبده بما لم يشرعه)[١].

الأمر الثالث: عدم الاستثناء فيه: -

بيَّن أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الاستثناء لا يجوز في الدعاء فقال:(صح عن رسول الله ^ : **(لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني ان شئت)**[٢].

وقال أيضا:(والاستثناء لا يكون في الدعاء؛ لا تقول: اللهم اغفر لي إن شئت)[٣].

وفي بيان سبب ذلك يقول النووي:(قال العلماء: سبب كراهته أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه والله تعالى منزه عن ذلك، وهو معنى قوله فإن الله لا مستكره له.

وقيل سببها أن في هذه اللفظة صورة الاستغناء عن المطلوب منه)[٤]، ويبين الشيخ السعدي هذا المعنى بقوله:(الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة المغفرة ، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك ، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلبا ملحا جازما . وهذا الطلب عين العبودية ومخها ، ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة ، لأنه مأمور به ، وهو خير محض لا ضرر فيه ، والله تعالى لا يتعاظمه شيء .

---

(١) بدائع الفوائد (٥٢٤/٣)، وانظر: تفسير الطبري(١٢/ ٤٨٥-٤٨٦)، تفسير البغوي(٢٣٧/٣)، تفسير ابن كثير(٤٢٨/٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم٦٣٣٨ كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لامكره له (ص١١٠٢)، ومسلم برقم٦٨١٢: كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت(ص١١٦٧).

(٣) إعراب القرآن (٣ / ٢٣٢).

(٤) شرح صحيح مسلم (٦ / ٤٨)، وانظر:إكمال المعلم للقاضي عياض(٨٧/٨)، التمهيد(١٩/ ٧٩)، طرح التثريب(٣/ ٤٤٨-٤٥١)، فتح الباري لابن حجر(١١/ ١٤٠).

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها ، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد . فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين)[١].

٢-التوكل:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:Mرَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ L[٢] أي:(وكلنا أمورنا كلها إليك، وقيل: معنى التوكل على الله جل وعز أن يعبد وحده ولا يعبى ويوثق بوعده لمن أطاعه)[٣]، وقال في موضع آخر:(ومعنى توكلت على الله: تقويت به وتحفظت)[٤]

وقال عند قول الله تعالى:M \ ] ^ _ L[٥]: أي:(فليثقوا بالله وليرضوا بجميع ما فعله هذا معنى التوكل)[٦] .

الدراسة:

التوكل على الله تعالى من أعظم أنواع العبادة وقد أمر الله به وحث عليه في مواضع كثيرة من كتابه؛ قال الله تعالى: Mوَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ L[٧].

وقال تعالى:M < = > ? L[٨] وقال تعالى:M w x y z

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد(ص١٦٦-١٦٧) ط.دار الوطن-١٤١٢هـ.

(٢) الممتحنة: ٤ .

(٣) إعراب القرآن(٤/ ٤١٣).

(٤) إعراب القرآن(١/ ٤٠٥).

(٥) آل عمران:١٦٠ .

(٦) إعراب القرآن(١/ ٤١٦).

(٧) المائدة: ٢٣.

(٨) إبراهيم:١١.

} | | L[1] وقال سبحانه وتعالى: M C D E G H I L[2].

والقرآن مملوء من ذلك، وقد اختلفت عبارات أهل العلم في بيان معنى التوكل وأقربها: أن التوكل: (صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله، وفعل الأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً)[3].

وما ذكره أبو جعفر رحمه الله تعالى من معنى للتوكل لا يخرج عما ذكره أهل العلم في بيان معناه، ومما ذكر: عبادة الله سبحانه وتعالى، وفعل الأسباب، والثقة بالله تعالى والرضى بأفعاله سبحانه، وهذا كله من التوكل على الله تعالى فهو بذلك لم يخرج عما ذكره السلف من معان يتضمنها التوكل، وتظهر أهمية التوكل وعظم منزلته من جهة كونه يتضمن أنواعا من العبودية متنوعة، وقد بيَّنها ابن القيم رحمه الله بقوله: (التوكل عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله، وثقةً به، والتجاءً إليه، وتفويضاً إليه، ورضا بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها)[4].

٣ - الذبح: -

تطرَّق أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى للحديث عن هذه المسألة حين ذكر

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) النساء: ٨١.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين (٢/٢٢٨، ١١٤) ت: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح ط: دار ابن الجوزي ١٤١٨هـ، وانظر في مسألة التوكل: المفهم للقرطبي (١/٤٦٧-٤٦٨)، التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٦-١٠)، رسالة في تحقيق التوكل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (١/٨٥ ومابعدها، مدارج السالكين (٢/١١٤ ومابعدها)، جامع العلوم والحكم (٤٣٦-٤٣٧)، تيسير العزيز الحميد (٢/٨٦٤-٨٧٦).

(٤) الروح لابن القيم (ص٥٦٤) ت: يوسف بديوي، ط. ابن كثير الخامسة ١٤٢٢هـ .

الأقوال في قول الله تعالى:M Z] [\ L[1] واختار أحدها بقوله:(قول سابع وهو أبينها: وهو مذهب محمد بن كعب قال:(أخلص صلاتك لله وانحر له وحده) وهو قول حسن؛لأن الله جل وعز عرَّفه ما أكرمه به وأعطاه إياه فأمره أن يشكره على ذلك لئلا يفعل كما يفعل المشركون وأن تكون صلاته خالصةً لله وحده ويكون نحره قاصداً به ما عند الله جل وعز لا كما يفعل الكفار)[2]، وقال في معنى قول الله تعالى:Mأَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ L[3] أي: ذبح لغير الله، وذكر عليه غير اسم الله، وسماه فسقا: لأنه خارج عن الدين)[4].

الدراسة:

إن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه كما قال تعالى:Mقُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L[5] وقال تعالى:M Z] [\ L[6] فقد أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما: الصلاة، والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلفه .

. . . والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله)[7].

---

(١) الكوثر: ٢ .

(٢) إعراب القرآن (٥/ ٣٠٠).

(٣) الأنعام: ١٤٥.

(٤) معاني القرآن(٢/ ٥٠٧).

(٥) الأنعام: ١٦٢.

(٦) الكوثر: ٢.

(٧) مجموع الفتاوى(١٦/ ٥٣١)، وانظر:اقتضاء الصراط المستقيم(٢/ ٥٦٣)، تيسير العزيز الحميد (١/ ٣٥٩-٣٧١)، فتح المجيد(١/ ٢٦٥)، الدين الخالص(٢/ ٢٥١).

وإذا تقرر أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك، و اختيار أبي جعفر رحمه الله تعالى أن معنى النحر في الآية الذبح قد وافقه فيه غيره من المحققين، يقول ابن جرير رحمه الله تعالى:(والصواب قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان؛ شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير، الذي لا كِفَاء له، وخصك به، وهذا الذي قاله في غاية الحسن)[١].

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:(وقوله تعالى: M قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ L[٢] يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى:M Z] \ L[٣] أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى)[٤].

٤ - التبرك: -

عرف أبو جعفر رحمه الله تعالى البركة لغةً بقوله: والبركة في اللغة الثبات

---

(١) تفسير الطبري(٢٤/ ٦٩٦)، تفسير البغوي(٨/ ٥٥٩)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٨/ ٥٠٤) ت: سامي السلامة ط: دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ.

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) الكوثر: ٢.

(٤) تفسير ابن كثير(٣ / ٣٨٢-٣٨١).

والدوام[١].

ثم بين أبوجعفر رحمه الله تعالى نوعية البركة الحاصلة في ليلة القدر فقال:(فأما البركة التي فيها فهي نزول القرآن) [٢]كما وضح سبب كونها مباركة بقوله:(فقيل لها مباركة لثبات الخير فيها ودوامه)[٣].

وفي بيان معنى قول الله تعالى: M V W X Y Z [ ] L[٤]يقول أبـوجعفر النحاس رحمه الله تعـالى: (أي: البركـة في اسـمه جـل وعـز، و البركـة في اللغـة: بقـاء النعمـة وثباتهـا، فحضـهـم بهـذا عـلى أن يكثـروا ذكـر اسـمه جـل وعـز ودعـاءه وأن يذكروه بالإجلال والتعظيم)[٥].

وقال عند قول الله تعالى:Mتَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ © لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا L[٦] (قد تكلم أهل اللغة في معناه، فقـال الفـراء[٧]:هـي في العربيـة وتقـدس واحـد وهمـا للعظمة.

وقال أبو إسحاق: تفاعل من البركة، قال:ومعنـى البركـة الكثـرة مـن كـل ذي خير.

وقيل تبارك: تعالى. وقيل المعنى: تعالى عطاؤه أي زاد وكثر.

وقيل المعنـى:دام وثبـت أنعامـه، وهـذا أولاهـا في اللغـة والاشـتقاق مـن بـرك الشيء إذا ثبت ومنه برك الجمل)[٨].

---

(١) إعراب القرآن(٤/ ٣١٩) و(٤/ ١٢٥) .

(٢) إعراب القرآن(٤/ ١٢٥) .

(٣) إعراب القرآن(٤/ ١٢٥).

(٤) الرحمن: ٧٨.

(٥) معاني القرآن(٥/ ٨) .

(٦) الفرقان: ١.

(٧) يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء قيل لـه الفـراء، لأنـه كان يفري الكلام، من مؤلفاته: معاني القرآن، توفي سنة(٢٠٧هـ) انظر: بغية الوعاة - (٢ / ٣٣٣).

(٨) إعراب القرآن للنحاس (٣/١٥١).

الدراسة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: (الباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو ثَباتُ الشيءِ، ثم يتفرع فروعاً يقاربُ بعضُها بعضاً. يقال بَرَكَ البَعيرُ يَبْرُكُ بُرُوكاً)[١] فأصل معناها الثبوت والدوام، وتطلق البركة كذلك على: النماء، والزيادة والسعادة[٢].

وأبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى قد بين أصل معنى البركة وأنه الثبات والدوام فهو موافق لعلماء العربية في ذلك، كما بين كذلك أن البركة هي حلول الخير، ومنه فلان مبارك أي الخير يحل بحلوله مشتق من البرك والبركة وهما المصدر. ثم عرض لليلة القدر وأنها مباركة، وذكر أن سبب كونها مباركة: هو نزول القرآن فيها، وهذا أحد بركاتها لأن القرآن العظيم فيه هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة يقول الله تعالى:M p q r s t u v w L[٣] ومن بركات هذه الليلة: مضاعفة الأعمال الصالحة فيها وفي ذلك يقول الله تعالى: M - . / 0 1 2 L[٤] وبركات هذه الليلة كثيرة وفضائلها عظيمة[٥].

وأما قول الله تعالى: M V W X Y Z [L[٦] فإن MتَبَارَكَL مختصة به تعالى

---

(١) معجم مقاييس اللغةلابن فارس(١/٢٢٧)، ط: دار الجيل ١٤٢٠هـ الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

(٢) معجم مقاييس اللغةلابن فارس(١/٢٢٧)، ط: دار الجيل ١٤٢٠هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٣٠-١٣١)، ط: دار إحياء التراث العربي ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب، مختار الصحاح للرازي (١/٢٠)،، ط: مكتبة لبنان ناشرون ١٤١٥، الطبعة: ت: محمود خاطر، وانظر: جلاء الأفهام(٤٣٤-٤٣٦) ت:مشهور آل سلمان، ط:ابن الجوزي الثالثة١٤٢٠هـ.

(٣) الأنعام: ١٥٥.

(٤) القدر: ٣.

(٥) التبرك أنواعه وأحكامه د.ناصر الجديع(ص١٤٤-١٤٨)ط.مكتبة الرشد،الرياض،الطبعة الثالثة،١٤١٥هـ.

(٦) الرحمن: ٧٨.

وقد اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لاتطلق على غيره[١].

ولفظة MتَبَارَكَL في اللغة تطلق على معان عديدة ذكر جلها أبو جعفر رحمه الله وهي: ارتفع، تعالى، وتعاظم، وتقدّسَ أي تطهَّر، زاد وكثر، دام وثبتت أنعامه[٢].

ثم رجح أنها:دام وثبتت أنعامه، وعلل ذلك بأن هذا القول هو أولى الأقوال من جهة اللغة والاشتقاق، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق هذه الأقوال: (وحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه ولا أحد أحق بذلك وصفا وفعلا منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين وهما متلازمان لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل فإنه فعل لازم مثل تعالى وتقدس وتعاظم)[٣]وقال: (فتباركه سبحانه يجمع هذا كله دوام جوده، وكثرة خيره، ومجده، وعلوه، وعظمته، وتقدسه، ومجيء الخيرات كلها من عنده، وتبريكه على من شاء من خلقه، وهذا هو المعهود من ألفاظ القرآن كلها أنها تكون دالة على جملة معان فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها واللفظ يجمع ذلك كله)[٤].

---

(١) جمهرة اللغةلابن دريد (١/ ٣٢٥)ط: دار العلم للملايين - بيروت – ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٢٠٤) ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٣٠-١٣١)، ط: دار إحياء التراث العربي ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب، معجم مقاييس اللغةلابن فارس(١/ ٢٣١)، ط: دار الجيل ١٤٢٠هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، لسان العرب لابن منظور(١٠/ ٣٩٦)، ط: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، المعجم الوسيط لجمع من المؤلفين(١/ ٥١) / ط: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية، إعراب القرآن للنحاس(٣/ ١٥١).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤١١).

(٤) جلاء الأفهام(ص٤٣٧) ت: مشهور آل سلمان، ط:ابن الجوزي الثالثة ١٤٢٠هـ، التبرك(٢٨-٣٠).

المبحث الثالث

آراؤه فيما يضاد توحيد الألوهية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك الأكبر .

المطلب الثاني: الشرك الأصغر .

المطلب الثالث: السحر .

المطلب الرابع: البدعة .

التمهيد، ويتضمن ما يلي: -

أولا: تعريف الشرك لغةً وشرعاً.

الشرك في اللغة:

يطلق في الأصل على المقارنة وخلاف الانفراد[١].

ويطلق أيضا على المعاني الآتية:

المخالطة، والمصاحبة والمشاركة.

تقول: شاركته في الأمر، وشركته فيه أشركته شركاً، ويأتي شركة، ويقال: أشركته، أي جعلته شريكاً[٢] .

أما الشرك في الشرع:

فهو اتخاذ الند مع الله تعالى؛ سواء أكان هذا الند في الربوبية أم في الألوهية أو الأسماء والصفات[٣] .

ثانيا: بيان خطر الإشراك بالله تعالى:

لقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة في التحذير من الشرك وبيان خطره، فمن ذلك قول الله تعالى:M r s t u v w x y z { | } ~ ٍ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا L[٤] وقول الله تعالى: M A B C

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة(٣/٢٦٥).

(٢) انظر: لسان العرب(١٠/٤٤٨)، وتاج العروس(٢٧/٢٢٣-٢٢٦) وتهذيب اللغة (١٠/١٢-١٤).

(٣) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم(٢/٢٦٣-٢٦٦)، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٦، الطبعة: الثالثة، تحقيق: زهير الشاويش.

(٤) النساء: ٤٨.

وقوله تعالى:M v w x y z { | } ~ ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ L[٢].

D L[١]

والمشرك (قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئا، ولهذا قال تعالى: M﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ L[٣]: أي افترى جرما كبيرا وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجه الذي لا يملك لنفسه - فضلا عمن عبده - نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى فهل أعظم من هذا الظلم شيء)[٤].

ومن هنا فقد ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى خطر الشرك بالله تعالى بقوله: (الشرك أعظم الذنوب وأشدها فكيف يدعى لأهله بالمغفرة . . . .، ولم يصح أن الله أباح الاستغفار للمشركين ولا فرضه ولا ينسخ إلا ما أبيح أو فرض)[٥] .

كما ذكر رحمه الله تعالى: **(أن كل مشرك يقول على الله ما لا يعلم)**[٦]. وذكر أيضا ماروي عن مجاهد أنه قال: (لما رأوا الذنوب تغفر إلا الشرك والناس يخرجون من النار إلا المشركين قالوا: M﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ L[٧])[٨].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) الأنعام: ٨٨.

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) تفسير السعدي(ص١٨١) ت:عبد الرحمن اللويحق ط. الرسالة-الأولى-١٤٢٠هـ.

(٥) الناسخ والمنسوخ للنحاس(٢/ ٤٩١).

(٦) إعراب القرآن (٢/ ١٢٤).

(٧) الأنعام: ٢٣

(٨) تفسير ابن جرير(٩/ ١٩٤)، تفسير ابن كثير(٢/ ٣٠٨)، البغوي(٣/ ١٣٥)

المطلب الأول: الشرك الأكبر.

١ - دعاء غير الله تعالى:-

بين الله تعالى حال المشركين عند حصول الشدائد بقوله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @A B L[١]،يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في معناها: (أي: فإذا أصابتهم شدة دعوا الله وحده وتركوا ما يعبدون من دونه، وقوله جل وعز: M < = > ? @ A B L[٢] أي: يدعون معه غيره)[٣].

ثم قال جل وعز:M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j L[٤] يقول أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى في بيان معنى الآية:(أي: تظهرون التضرع وهو أشد الفقر إلى الشيء والحاجة اليه، وخفية: أي وتبطنون مثل ذلك فأمر الله النبي r أن يوبخهم إذ كانوا يدعون الله تبارك وتعالى في الشدائد ثم يدعون معه في غير الشدائد الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع)[٥].

كما أبرز رحمه الله عاقبة دعاء من يدعوا غير الله تعالى بقوله:(ثم قال تعالى: M ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = L[٦]،قال مجاهد: أي يشير إلى الماء بيده ويدعوه بلسانه .

وقال غيره: أي الذي يدعو الأصنام بمنزلة القابض على الماء لايحصل له

---

(١) العنكبوت: ٦٥.

(٢) العنكبوت: ٦٥.

(٣) معاني القرآن(٥/ ٢٣٦).

(٤) الأنعام: ٦٣.

(٥) معاني القرآن (٢/ ٤٤٠).

(٦) الرعد: ١٤.

شيء)[١].

الدراسة:

لقد تظافرت النصوص من الكتاب والسنة على تعظيم أمر دعاء الله تعالى، و التغليظ على من دعا غيره، وبيان أن عمله هذ لاينفعه قال الله تعالى:M - . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : L[٢] وقال تعالى:M وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ L[٣] وقال سبحانه:M وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ L[٤]وقال ^ :**(الدعاء هو العبادة)**[٥] والأدلة من الكتاب والسنة في بيان هذا الأمر كثيرة جداً.

وقد سبق ذكر الآيات التي تضمنت كون المشركين يدعون الله تعالى ولكنهم يدعون معه غيره، وأن الله تعالى ذمهم على ذلك، كما ذكر من حالهم أنهم يدعون معه غيره في الرخاء، ويخلصون له في الشدة، كما تبين من تلك الآيات أن هذه الأصنام التي تدعى مع الله تعالى لاتنفع سائلها شيئا كما أخبر الله تعالى بذلك، ثم بينت تلك الآيات حال المدعوين من دونه تعالى وأنه ليس لهم نصيب أو شرك في السماوات والأرض. وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة فهو في دعاء العبادة أظهر . . . "فهم" كانوا يعبدونها في الرخاء فإذا جاءتهم الشدائد دعوا الله وحده

---

(١) معاني القرآن(٣/٤٨٦) وانظر: إعراب القرآن(٣/٣٧٥) .

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) يونس: ١٠٦.

(٤) الأحقاف: ٥ .

(٥) سبق تخريجه (ص ٨٦).

وتركوها ومع هذا فكانوا يسألونها بعض حوائجهم، ويطلبون منها، وكان دعاؤهم لها دعاء عبادة، ودعاء مسألة)[١] .

٢ - الذبح لغير الله تعالى:

عرض أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى لهذه المسألة في مواضع عدة؛ فقد ذكر عند قول الله تعالى: M Z [\ L[٢] عدة أقوال، ثم قال:(قول سابع وهو أبينها وهو مذهب محمد بن كعب قال: "أخلص صلاتك لله وانحر له وحده" وهو قول حسن؛ لأن الله جل وعز عرفه ما أكرمه به وأعطاه إياه فأمره أن يشكره على ذلك لئلا يفعل كما يفعل المشركون وأن تكون صلاته خالصة لله وحده ويكون نحره قاصدا به ما عنده الله جل وعز لا كما يفعل الكفار)[٣] ثم بين رحمه الله تعالى أن (النسك:جمع النسيكة وهي الذبيحة، وأصل هذا من التقرب لله جل وعز ومنه قيل رجل ناسك، وإنما قيل هذا لأنهم كانوا يذبحون لغير الله جل وعز)[٤].

كما بين رحمه الله تعالى معنى قوله تعالى:M j k l m n L[٥] بأنه: (ما ذبح لغير الله وذكر عليه غير اسمه)[٦] وعرض لسبب تسمية ما ذبح لغير الله فسقا في قوله تعالى:Mأَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ L[٧]. بقوله:(أي ذبح لغير الله وذكر عليه غير اسم الله، وسماه فسقا لأنه خارج عن الدين)[٨].

---

(١) مجموع الفتاوى(١٥/ ١٣).

(٢) الكوثر: ٢ .

(٣) إعراب القرآن (٥/ ٣٠٠).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٥٢٥).

(٥) النحل: ١١٥.

(٦) معاني القرآن(٢/ ٢٥٦).

(٧) الأنعام: ١٤٥ .

(٨) معاني القرآن (٢/ ٥٠٧).

الدراسة:

الذبح لغة:مصدر ذبح يذبح ذبحاً.

وهي تدور في اللغة على عدة معان هي:(شقَّ، وفَتَقَ، ونَحَرَ، وخَنَقَ)[١].

والذبح يقع على وجوه:-

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله قول الله تعالى:M قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L [٢].

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو إستحباباً لقوله r : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)**[٣].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح[٤].

والذبح الذي يقصد به العبادة هو من أجل الأعمال قال الله تعالى:M قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L[٥] وقال تعالى:M Z [\ L[٦] وقد توعد r من ذبح لغير الله تعالى باللعن فقال:**(لعن الله من ذبح لغير الله)**[٧].

فيتضح من خلال ما ذكره أبو جعفر رحمه الله تعالى من تحريم الذبح لغير الله تعالى، وأنه عبادة لاتصرف إلا لله جل وعز موافقته للكتاب والسنة وما عليه سلف

---

(١) القاموس المحيط (ص٢٧٨).

(٢) الأنعام: ١٦٢.

(٣) أخرجه البخاري (برقم:٦٠١٨، ٦٠١٩):كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (ص١٠٥٢).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(٦/٤٩).

(٥) الأنعام: ١٦٢.

(٦) الكوثر: ٢.

(٧) أخرجه مسلم برقم(٥١٢٥)(كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله) (ص٨٨٣).

الأمة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(وَقَوْلُهُ:M Z [\ L[١] أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر وتركا لإعانة الفقراء وإعطائهم وسوء الظن منهم بربهم والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله) . . . . . وقال:(وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص وقد امتثل النبي r أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر حتى نحر بيده في حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة وكان ينحر في الأعياد وغيرها)[٢].

٣- الشفاعة الشركية:

بين أبوجعفر رحمه الله تعالى ما يتعلق بالشفاعة الشركية عند قول الله تعالى: Mوَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ à إِلَّا â بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ç è é L[٣] بقوله:(في هذا تنبيه لهم وتوبيخ لأنهم قالوا:M ` a b c d e f L[٤] فأخبر الله جل وعز أن الملائكة صلوات الله عليهم وسلم الذين هم أفضل الخلق عند الله جل وعز وأكثرهم عملا بالطاعة لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد إذن

---

(١) الكوثر: ٢ .

(٢) مجموع الفتاوى(١٦/ ٥٣١) .

(٣) النجم: ٢٦.

(٤) الزمر: ٣.

الله عز وجل ورضاه فكيف تشفع الأصنام لهم)[١].

كما شرح معنى قول الله تعالى عن المشركين:M } | { ~ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى © وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ L[٢] فقـال في معناهـا:(أي: أتعبدون ما لا يشفع ولا ينصر ولا يميز وتقولون هو يشفع لنا عند الله فتكذبون، وهل يتهيأ لكم أن تنبؤه تعالى بما لا يعلم)[٣].

وقوله جل وعز:WVM X Y Z] [\ L[٤] ولم يجر للشفيع ذكر لأنه قد عرف المعنى إذ كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قال الله جل وعز ما من شفيع إلا من بعد إذنه أي لا يشفع شفيع إلا لمن ارتضى)[٥].

الدراسة:

الشفاعة لغة: مصدر شفع يشفع شفاعة، والشفع ضد الوتر، والمشفع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفع: الذي تقبل شفاعته[٦].

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة[٧].

والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع:

أما أدلة الكتاب فكثيرة، من أبرزها: قوله تعالى:Mمَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٢٧٣).

(٢) يونس: ١٨.

(٣) معاني القرآن للنحاس (٣ / ٢٨٣).

(٤) يونس: ٣.

(٥) معاني القرآن للنحاس (٣ / ٢٧٧).

(٦) كتاب العين(٢٦٠)، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، لسان العرب(٨/ ١٨٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ٢٧٠)، مختار الصحاح(١٤٤)، المعجم الوسيط(١/ ٤٨٧).

(٧) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٢٣).

بِإِذۡنِهِۦ L(١) وقوله تعالى: M وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ à إِلَّا â بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ ç è é L(٢)، وقوله تعالى: M قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ ! "
$ %& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 7 8
9 L(٣).

وأما السنة: فقد تواترت الأحاديث عن النبي في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيحين أحاديث متعددة وفي السنن والمساند مما يكثر عدده)(٤).

والشفاعة نوعان: -

الأول: شفاعة منفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ونفاها الله وأبطلها كما سبق في الآيات.

الثانية: شفاعة مثبته: وهي التي أذن الله فيها وهي التي تطلب من الله وحده، وهي لأهل الإيمان والتوحيد خاصة(٥)، وأثبتها الله بشرطين اثنين:

الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، **الثاني**: رضا الله عن المشفوع له، وفيما بينه أبوجعفر رحمه الله تعالى من ذكر الشفاعة الشركية ،وأن الملائكة على عظيم مكانتها لاتشفع إلا بإذن الله ورضاه فكيف بالأصنام دلالة على موافقته لعقيدة السلف في التحذير من الشفاعة الشركية، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم: (والمتخذ للشفعاء والأنداد إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم معه من وزير، أو ظهير، أو معين، وهذا أعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته،

---

(١) البقرة: ٢٥٥ .

(٢) النجم: ٢٦.

(٣) سبأ: ٢٢ .

(٤) مجموع الفتاوى(١/ ٣١٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٨).

وكل ما سواه فقير إليه بذاته.

وإما أن يظن أن الله سبحانه إنما تتم قدرته بقدرة الشفيع، وإما أن يظن أنه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع، أو لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم، أو لا يكفي وحده أو لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق، أولا يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع أن يرفع حاجتهم إليه كما هو حال ملوك الدنيا، وهذا أصل شرك الخلق)[١].

❋ ❋ ❋

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم(١/ ١٢٩-١٣٠).

المطلب الثاني: الشرك الأصغر

لقد حذرنا الله تعالى من الشرك أجمعه، ورتب عليه من العقوبات أشدها وأعظمها، وذلك حتى تكون جميع عباده المرء لله تعالى وحده وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:M L K N O P Q R S T U V W X Y L[1].

وقد ساق أبو جعفر رحمه الله تعالى عند هذه الآية حديث أبي هريرة t قال: يا رسول الله إني أتصدق بالشيء وأصنع الشيء أريد به وجه الله جل وعز وثناء الناس فقال النبي r : والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله جل ثناؤه شيئا شورك فيه ثم تلا رسول الله ^ **"ألا لله الدين الخالص")**[2].

وقد ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى جملة من أنواع الشرك الأصغر هي:-

النوع الأول: الحلف بغير الله تعالى:-

ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى عدة أدلة تدل على النهي عن الحلف بغير الله وتبين خطره فقال: (ومما صح سنده عن النبي r أنه سمع عمر t وهو يقول:(وأبي) فقال:**"إن الله جل وعز ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله جل وعز أو ليسكت"**. قال عمر t : فما حلفت بها بعد ذاكراً ولا آثراً)[3].

---

(١) الزمر: ٢ – ٣.

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٤).

(٣)أخرجه البخاري في: كتاب الأيمان: باب لا تحلفوا بآبائكم برقم (٦٦٤٦-٦٦٤٧)(ص١١٤٨)وفي كتاب الأدب: باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلابرقم (٦١٠٨)(ص١٠٥٦).
ومسلم في كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى برقم(٤٢٠٤-٤٢٥٥)(ص٧٢٢).

وفي بعض الحديث **(من حلف بغير الله جل وعز فقد أشرك)** وفي آخر: **(فقد كفر)**[١].

ثم بين رحمه الله تعالى أن (في معنى قول النبي r: **(من حلف بغير الله جل وعز فقد أشرك)** أقوالا؛ أصحها: أن المعنى فقد أشرك في تعظيم الله جل وعز غير الله، لأنه إنما يحلف الإنسان بما يعظمه أكبر العظمة وهذا لا ينبغي أن يكون إلا لله جل وعز).

كما بين أيضا معنى الكفر الوارد في الحديث بقوله: (وفي قوله r: **(فقد كفر)** أقوال؛ فمن أصحها أن الكفر هو التغطية والمعنى فقد غطى وستر ما يجب أن يظهر من تعظيم الله جل وعز)[٢]، وقال في موضع آخر:(وروي أن إبراهيم النخعي كره أن يقول الرجل لعمري، قال: لأن معناه "وحياتي"، وكذلك هو عند أهل اللغة)[٣].

الدراسة:

لقد عظم النبي e أمر الحلف بغير الله تعالى فقد نهى عنه، كما بين أنه شرك أوكفر وقد ساق أبو جعفر رحمه الله تعالى عدة أدلة تدل على ذلك، كما بين رحمه الله تعالى سبب كونه شركا أو كفرا ؛لأنه إنما يحلف الإنسان بما يعظمه أكبر العظمة، وبين أن هذا لا ينبغي أن يكون إلا لله جل وعز.

وحكم الحلف بغير الله تعالى -من جهة التفصيل- على نوعين:-

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١٢٥)، و أبو داود (٣/٢١٧) كتاب الأيمان والنذور باب في كراهة الحلف بالآباء، والترمذي(٤ /١١٠)برقم(١٥٣٥) كتاب النذور والأيمان باب ماجاء في كراهة الحلف بغير الله، والحاكم (٤ / ٣٣٠) كتاب الأيمان والنذور، ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، وقد سكت عنه الإمام أبو داود، وقال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث صححه الألباني في تعليقه على السنن.

(٢) إعراب القرآن(٤/١٥٨-١٥٩)(٥/٢٢٠).

(٣) معاني القرآن(٤/٣٣).

أ- فإن اعتقد الحالف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى كان حلفه كفرا وشركا أكبر يخرج به من الملة.

ب- وإن لم يعتقد ذلك في المحلوف به كان حلفه كفرا أصغر، وشركا أصغر لايخرجه عن الملة، وإن كان قد أتى ذنبا عظيما[(١)].

النوع الثاني: الاستسقاء بالأنواء:-

قال الله تعالى:M 8 9 : ; L[(٢)].

يقول أبو جعفر رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (وقد فسر ابن عباس **t** هذا التكذيب كيف كان منهم قال: يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقد سمى النبي **r** هذا كفرا، قال أبو إسحاق: ونظيره قول المنجم "إذا طلع نجم كذا ثم سافر إنسان كان كذا" فهذا التكذيب بإنذار الله جل وعز)[(٣)] ثم ساق الحديث: (**أصبح من عبادي مؤمن بي**).

وقال عند قول الله تعالى:M p q r s t u v w x L[(٤)]: (لا يعلم بين أهل التفسير اختلافا أن الكفر ههنا قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا، وأن نظيره قول المنجم فعل النجم كذا وكذا، وأن كل من نسب إليها فعلا فهو كافر) [(٥)]، وفي موضع آخر قال:(فجعلهم كفارا بذلك)[(٦)].

---

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية(١/ ٣٧)، فتح المجيد(٢/ ٦٩١)، القول المفيد(٣/٢١٩).

(٢) الواقعة: ٨٢.

(٣) إعراب القرآن(٤/ ٣٤٤)

(٤) الفرقان: ٥٠ .

(٥) إعراب القرآن(٣/١٦٣-١٦٤).

(٦) معاني القرآن(٥/ ٦٣).

الدراسة:

الأنواء: جمع نوء، وهو النجم، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء[١].

وقد ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني t أنه قال: **(صلى لنا رسول الله r صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي r أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)**[٢].

والاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شرك أكبر، وله صورتان:

الصورة الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، فهذا شرك أكبر وهو شرك في العبادة، لأن الدعاء من العبادة، ودعاء غير الله من الشرك الأكبر .

الصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذه الأنوار على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ولو لم يدعها، فهذا شرك أكبر في الربوبية.

القسم الثاني: شرك أصغر، وهو أن يجعل هذه الأنواء سببا مع اعتقاده أن الله هو الخالق الفاعل، لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره فهو مشرك شركا أصغر[٣] .

---

(١) مختار الصحاح(١٢٨)، لسان العرب(١٤/٣٩٢-٣٩٣)، تهذيب اللغة(٩/١٨٣) .

(٢)أخرجه البخاري(٨١٠- ٩٩١، ٣٩١٦، ٧٠٦٤) كتاب الأذان: باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، ومسلم رقم:٢٣١(كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بنوء كذا)(ص٤٩).

(٣) القول المفيد (٢/١٤١-١٤٢).

النوع الثالث : التطير:-

يقول أبو جعفر رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M ! " # $ %
& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7
8 L[(١)](ومعنى تطيروا: تشاءموا، والأصل في هذا من الطير ثم كثر استعمالهم إياه حتى قيل لكل من تشاءم تطير وقرأ الحسن (ألا إنما طيرهم عند الله) جمع طائر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي لا يعلمون أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو من عند الله جل وعز بذنوبهم لا من عند موسى ^)[(٢)].

ولما ذكر حديث:**(أقروا الطير على مكناتها)**[(٣)] قال:(وقد تكلم الناس في معنى هذا الحديث؛ فقال بعض الناس: لا تنفروها بالليل، ولا تصطادوها. إلا أن الشافعي رحمه الله فسره لسفيان بن عيينة على غير هذا قال:كانت العرب تزجر الطير في مكناتها إذا أرادوا الحاجة يتفاءلون بها ويتطيرون فنهاهم النبي ^ عن ذلك فقال: أقروا الطير على مكناتها، أي: لا تزجروها فإن الأمور تجري على ما قضى الله جل وعز)[(٤)].

الدراسة:

الطيرة في اللغة: مصدر تطيَّر يتطير تطيُّراً وطيرةً[(٥)].

وفي الاصطلاح: هوالتشاؤم بمرئي، أو مسموع[(١)].

---

(١) الأعراف: ١٣١ .

(٢) إعراب القرآن (٢/ ١٤٦).

(٣) أخرجه أحمد (٤٥/ ١١٣، رقم ٢٧١٨٣)، وأبو داود (كتاب الضحايا، باب العقيقة)(٣/ ٦٥، رقم ٢٨٣٧) وابن حبان في الصحيح (١٣/ ٤٩٥، رقم ٦١٢٦) وصحح إسناده شعيب الأرناؤط في تعليقه على الحديث، والطبرانى (٢٥/ ١٦٧ رقم ٤٠٧) . والبيهقى (٩/ ٣١١، رقم ١٩١٢٠) . قال الهيثمى (٥/ ١٠٦): رواه الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها ثقات .

(٤) تفسير الإمام الشافعي لقول سفيان بن عيينة ذكر في الآحاد والمثاني(٥/ ٤٤٣) لمؤلفه: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني. ت: د.باسم فيصل أحمد الجوابرة ط: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

(٥) انظر: العين(٧/ ٤٤٧)، معجم مقاييس اللغة(٣/ ٣٤١)، لسان العرب(٤/ ٥٠٨).

وقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من الطيرة، فقد قال r : **(لاعدوى ولاطيرة. . .)**[٢]، وقال r :**(الطيرة شرك، الطيرة شرك)**[٣] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:(التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع؛ فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه، وبرىء من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله والتطير مما يراه أو يسمعه)[٤].

النوع الرابع: بعض الألفاظ التي تقدح في التوحيد: -

أولا: قول (ما شاء الله وشئت): -

ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى اختلاف علماء اللغة في إعراب الآية:C B M D E F G L[٥].

ثم اختار أصحها عنده بقوله: (التقدير في الآية: إن الله جل وعز يصلي على النبي r وملائكته يصلون على النبي r ثم حذفت من الأول لدلالة الثاني) وقال: (لا يجوز أن يجتمع ضمير لغير الله جل وعز مع الله إجلالا له وتعظيما، ولقد قال رجل للنبي r : ما شاء الله وشئت وأنكر ذلك وعلمه النبي r فقال له: قل ما شاء

---

(١) مجموع الفتاوى(٢٣/٦٧)، مفتاح دار السعادة(٢/٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري(برقم٥٧٥٧) (كتاب الطب، باب الفأل)(ص١٠١٦)، ومسلم برقم٥٧٨٨(كتاب السلام، باب لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولا صفر(ص٩٨٥) .

(٣) أخرجه أحمد(٦/٢١٣)وأبوداود(كتاب الطب، باب في الطيرة)(٤/٢٤)برقم:٣٩١٢، وابن ماجه:كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيره(٢/١١٧٠)برقم(٣٥٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحةبرقم(٤٢٩)(١/٤٢٨).

(٤) مفتاح دار السعادة(٢/٢٤٦).

(٥) الأحزاب: ٥٦.

الله ثم شئت)[١].

الدراسة:

دلـت النصـوص الشرعيـة عـلى النهـي عـن هـذه الكلمـة (ماشـاء الله وشـئت) وذلك لأنها تشعر بالتشريك بين مشيئة الله تعالى ومشيئة خلقه، ومن هنا فقد اختـار أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول علي بـن سـليمان في إعـراب الآيـة والمتضـمن تحقيق هذا المعنى، وعلَّل سبب اختياره بأنه لا يجـوز أن يجتمـع ضـمير لغـير الله جـل وعز مع الله إجلالاً له وتعظيماً، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنـد هـذا الحديث:(فأنكر عليه أن جعله ندا لله في هذه الكلمة التي جمع فيهـا بينـه وبـين الله في المشيئة إذ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله فلا يكون شريكه لما يعلم أن كون الشيء نداً لله قد يكون بدون أن يعبد العبادة التامة فإن ذلك الرجـل مـا كـان يعبـد رسـول الله r تلـك العبادة،وقـد قـال الله تعـالى لـه:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > L[٢] وقـال تعـالى:M _ ` a b c d e f g h i j k l L[٣] وهذا تحقيق التوحيد مع أنه ^ أكرم الخلق على الله وأعلاهم منزلة عند الله)[٤].

---

(١) أخرجـه أحمـد (٤٥/ ٤٣) والبخـاري في " الأدب المفـرد " (بـرقم ٧٨٣)(ص٢٧٤)ط.دار البشـائر-بيروت-الطبعة الثالثة-١٤٠٩هـ، ت:محمد فؤاد عبدالباقي، و ابن ماجه (كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال:ماشاء الله وشئت) (١/ ٦٨٤)برقم(٢١١٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٦١٧)برقم(٦٦٧)ط. دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة، بتحقيق:كوثر البرني، و البيهقي (٢١٧/٣) وغيرهم، وقد حسن إسناده الحافظ العراقي في المغني(٢/ ٨٣٥)ط.مكتبة طبرية-١٤١٥هـ، ت:أشرف عبدالمقصود، وانظر: إعراب القرآن(٣/ ٣٢٣)، (٢/ ١٩٥، ٢٢٤).

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) القصص: ٥٦ .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(ص٢٥٤).

ثانيا:قول العبد:مولاي، أوقول السيد: عبدي .

أوضح أبو جعفر النحاس معنى قول الله تعالى:Mهُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ L[(١)] فقال:(أي: ولي نعمكم، وولي ما تحتاجون إليه في حياتكم ولهذا كره أن يقال للإنسان يا مولاي من هذه الجهة ويقول هذا عبدي أو أمتي قال النبي r : **(ولكن ليقل فتاي أو فتاتي)**[(٢)] .

وقال أيضا:(لا نعلم بين العلماء خلافاً أنه لاينبغي لأحدٍ أن يقول لأحدٍ من المخلوقين "مولاي" ولا يقول: عبدك وعبدي، وإن كان مملوكاً، وقد حظر رسول الله r على المملوكين فكيف للأحرار)[(٣)].

وما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من النهي عن قول "مولاي"لأحد من المخلوقين معارض بما صح عن النبي r من جواز ذلك ففي الحديث السابق الذي أورده النحاس:(لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي)[(٤)].

وأما سبب النهي عن ذلك فالنبي r ذكر هذا النهي سداً لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية

(١) الحج: ٧٨ .

(٢) أخرجه البخاري برقم(٢٥٥٢) كتاب الأدب باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي(ص٤١٢)، ومسلم برقم(٥٨٧٤)كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والمولى والسيد(ص٩٩٨).

(٣) إعراب القرآن(١٠٧/٣).

(٤) نقل النووي رحمه الله كلام النحاس ووجهه بأن كلامه منصب على النهي عن "المولى" ثم بين صواب إطلاق المولى بشرطين،انظر:الأذكار للنووي(ص٦٣٥).

لجانب التوحيد وسداً لذريعة الشرك.

فأرشد ^ إلى العلة في ذلك لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى ولأن فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه.

ثالثاً: سب الدهر:-

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى سب الدهر بقوله:(وفي الحديث عن النبي r : **(لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)**[١] ،وفي معناه ثلاثة أقوال:-

١ - منها أن المعنى لا تسبوا خلقا من خلق الله فيما لا ذنب له فيه فإن الله هو الدهر أي خالق الدهر كما قال تعالى:M j k L[٢] .

٢ – وقيل: لما كانوا يقولون فعل الله بالزمان فإنه قد فعل بنا كذا وكان الله جل وعز هو القاضي بتلك الأشياء قال لهم: لا تسبوا فاعل الأشياء فإن الدهر ليس يفعلها.

٣ - وقد روي "فإن الله هو الدهرَ" والمعنى عليه: لا تسبوا الدهر، فإن الله مقيمٌ الدهرَ أي: مقيمٌ أبداً لا يزال)[٣].

الدراسة:

دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على النهي عن سب الدهر، فقد قال الله تعالى:M ; <=> ? @ A B C D E F H I J K L N O P Q L[٤] وثبت في الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ^ قال: **(قال الله عز**

(١) أخرجه مسلم(كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر)(برقم:٥٨٦٦)(ص٩٩٧).

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) معاني القرآن - النحاس - (٦/٤٢٩-٤٣٠) .

(٤) الجاثية: ٢٤ .

وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار)[١] . وفي لفظ لمسلم: **(قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما)**[٢] .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً مفاسد مسبة الدهر:(في هذا ثلاث مفاسد عظيمة؛ إحداها: سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، مذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة فى سبه كثيرة جدا، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التى لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم، حمدوا الدهر، وأثنوا عليه. وفى حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شئ، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى)[٣].

وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معان ثلاثة لقوله:(فإن الله هو الدهر) وبكل واحد منها قال أهل العلم.

أما رواية النصب التي أوردها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فقد ارتضاها

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، باب قوله تعالى:وما يهلكنا إلا الدهر) برقم (٤٦٢٨) (ص٨٥٤) ومسلم(كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر)(برقم:٥٨٦٣)(ص٩٩٧).

(٢) أخرجه مسلم(كتاب الألفاظ من الأدب، باب النهي عن سب الدهر)برقم:٥٨٦٤(ص٩٩٧).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢ / ٣٥٤-٣٥٥).

بعض أهل العلم[1] لكنها خلاف الأشهر والأصح، وفي بيان ذلك يقول القرطبي رحمه الله:(الرواية الصحيحة المشهورة فيه برفع الدَّهر .... وقد قيدها بعض الناس ((الدَّهر)) بالنصب، والذي حمله على ذلك خوف أن يقال: إن الدَّهر من أسماء الله تعالى، وهذا عدول عمَّا صحَّ إلى ما لم يصح مخافة ما لا يصح، فإنَّ الرواية الصحيحة عند أهل التحقيق بالضم، ولم يرو الفتح من يُعتمد عليه، ولا يلزم من ثبوت الضم أن يكون الدَّهر من أسماء الله تعالى)[2].

---

(١) ممن ارتضى رواية النصب:أبو بكر بن داود بن علي الظاهري، وحكاها النحاس وابن عبدالبر. انظر شرح النووي على مسلم(٧/٤١٩).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٨ / ٦٢)، وللاستزادة حول رواية النصب:شأن الدعاء للخطابي(ص١٠٩)إكمال المعلم(٧/٩٢)، طرح التثريب(٨/٤٩٦).

المطلب الثالث: السحر

يقول أبو جعفر رحمه الله تعالى:(والسحر في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة)[١].

وحكى عن شيخه الزجاج أنه أنكر قول من قال: إن قارون كان يعمل الكيمياء قال: لأن الكيمياء[٢] باطل لا حقيقة له)[٣]. وقال عند قول الله تعالى:M D E F G H L[٤]: (يقال أنهن نساء سواحر كن في عهد النبي ^ أمر بالاستعاذة منهن لأنهن يوهمن أنهن ينفعن أو يضررن فربما لحق الإنسان في دينه ما يأثم به، فأما السحر فباطل)[٥] .

كما أورد معنى الجبت وأقوال السلف في بيان معناه وذلك بقوله:(وأصل الجبت في اللغة الذي لا خير فيه، وقال قطرب: أصله الجبس وهو الثقيل الذي لاخير فيه، وقال أبو عبيدة: الجبت والطاغوت كل ما عبد من دون الله.

قال أبو جعفر: وهذا غير خارج مما قلنا)[٦] كما قال في موضع آخر:(والجبت والطاغوت عند أهل اللغة:كل ما عبد من دون الله أو أطيع طاعة فيها معصية أو خضع له فهذه الأقوال متقاربة لأنهم اذا أطاعوهما في معصية الله والكفر بأنبيائه كانوا بمنزلة من عبدهما كما قال جل وعز اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا

---

(١) إعراب القرآن(٣/٦٤)وانظر:المعاني(٤/١٦١)، و(٥/٩٧) .

(٢) الحيلة والحذق وكان يراد بها عند القدماء تحويل بعض المعادن إلى بعض المعجم الوسيط(٢/٨٠٨)، وانظر: أبجد العلوم لصديق حسن(٢/٤٥٦) ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار.

(٣) إعراب القرآن(٣/٢٤٣)، وانظر:معاني القرآن(٥/٢٠١).

(٤) الفلق: ٤.

(٥) إعراب القرآن(٥/٣١٤).

(٦) معاني القرآن(١/٢٧١).

من دون الله)[١].

كما أورد ما ماجاء عن السلف في تفسير الجبت بقوله:(وروي عن عمر رحمه الله أنه قال: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان[٢]، وكذلك روي عن الشعبي. وقال قتادة: الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن، ثم ذكر الحديث: **(العيافة والطيرة والطرق من الجبت)**[٣] .

الدراسة:

السحر في اللغة: مصدر:سحر يسحر سحرا.

يقول ابن فارس:(السين والحاء والراء أصولٌ ثلاثة متباينة: أحدها عضْوٌ من الأعضاء، والآخر خَدْعٌ وشِبهُهُ، والثالث وقتٌ من الأوقات)[٤]، ويطلق السحر كذلك على كل ما لطف وخفي سببه[٥]، ومن خلال ماسبق يتضح أن أباجعفر ذكر بعض المعاني اللغوية للسحر.

ثم إن الذي يظهر لي من كلام أبي جعفر رحمه الله تعالى أن السحر تخييل لاحقيقة له، وهذه المسألة اختلف أهل العلم فيها، و الصواب الذي عليه أكثر العلماء وعليه المحققون من أهل العلم وهو قول أهل السنة والجماعة أن السحر له

(١) معاني القرآن - النحاس - (٢ / ١١١).

(٢) علقه البخاري في "الصحيح" (كتاب التفسير، باب {وإن كنتم مرضى أو على سفر}وقال الحافظ في الفتح بعد أن ذكر من وصله ٨/ ٢٥٢: "وإسناده قوي".

(٣) أخرجه عبدالرزاق(١٠/ ٤٠٣) المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي وأحمد (٢٥/ ٢٥٦) وأبوداود(٤/ ٢٣)برقم(٣٩٠٩)في(الطب، باب في الخط وزجرالطير)وسكت عنه، وابن حبان(١٤٢٦)والبيهقي (٨/ ١٣٩، رقم: ١٦٢٩٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة(٣/ ١٣٨).

(٥) تهذيب اللغة(٤/ ١٦٩-١٧٠)، مختار الصحاح(١/ ١٢٢)، لسان العرب(٤/ ٣٤٨)، المعجم الوسيط (١/ ٤١٩).

حقيقة مؤثرة[١]، وأدلتهم:

أ - قولـه تعـالى:M قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ ´ µ ¶ ¸ بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ L[٢] فدلّت الآية على إثبات حقيقة السحر .

ب - قولـه تعـالى: M O P Q R S T U V L[٣] فالآيـة أثبتـت الضرر للسحر، ولكنّه متعلق بمشيئة الله .

ج - واسـتدلوا بـما روي (أن يهودياً سـحر النبـي ^ فاشـتكى لـذلك أيامـاً، فأتـاه جبريل فقال: إنّ رجلاً من اليهود سـحرك، عقـد لـك عقـداً في بئـر كـذا وكـذا، فأرسل ^ فاستخرجها فحلّها، فقام كأنّما نَشِطَ من عقال)[٤] .

-وذهب بعض العلماء إلى أن السحر مجرد تخييل، وأنـه لا تـأثير لـه ولا حقيقـة، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة، وقول ابن حزم، وهو مذهب المعتزلة[٥] .

دليلهم:

أ - قولـه تعـالى:M قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ ´ µ ¶ ¸ بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ L[٦] فالآية: تدل على أن السحر إنما كان للأعين فحسب.

---

(١) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة(١/٥١٩-٥٢٢) تحقيق محمد المدخلي ط. دار الراية، سنة النشر ١٤١٩هـ / الرياض، شرح السنة للبغوي(٧/٣٢٤) بدائع الفوائد(٢/٤٥٢)، تيسير العزيز الحميد(٢/٦٧٩)أضواء البيان للشنقيطي(٤/٥٤٦) ط. عالم الفوائد - الأولى١٤٢٦هـ.

(٢) الأعراف: ١١٦ .

(٣) البقرة: ١٠٢ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند(٣٢/١٤) برقم(١٩٢٦٧)، والنسائي(٧/١١٢)كتاب تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب(برقم:٤٠٨٠) وصححه الألباني وشعيب الأرناؤط في تعليقهما على الكتابين.

(٥) أحكام القرآن للجصاص(١/٥٢-٥٣) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥ ت: محمد قمحاوي، متشابه القرآن لعبدالجبار(١/١٠١)، الكشاف للزمخشري(١/١٩٩) ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم(٥/٥)، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٦) الأعراف: ١١٦.

ب - قوله تعالى: M 4 5 6 7 8 9 L[١].

والصواب القول الأول، ولايلزم مما ذكر أصحاب القول الثاني من الآيات أن جميع أنواع السحر تخييل، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:(وقد زعم قوم من المعتزلة[٢] وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له هذا ليس بصحيح على إطلاقه بل منه ما هو تخييل ومنه ما له حقيقة)[٣] وبمثل هذا التفصيل يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى وغيره من أهل العلم[٤].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله عن الكيمياء:(ومعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن السحر من أعظم المحرمات فإذا كانت الكيمياء تقرن به كثيراً . .: علم أنها ليست من أعمال أهل العلم والإيمان؛ بل من أعمال أهل الكفر والفسوق والعصيان . . . . ومن استقرأ أحوال طالبيها وجد تحقيق ما قاله الأئمة حيث قالوا: من طلب المال بالكيمياء أفلس . . . . بل قد تؤول إلى الكفر بالرحمن والإعراض عن الإيمان والقرآن والدخول في أضاليل المشركين وعباد الأوثان وهو خسارة الدنيا والدين)[٥]

وأما الجبت في اللغة: فقد عرف بأنه:(الصَّنَمُ والكاهِنُ والساحِرُ والسِّحْرُ

---

(١) طه: ٦٦ .

(٢) المعتزلة فرقة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني، واعتمدت العقل مصدرا في باب العقائد،وسموا بهذا الاسم لاعتزال زعيماها واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري،وأصولهم في العقيدة:التوحيد،العدل،الوعد والوعيد،المنزلة بين المنزلتين،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.انظر:التنبيه والرد للملطي(ص٤٩)،مقالات الإسلاميين(١/ ٢٣٥).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢/ ٦٧٩).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي(٤/ ٥٤٦).

(٥) مجموع الفتاوى(٢٩/ ٣٨٦).

والذي لا خَيْرَ فيه وكُلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهَّ تعالى)[١].

وقد جاء ذكر الجبت في قول الله تعالى: M أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا L[٢].

وفي قول النبي r : **(العيافة والطيرة والطرق من الجبت)**[٣].

وحول ما ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى من أقوال للعلماء في بيان معنى الجبت يقول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله تعالى بعد أن ذكر هذه المعاني:(والظاهر أنه يعم ذلك كله)[٤]، وفيما ذكر أهل اللغة في تعريفه يظهر أنه عام لتلك المعاني، وفي ذلك يقول الجوهري رحمه الله:(الجِبْتُ: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك)[٥].

❋ ❋ ❋

(١) القاموس المحيط(ص١٩١)، وانظر: تهذيب اللغة(٣/٤٨٦)، لسان العرب(٢/٢١).

(٢) النساء: ٥١.

(٣) سبق تخريجه (ص١٢١).

(٤) تيسير العزيز الحميد(١/٦٤٧)

(٥) الصحاح في اللغة(١/٧٨)

المطلب الرابع: البدعة

يقول أبو جعفر رحمه الله مبينا معنى البدعة:(وخلق الله الخلق من هذا: أي ابتدعهم على غير مثال)[١]

وقال في موضع آخر:(قال محمد بن يزيد[٢]: البدع والبديع الأول يقال: ابتدع فلان كذا، إذا أتى بما لم يكن قبله، وفلان مبتدع من البدعة التي لم يتقدم لها شبه، و قال الله عز وجل: M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ L[٣] أي: مبتدئها)[٤] .

وقد نقل أبو جعفر رحمه الله تعالى عن أهل العلم ما يدل على خطورة البدع وأهلها؛ فعند قول الله تعالى:M I J K L M N O P Q R ! T U V W X Y Z [\ L[٥] يقول:(وقيل إن الآية تدل على أن من ابتدع من خارجي وغيره فليس النبي ^ منهم في شيء؛ لأنهم إذا ابتدعوا تخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعا)[٦].

وقال أيضا عند هذه الآية:(وكذا من ابتدع فقد جاء بما لم يأمر الله جل وعز به فقد فرق دينه وفارقوا دينهم يعني الإسلام وكل من فارقه فقد فارق دينه الذي يجب أن يتبعه لست منهم في شيء فأوجب براءته منهم)[٧].

---

(١) إعراب القرآن (٣/ ٤٥٥).

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه، من مؤلفاته: الكامل في اللغة والأدب، شرح شواهد الكتاب، توفي سنة(٢٨٥هـ)ببغداد انظر بغية الوعاة (١/ ٢٦٩-٢٧١).

(٣) البقرة: ١١٧.

(٤) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩).

(٥) الأنعام: ١٥٩.

(٦) معاني القرآن (٢/ ٥٢٤).

(٧) إعراب القرآن(٢/ ١١٠).

وذكر عند قول الله تعالى:M J K L M N P Q R S T U V X Y Z [\ L(١) قول مجاهد أن السبل: البدع والشبهات)(٢).

الدراسة:

يقول ابن فارس رحمه الله تعالى في معنى البدعة:(الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعُه لا عَن مثال، والآخر الانقطاع والكلال)(٣).

أما تعريف البدعة شرعا: فقد تنوعت عبارات أهل العلم في بيان معناها على أقوال عدة من أقربها تعريف الشاطبي(٤) رحمه الله تعالى حيث قال في تعريفها:(طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)(٥)، ومنه يعلم أن أباجعفر النحاس رحمه الله تعالى لم يخرج عما ذكره العلماء في التعريف اللغوي للبدعة .

وفيما نقله أبوجعفر رحمه الله تعالى من آثار سيئة ومخاطر عظيمة للبدع، دلالة على عنايته بالاتباع وترك الابتداع، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله تعالى :(وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم كما قال مجاهد: أهل البدع والشبهات: يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الإمام

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير(٥/ ١٤٢٢)، والطبري في تفسيره(٩/ ٦٧٠)، ومجاهد في تفسيره (١/ ٢٢٧).

(٣) إعراب القرآن (٤/ ١٦٠).

(٤) هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه "الموافقات في أصول الفقه"، و"الاعتصام" توفي سنة (٧٩٠). الأعلام للزركلي (١ / ٧٥).

(٥) الاعتصام (١/ ٣٧)، وانظر:في أقوال العلماء في تعريف البدعة كتاب حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٢٦٣-٢٦٧).

أحمد قال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يحتجون بالمتشابه من الكلام، ويضلون الناس بما يشبهون عليهم)[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) مجموع الفتاوى(١٣/ ١٤٢)، وانظر في التحذير من مفاسد البدع:الشرح والإبانة(ص١٣٠)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة(١/ ٥٥ومابعدها) .

الفصل الثاني:
آراء أبي جعفر النحاس العقدية
في توحيد الأسماء والصفات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراؤه في أسماء الله تعالى .

المبحث الثاني: آراؤه في صفات الله تعالى.

المبحث الأول:
آراؤه في أسماء الله تعالى:

أولا: القواعد التي أورد أبو جعفر النحاس ما يدل عليها.

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بيان معاني بعض أسماء الله تعالى عند شرحه وإعرابه للآيات، وقبل أن أذكر كلامه عن أسماء الله تعالى على جهة التفصيل سأبين شيئا من قواعد أهل السنة والجماعة في هذا الباب مما رأيت لأبي جعفر النحاس رحمه الله كلاما يدل عليه، ومن أبرز تلك القواعد:-

القاعدةالأولى / أسماء الله تعالى توقيفية:-

من أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته أنها توقيفية، لامجال للعقل فيها فما جاء في الكتاب والسنة مثبتا يجب إثباته وما جاء منفيا يجب نفيه، وما سكت عنه فيجب السكوت عنه وعدم الخوض فيه[1].

وقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة دالة على هذا الأصل فمن ذلك:

١ - قوله تعالى: M C D E F G L[2] فهذه الآية تدل على أن أسماء الله تعالى توقيفية، من جهة أنه أخبر عن كونها أسماء الله جل وعز، وأنها حسنى أي: بالغة في الحسن غايته ونهايته .

٢ - قول الله تعالى: M I J K L M O P Q R L[3] يقول أهل التفسير: (من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة).

(١) انظر: مجموع الفتاوى(٥/ ٢٦)، لوامع الأنوار البهية(١/ ١٢٤)، القواعد المثلى لابن عثيمين(ص٣٤).

(٢) الأعراف: ١٨٠ .

(٣) الأعراف: ١٨٠.

وقد قرر هذا الأصل أبو جعفر النحاس - رحمه الله تعالى - فيقول في بيان هذا الأصل:(وقال بعض أهل اللغة يجب على هذا أن لا يدعى الله عز و جل إلا بما وصف به نفسه فيقال: ياجواد، و لا يقال: يا سخي)[١] .

وقد نقل القرطبي رحمه الله تعالى عن أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى قوله: (فإنما يلزم العبد الاستسلام، ولا يعرف ملك مقرب، ولا نبي مرسل تلك الصفات إلا بالأسماء التي عرفهم الرب، ولا تدرى بالعقول والمقاييس منتهى صفات الخالق تعالى فيلزم المسلم أن يتثبت معرفة الصفات بالاتباع والتسليم كما جاء، قال أبو جعفر:فهذا كلام العلماء الأدباء، لامن يجترئ على مالا يلوح له، وسمعه من جاهل)[٢].

كما اعترض على من فسر الإل في قول الله تعالى: M? @ A B C D L[٣] بأنه الله وذلك بقوله:(فأما ما روي عن أبي مجلز ومجاهد أن "الإل" الله جل وعز فغير معروف لأن أسماء الله جل وعز معروفة)[٤] .

القاعدة الثانية / دلالة أسماء الله تعالى وآثارها: -

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى ليست أعلاما محضة لا تدل على معان؛بل هي أعلام وأوصاف، ولو كانت أسماؤه تعالى أعلاما محضة بدون معاني لم تكن حسنى، ومن قال بذلك فقد عطل أسماء الله تعالى عن معانيها، ولايتم الإيمان بالأسماء والصفات إلا بترك التعطيل[٥].

---

(١) معاني القرآن(٣/١٠٨).

(٢) الأسنى للقرطبي(ص٨).

(٣) التوبة: ٨.

(٤) معاني القرآن (٣ / ١٨٧)،وانظر:معاني القرآن للزجاج(٢/٣٩٢).

(٥) انظر في هذه القاعدة:بدائع الفوائد(١/١٧٠)، توضيح المقاصد لابن عيسى(٢/٢١٧، ٢٥٢)، القواعد المثلى (٢٤-٢٧)، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د.إبراهيم بن محمد البريكان (٢٥١-٢٥٨)ط.دار الهجرة-الأولى-١٤١٤هـ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى =

وقد اعتنى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بإيراد دلالات أسماء الله تعالى وآثارها في مواضع عدة، ومن ذلك:-

قوله عند اسم الله الخبير:(خبير) أي بمصالح خلقه[١]، خبير في خلقه[٢]، وقال عند قول الله تعالى:Mأَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ à مُّحِيطُۢ L[٣] (أي: قد أحاط به علما مما يشاهد ويغيب والتقدير محيط بكل شيء جل وعز)[٤].

وذكر أن معنى قوله تعالى: Mوَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ L[٥] (أي: ذو قدرة على ما يشاء يخلق ما يشاء ويحيي ويميت ويعز ويذل لا يعجزه شيء لأنه ذو القدرة التامة)[٦].

كما ذكر من دلالات اسم الله (العليم)بقوله:(عليم بمن يفسد عباده وإذا علم ذلك جازى عليه)[٧] وقال:(عليم بمصالح عباده ومنافعهم)[٨].

وبين آثار اسم الله الحكيم بأنه:(الحكيم في فعله، الحكيم في تدبيره خلقه الذي لا يدخل في تدبيره خلل[٩]، (الحكيم) فيما خلقه لأن حكمته لا يرى فيها خلل)[١٠].

وقال: (وهو حكيم فيما فطركم عليه وشرع لكم من دينه) [١١].

= د.محمد بن خليفة التميمي(٤٥١-٤٥٢).

(١) إعراب القرآن(٢/٢٧٢).

(٢) معاني القرآن(٥/٣٩١).

(٣) فصلت: ٥٤ .

(٤) إعراب القرآن (٤/٦٩).

(٥) الحديد: ٢ .

(٦) إعراب القرآن (٤/٤٤١).

(٧) معاني القرآن (١/٤١٧) .

(٨) إعراب القرآن (/٢١٢).

(٩) إعراب القرآن(٤/٣٤٩).

(١٠) إعراب القرآن(٤/٤٠٧).

(١١) معاني القرآن(١/١٥٤).

ويقول في اسم الله (العفو) أي: يقبل العفو وهو السهل[١] .

ويقول في بيان معنى اسم الله **الغفور**: (غفورا) للذنوب ومعنى غفر الله ذنبه: ستر عنه عقوبته فلم يعاقبه)[٢].

ثانياً: بيان معاني بعض أسماء الله تعالى .

اهتم أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ببيان معاني أسماء الله تعالى فألف في ذلك كتاب(اشتقاق أسماء الله الحسنى)، وهو من كتبه المفقودة، لكنه ضمن كتبه المطبوعة بيانا لمعاني بعض أسماء الله تعالى، وسأورد كلامه على كل اسم وأعقبه بذكر ما أورده أهل العلم حوله، ومما ذكر من الأسماء: -

١ - الرحمن الرحيم:

نقل أبو جعفر رحمه الله تعالى ماورد عن السلف من بيان معنى هذين الاسمين فقال:(روي عن ابن عباس أنه قال: الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن:الرقيق، والرحيم:العاطف على خلقه بالرزق)[٣] .

ونقل قول محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى [٤]: (الرحمن بخلقه الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته وحجته)[٥].

وأيد قول العزرمي[٦]:(الرحمن بجميع الخلق، الرحيم بالمؤمنين)بقوله:(وقول العرزمي أيضا حسن لأن فعلان فيه معنى المبالغة فكأنه والله أعلم الرحمن بجميع

---

(١) إعراب القرآن(٤/ ٤٥٩)،وهذا تأويل لهذا الاسم بلازمه وبأحدمعانيه،وهو خطأمن النحاس .

(٢) إعراب القرآن(١/ ٤٥٩).

(٣) معاني القرآن (١/ ٥٣).

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، مدني تابعي رجل صالح عالم بالقرآن.وكان من أئمة التفسير) سير أعلام النبلاء - (٥ / ٦٥).

(٥) معاني القرآن (١/ ٥٣) .

(٦) هو عبد الملك بن أبي سليمان واسمه ميسرة أبو محمد ويقال أبو سليمان وقيل أبو عبد الله العرزمي أحد الأئمة، روى له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة(١٤٥هـ) انظر: تهذيب التهذيب - (٦ / ٣٥٢).

خلقه ولهذا لم يقع إلا لله تعالى لأن معناه الذي وسعت رحمته كل شيء ولهذا قُدِّم قبل الرحيم)[(١)]

ثم نقل قول قطرب[(٢)]:(يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد)[(٣)].

وعلق عليه أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فقال:(وهذا قول حسن وفي التوكيد أعظم الفائدة وهو كثير في كلام العرب يستغني عن الاستشهاد والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد:أنه تفضل بعد تفضل وإنعام بعد إنعام[(٤)] وتقوية لمطامع الداعين ووعد لايخيب آمله)[(٥)] .

ثم بين أبو جعفر رحمه الله تعالى سبب التعبير بالرحيم دون الراحم بقوله:(وصار الرحيم أولى من الراحم لان الرحيم ألزم في المدح لأنه يدل على أن الرحمة لازمة له غير مفارقة[(٦)] والراحم يقع لمن رحم مرة واحدة)[(٧)].

وقد ضَعَّف أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى القول بأن الرحمن لفظ عبراني بقوله:(وهذا القول مرغوب عنه)[(٨)] وفي بيان خطأ هذا القول يقول الزجاجي رحمه الله:(ولم ينعم الذاهب إلى هذا المذهب النظر، لأن الرحمن معروف الاشتقاق والتصريف في لغةالعرب، والأعجمي لامعنى له في كلام العرب، ولاتصريف)[(٩)]

---

(١) معاني القرآن (١/٥٤-٥٥) .

(٢) هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري، المعروف بقطرب، معتزلي العقيدة، كان متمكنا في من اللغة والنحو، توفي ببغداد سنة(٢٠٦هـ)،طبقات النحويين(ص٩٩)،نزهة الألباء(٩١).

(٣) معاني القرآن (١/٥٤) .

(٤) هذا تأويل لصفة الرحمة بأنها الإنعام والتفضل،ولم يعلق أبو جعفر النحاس على ما تأوله المبرد هنا،انظر في كلام المبرد :اشتقاق أسماء الله للزجاجي(ص٤١،١٥٧)، مناهج اللغويين(ص٦٩٠-٦٩١).

(٥) معاني القرآن (١/٥٤-٥٥) .

(٦) ستأتي مناقشة النحاس فيما أورده حول صفة الرحمة لله تعالى(ص١٦٧)

(٧) معاني القرآن (١/٥٥) .

(٨) معاني القرآن (١/٥٦) .

(٩) اشتقاق أسماء الله الحسنى لأبي القاسم الزجاجي(ص٤٢) .

٢ - المولى:

بين أبو جعفر النحاس أن معنى المولى والولي واحد وهو الناصر، وأن مقتضى ذلك أن الله يتولى الذين آمنوا في جميع أمورهم وهدايتهم والنصر على عدوهم، وقد ذكر هذا الاسم عند قول الله تعالى: Mوَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ L[١] فيقول في معناها: (أي: ولي نعمكم وولي ما تحتاجون إليه في حياتكم، . . . . (فنعم المولى) أي فنعم الولي لكم لأنه يريد بكم الخير)[٢].

ثم أسند ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قول الله تعالى: Mذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ L[٣] قال: ناصرهم، قال الفراء: وفي قراءة عبد الله (ولي الذين آمنوا) وهذه قراءة على التفسير، وقال أبو إسحاق في معنى ذلك: بأن الله يتولى الذين آمنوا في جميع أمورهم وهدايتهم والنصر على عدوهم، وهذه الأقوال متقاربة ومعروف في اللغة أن المولى الولي وهو معنى ما قال ابن عباس إن المولى الناصر) [٤].

٣ - الحكيم:

ذكر أبو جعفر عدة معان لهذا الاسم هي: الحاكم، المحكم، ذوالحكمة.

فقال: (الحكيم) فيما خلقه لأن حكمته لا يرى فيها خلل، وقيل الحكيم بمعنى

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) إعراب القرآن (٣/١٠٧).

(٣) محمد: ١١.

(٤) إعراب القرآن (٤ /١٨١)، وانظر في هذا الاسم: اشتقاق أسماء الله الحسنى(ص١١٣-١١٥)، تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج(ص٥٥)ت:أحمد الدقاق ط. دار المأمون للتراث-دمشق-الطبعة الثانية١٣٩٩هـ، شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي(ص٧٨، ١٠١)ت:أحمد الدقاق، ط. دار الثقافة العربية –دمشق-الطبعة الثالثة١٤١٢هـ، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي(ص١٢٢)ط. مكتبة الجندي-مصر١٣٨٧هـ.

الحاكم)[١].

وقال أيضا:(ومعنى الحكيم ذو الحكمة)[٢].

وما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من المعان اللغوية لاسم الله الحكيم قد وافق فيه ماسطره أهل العلم من أهل اللغة وشراح أسماء الله الحسنى،فقد جاء في لسان العرب: (الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم وهو القاضي فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل، وقيل: الحكيم ذو الحكمة)[٣].

٤ - السلام:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى السلام في أسماء الله تعالى بأنه: ذو السلامة من جميع الآفات. يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(السلام) أي ذو السلامة من جميع الآفات)[٤].

ثم قال: (والسلام شجر قوي واحدها سلامة، قال أبو إسحاق: سمي بذلك لسلامته من الآفات)[٥].

وحول ما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بيان معنى اسم الله] ٱلسَّلَـٰمُ Z يقول ابن العربي رحمه الله تعالى : (اتفق العلماء على أن معنى قولنا في الله] ٱلسَّلَـٰمُ Z: تقديره ذو السلامة، ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال:

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٧) .

(٢)معاني القرآن (١ / ٤١٣، ٤١٧) .

(٣) لسان العرب (١٢ / ١٤٠)، وانظر:تفسير أسماء الله(ص٥٢)، اشتقاق أسماء الله (ص٦٠-٦٢)، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد النجدي(١ /٢٤١-٢٤٦)ط. مكتبة الذهبي-الكويت-الطبعة السابعة١٤٢٦هـ.

(٤) إعراب القرآن - (٤ / ٤٠٥).

(٥) إعراب القرآن - (٤ / ٤٠٥) .

الأول: معناه الذي سلم من كل عيب وبريء من كل نقصى.

الثاني: معناه ذو السلام؛ أي المسلم على عباده في الجنة .

الثالث: أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه)[١].

٥ - المؤمن:

ذكر أبو جعفر ثلاثة معان لهذا الاسم:-

الأول:أن معناه الذي آمن عبادَه من جوره.

الثاني: الذي آمن أولياءَه من عذابه.

ونقل قول ثعلب رحمه الله تعالى : المؤمن لأنه يصدِّق عباده المؤمنين، ووضح أبو جعفر معنى قول ثعلب بقوله: (ومعنى هذا أن المؤمنين يشهدون على الناس يوم القيامة فيصدقهم الله جل وعز)[٢].

وحول ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معان لاسم الله المؤمن يقول القرطبي:( ] ٱلۡمُؤۡمِنُ Z أي المصدِّق لرسله بإظهار معجزاته عليهم، ومصدِّق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدِّق الكافرين ما أوعدهم من العقاب. وقيل: المؤمن الذي يؤمن أولياءه من عذابه ويؤمن عباده من ظلمه؛ يقال: آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف؛كما قال تعالى: M 2 3 4 L[٣] فهو مؤمن . . . . . وقال مجاهد: المؤمن الذي وحَّد نفسه بقول:M 4 5 6 7 8 9 : L[٤])[٥].

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للقرطبي(ص٢٠٢-٢٠٣)ت:عرفان الدمشقي، ط. المكتبة الحضرية١٤٢٧هـ.، وانظر:تفسير أسماء الله(ص٣٠-٣١)، اشتقاق أسماء الله(٢١٥-٢٢١).

(٢) إعراب القرآن - (٤ /٤٠٥).

(٣) قريش: ٤ .

(٤) آل عمران: ١٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن - (١٨ /٤٦)، وانظر: اشتقاق أسماء الله(ص٢٢١-٢٢٧)، تفسير أسماء الله(ص٣١)، شأن الدعاء(ص٤٥)، النهج الأسمى(١ /١٢٣-١٢٧).

٦ - المهيمن:

أورد أبو جعفر عدة معان لهذا الاسم وهي:("الأمين" و "الشهيد" و"الرقيب"و" الحفيظ")ثم قال:(وهذه كلها من صفات الله جل وعز فالله شاهد أعمال عباده، حافظ لها، أمين عليها، لا يظلمهم ولا يلِتْهُم من أعمالهم شيئا)[1] ثم بين ضعف قول من ذكر أن أصل هذا الاسم "مؤيمن" فقال موضحاً سبب ضعفه:(وليس في أسماء الله تعالى شيءٌ مصغر)[2]،وقد سبق بالانكار في هذه المسألة أبو العباس ثعلب حين بلغه أن ابن قتيبة حكاه "مؤيمن" على التصغير، وأغلظ له في القول.

وحول ما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بيان معنى اسم الله المهيمن يقول الماوردي رحمه الله تعالى: (وأما المهيمن فهو من أسمائه أيضاً، وفيه خمسة أوجه:

أحدها: معناه الشاهد على خلقه بأعمالهم، وعلى نفسه بثوابهم، قاله قتادة. . . **والثاني**: معناه الأمين. **الثالث**: المصدق. **الرابع**: أنه الحافظ. **الخامس**: الرحيم)[3] .

٧- الجبار:

يقول أبو جعفر رحمه الله تعالى في بيان معنى هذا الاسم:(فيه أربعة أقوال: - قال قتادة: الجبَّار الذي يجبِر خلقه على ما يشاء، قال أبو جعفر: وهذا خطأ عند أهل العربية لأنه إنما يجيء من هذا مُجبِر ولا يجيء فعَّال من أفعل.

وقيل: من جبر الله خلقه أي نعتهم وكفاهم، وهذا قول حسن لا طعن فيه.

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٥).

(٢) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٥).

(٣) تفسير الماوردى - النكت والعيون (٥ / ٥١٣- ٥١٤)بتصرف يسير، وانظر:اشتقاق أسماء الله(ص٢٢٧-٢٣٦)، تفسير أسماء الله(ص٣٢-٣٣)، شأن الدعاء(ص٤٦)، لسان العرب(١٣/ ٤٣٦)النهج الأسمى(١/١٢٩-١٣٤) .

وقيل: من جَبْرْت العظم فجبر أي أقمته بعد ما انكسر، فالله تعالى أقام القلوب لتفهمها دلائله.

وقيل: هو من قولهم تجبَّر النخل إذا علا وفات اليد . . . . فقيل جبار لأنه لا يدركه أحد)[١].

ثم أضاف أبو جعفر من المعاني لاسم الجبار:(قال أبو إسحاق: الجبار عند أهل اللغة الذي لا يرى لأحد عليه حقا)[٢].

وقال أيضا: (الجبار عند أهل اللغة: المتعظم الذي يمتنع من الذل والقهر)[٣].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى بعدما أورد أكثر هذه المعاني:(فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع إلى ثلاثة معان: الملك، والقهر، والعلو)[٤].

٨- الباريء:

لما أورد أبو جعفر قول من فسر معنى البارئ بأنه الخالق، قال:(وهذا فيه تساهل لضعف من يقوله في العربية، أو على أن يتساهل فيه لأنه قبله الخالق)[٥]ثم بين معناه بقوله:(معنى "برأ الله الخلق" سواهم وعدلهم؛ ألا ترى اتساق الكلام أن قبله خلق أي: قدر، وبعده برى أي: عدل وسوى)[٦].

وحول ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من الفرق بين الاسمين الخالق والبارئ يقول الزجاج رحمه الله تعالى: (يقال برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برءاً إذا فطرهم، والبرء خلق على صفة فكل مبروءٍ مخلوقٌ، وليس كل مخلوقٍ مبروءاً؛ وذلك

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٦).

(٢) معاني القرآن (٥٢١/٣).

(٣) معاني القرآن (٢٨٨/٢)

(٤) شفاء العليل(١ /٣٦٦)، وانظر: تفسير أسماء الله(ص٣٤)، اشتقاق أسماء الله(ص٢٤٠)، شأن الدعاء (ص٤٨)، لسان العرب(١١٣/٤)، تاج العروس(١٠ /٢٥٢-٢٥٣)، النهج الأسمى(١٤٣-١٤٥).

(٥) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٦) .

(٦) إعراب القرآن (٤ / ٤٠٦) .

لأن البرء من تبرئة الشيء من الشيء، من قولهم برأت من المرض وبرئت من الدين أبرأ منه فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئا)[١].

ويقول القرطبي رحمه الله:(فالخالق عام، والدلالة في كل مخلوق، والبارئ أيضا عام في كل مبرأ وهو كل ما وجد بعد أن لم يكن، وهو أخص في دلالته من الخالق من حيث دل على الإيجاد من غير تقدير)[٢].

٩ - الكبير و المتكبر:-

فسر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى اسم الله "الكبير" بأنه:(الملك المقتدر على كل شيء[٣]، و الكبير السيد المقصود[٤]،و(**المتكبر**) أي: العالي فوق خلقه)[٥]

وحول ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بيان معنى هذين الاسمين يقول ابن جرير رحمه الله تعالى:(الكبير:العظيم الذي كل شيءدونه، ولاشيءأعظم منه)[٦]،وقال الخطابي رحمه الله تعالى:(هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله كل كبير)[٧].

وأما اسم الله "المتكبر" فيقول القرطبي رحمه الله تعالى:( ] ٱلْمُتَكَبِّرُ Z الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله. وقيل: المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به . . .، والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم. . . . .

وقيل: المتكبر معناه العالي. وقيل: معناه الكبير لأنه أجل من أن يتكلف كبرا.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى(ص٣٧)، وانظر: اشتقاق أسماء الله(ص٢٤٢)، شأن الدعاء(ص٥٠-٥)، الأسنى(ص٣٢٦-٣٢٨)، لسان العرب(١ /٣٧)، النهج الأسمى(١ /١٦٣)

(٢) الأسنى للقرطبي(ص٣٢٧).

(٣) إعراب القرآن (٢ /٢٥٣).

(٤) إعراب القرآن (٣/٢٤٦) .

(٥) إعراب القرآن (٤ /٤٠٦).

(٦) تفسير الطبري (١٨ /٦٧٦).

(٧) شأن الدعاء (ص٦٦).

وقد يقال: تظلم بمعنى ظلم، وتشتم بمعنى شتم، واستقر بمعنى قر. كذلك المتكبر بمعنى الكبير. وليس كما يوصف به المخلوق إذا وصف بتفعل إذا نسب إلى ما لم يكن منه)[١].

١٠ - العزيز:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معاني اسم الله "العزيز" بأنه: (الذي لا يقهر)[٢] وأنه:(العزيز في انتقامه المنيع فلا ينتصر منه من عاقبه)[٣].

وقد استوفي أبو جعفر بما ذكره من معان لهذا الاسم ماقيل في معناه، وفي بيان ذلك يقول ابن القيم رحمه الله تعالى:-

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جنابه ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان[٤]

ويقول السعدي رحمه الله تعالى:("العزيز" الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع. فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته)[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن(١٨/ ٤٧)، وانظر:اشتقاق أسماء الله(ص١٥٤-١٦١)، تفسير أسماء الله (ص٣٥، ٤٨)، النهج الأسمى(١/ ١٥١-١٥٧).

(٢) إعراب القرآن (٢/ ٥٢).

(٣) إعراب القرآن (٤/ ٣٤٩، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٩).

(٤) الكافية الشافية(٢/ ٢١٨) بشرح ابن عيسى توضيح المقاصدوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ط : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ تحقيق : زهير الشاويش.

(٥) تفسير السعدي(ص٩٦٤).

١١ - الحميد:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معناه بقوله:(أي المحمود عند عباده بأفعاله الجميلة)[١]وقال كذلك:(الحميد إليهم بإنعامه عليهم)[٢].

وحول ما بينه أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بيان معنى اسم الله "الحميد" يقول الزجاج رحمه الله تعالى:(الحميد هو فعيل في معنى مفعول والله تعالى هو المحمود بكل لسان وعلى كل حال)[٣]. ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:("الحميد" أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وأمره ونهيه، الصادق في خبره)[٤]. ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:("الحميد" في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل)[٥].

١١ - الحسيب:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معاني اسم الله "الحسيب":(محاسبا، حفيظا، كافيا، مقتدرا)[٦]واختار منها معنى الكفاية فقال:(وهذا أبينها يقال أحسبني الشيء أي كفاني ومنه حسبك الله)[٧]،وحول ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بيان معنى اسم الله"الحسيب" يقول الزجاج رحمه الله تعالى:(الحسيب يجوز أن يكون من حسبت الحساب ويجوز أن يكون أحسبني الشيء إذا كفاني . . . فالله تعالى محسب أي كاف فيكون فعيلا في معنى مفعل، . . . . . ويجوز أن يكون من

---

(١) إعراب القرآن (٥/ ١٩٣).

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٣٦٦).

(٣) تفسير أسماء الله (ص٥٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩٩).

(٥) تفسير السعدي (ص٩٤٦).

(٦) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٠، ٥/ ٣٥٥)، إعراب القرآن(١/ ٤٧٧، ٤/ ٣٨٦).

(٧) إعراب القرآن(١/ ٤٧٨).

حسبت الحساب فالله تعالى محسوب عطاياه وفواضله)[١].

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى:(والذي يصح جملة من هذا الاشتراك في حق الخالق سبحانه ثلاثة معان:الشرف، الكفاية، حفظ المقادير المعدودة عنده سبحانه المحصاة في علمه)[٢].

١٢ -المقيت:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معاني هذا الاسم:(الحافظ، المقتدر)[٣] كما اختار رحمه الله تعالى تفسيره بالحافظ حيث قال:(قال أبو عبيدة المقيت الحافظ، . . . . . وقول أبي عبيدة أولى لأنه مشتق من القوت والقوت معناه مقدار ما يحفظ الإنسان)[٤] كما نقل قول شيخه الزجاج رحمه الله :(قال أبو اسحاق: وهذا القول عندي أصح من ذاك؛ لأنه مأخوذ من القوت مقدار ما يحفظ الإنسان)[٥].

وفي بيان معنى اسم الله المقيت يقول ابن منظور رحمه الله تعالى:(فمعنى المُقِيتِ: الحفيظُ الذي يُعْطِي الشيءَ قَدْرَ الحاجة من الحِفْظِ، وقال الفراس المُقِيتُ المُقْتَدِرُ، كالذي يُعْطِي كلَّ رَجُلٍ قُوتَه، ويقال المُقِيتُ الحافِظُ للشيء)[٦]

فيتضح مما سبق أن مارجحه أبوجعفر من معنى لاسم الله المقيت قد تابع فيه شيخه باختيار معنى الحافظ لاسم الله "المقيت".

وأما المعنى الثاني وهو القدير فقد رجحه ابن جرير والخطابي وغيرهما [٧]،

---

(١) تفسير أسماء الله (ص٤٩).

(٢) الأسنى(ص٤٢٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٤٧)، إعراب القرآن (١/ ٤٧٧).

(٤) إعراب القرآن (١/ ٤٧٧) .

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٤٧-١٤٨).

(٦) لسان العرب (٢/ ٧٤-٧٥) .

(٧) انظر: تفسير الطبري(٨/ ٥٨٣ - ٥٨٤)، شأن الدعاء (ص٦٨).

يقول أبو هلال العسكري رحمه الله تعالى عن هذين القولين:(والقدرة والقوت متقاربان)[١] فالمعنيان ثابتان لله تعالى، وفي بيان ذلك يقول الشيخ السعدي رحمه الله:("المقيت" الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده)[٢].

١٣ - الوكيل:

ذكر أبو جعفر النحاس من معاني هذا الاسم الناصر، والكافي فيقول في معنى قوله تعالى"وكيلا":(. . . . . ناصرا لك على عدوك وموثوقا به)[٣]و:(. . . . كافيا لك مما تخافه منهم)[٤]،وحول ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى لاسم الله الوكيل يقول الخطابي رحمه الله تعالى:(الوكيل:الكافي، ويقال معناه:أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم بمصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه)[٥].

---

(١) الفروق اللغوية (ص٥٠٨).

(٢) تفسير السعدي - (١ /٩٤٧).

(٣) إعراب القرآن(١ /٤٧٤)

(٤) إعراب القرآن - (٣ /٣٠٢).

(٥) شأن الدعاء(ص٧٧)، وانظر:تفسير أسماء الله(ص٥٤)، اشتقاق أسماء الله(ص١٣٦)، لسان العرب (١١ /٧٣٤).

ثالثا: الإلحاد في أسماء الله:معناه، صوره: -

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى الإلحاد في اللغة:(والإلحاد في اللغة: الجور، والميل، ومنه: لحد القبر؛ لأنه ليس في الوسط إنما هو مائل في ناحيته)[١].

ثم ذكر أن الكسائي رحمه الله تعالى فرق بين ألحد ولحد فقال: ألحد عدل عن القصد، ولحد ركن إلى الشيء، فرد عليه: بأن يقال لحد وألحد بمعنى واحد، وأن هذا قول أهل اللغة[٢].

كما بين رحمه الله تعالى نوعامن الإلحاد في أسماء الله تعالى؛فنقل قول ابن جريج: اشتقوا العزى من العزيز واللات من الله[٣].

ثم بين معنى قول الله تعالى:M : ; < = > ? @ A L[٤] فقال: (ألحد في آيات الله مال عن الحق فيها، أي جعلها على غير معناها)[٥] كما بين أنواع الإلحاد في أسماء الله في قوله تعالى:M C D E F G I J K L M L[٦] فقال:(ومعنى يلحدون في أسمائه على ضربين: أحدهما أن يسموا غيره إلها، والآخر أن يسموه بغير أسمائه)[٧].

الدراسة: -

يقول ابن فارس رحمه الله تعالى:(اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة. يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان. وسمي اللحد لأنه

---

(١) معاني القرآن(٣/ ١٠٨)، (٤/ ١٠٧، ٣٩٤)، (٦/ ٢٧٣) .

(٢) معاني القرآن(٣/ ١٠٨)، (٤/ ٣٩٤).

(٣)معاني القرآن(٣/ ١٠٨).

(٤)فصلت: ٤٠ .

(٥)معاني القرآن(٦/ ٢٧٤) .

(٦) الأعراف: ١٨٠ .

(٧) إعراب القرآن(٢/ ١٦٠) .

مائل في أحد جانبي الجدث. يقال: لحدت الميت وألحدت. والملتحد: الملجأ، سمي بذلك لأن اللاجئ يميل إليه)[١]. وبهذا يعلم موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لما ذكره أهل العلم في معنى الإلحاد.

ومما يؤيد كلام أبي جعفر النحاس في رده على من فرق بين لحد وألحد قول ابن جرير رحمه الله:(وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرّق بين "الإلحاد" و"اللحْد"، فيقول في "الإلحاد": إنه العدول عن القصد، وفي "اللحد" إنه الركون إلى الشيء. وكان يقرأ جميع ما في القرآن:(يُلْحِدُونَ) بضم الياء وكسر الحاء، إلا التي في النحل، فإنه كان يقرؤها: "يَلْحَدُون" بفتح الياء والحاء، ويزعم أنه بمعنى الركون.

وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب، فيرون أن معناهما واحدٌ، وأنهما لغتان جاءتا في حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد)[٢].

وأما ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى الإلحاد في آيات الله تعالى، فإن آيات الله تعالى على قسمين:آيات كونية، وآيات شرعية؛ فالآيات الكونية:يكون الإلحاد فيها أن ينسبها إلى غير الله تعالى استقلالا، أو مشاركة، أو إعانة.

القسم الثاني:الآيات الشرعية؛ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها، أو مخالفتها[٣].

وأما الإلحاد في أسماء الله وتعالى فهو أنواع: -

النوع الأول: أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، كما سماه الفلاسفة علة فاعلة وسماه النصارى: أباً.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (٥ /٢٣٦) .

(٢) تفسير الطبري - (١٣ /٢٨٣-٢٨٤) .

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين بتصرف يسير(١ /١١٩-١٢٦)ت:سعد الصميل، ط. دار ابن الجوزي-الرابعة١٤١٧هـ.

النوع الثاني: أن ينكر شيئاً من أسمائه، سواء أنكر كل الأسماء أو بعضها التي تثبت لله، فإذا أنكرها، فقد ألحد فيها.

النوع الثالث: أن ينكر ما دلت عليه من الصفات.

النوع الرابع: أن يثبت الأسماء لله والصفات، لكن يجعلها دالة على التمثيل فهذا إلحاد، لأنه ميل بها عما يجب فيها، إذ الواجب إثباتها بلا تمثيل.

النوع الخامس: أن ينقلها إلى المعبودات، أو يشتق أسماء منها للمعبودات، مثل أن يسمي شيئاً معبوداً بالإله، فهذا إلحاد، أو يشتق منها أسماء للمعبودات مثل: اللات من الإله، والعزى من العزيز، فهذا أيضاً إلحاد في أسماء الله[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: بدائع الفوائد(١٧٩-١٨٠)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني(٢/١١٠-١١١).

المبحث الثاني:
آراؤه في صفات الله تعالى

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الصفات الذاتية .

المطلب الثاني: الصفات الفعلية .

المطلب الثالث: أنواع ما يضاف إلى الله تعالى .

المطلب الأول: الصفات الذاتية: -

١ - صفة العلو: -

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى صفة العلو لله تعالى وذلك في تفسيره لاسم الله المتكبر حيث يقول: ("**المتكبر**" أي: العالي فوق خلقه)[١] كما فسر اسم الله **الظاهر** بأنه: (الظاهر على كل شيء العالي فوقه فالأشياء دونه)[٢].

ونقل قول الضحاك رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: M < ? > @A B L[٣] فقال: (قال مقاتل بن حيان عن الضحاك قال: هو تعالى فوق عرشه وعلمه معهم) ولم يذكر معه قولا آخر[٤].

الدراسة: -

إن القول بإثبات علو الله سبحانه وتعالى بذاته على خلقه هو ما عليه سلف الأمة وأئمتها [٥].

والقول بذلك هو مقتضى دلالة الكتاب والسنة، والفطرة، والعقل .

فأما دلالة الكتاب والسنة: فقد تواترت نصوص الكتاب والسنة تواترا لفظيا ومعنويا على إثبات العلو الذاتي لله تعالى، حتى ذكر بعض أهل العلم أن أدلة ذلك تزيد على ألف دليل.

---

(١) إعراب القرآن(٤/ ٤٠٦).

(٢) إعراب القرآن(٤/ ٣٥٠).

(٣) الحديد: ٤ .

(٤) إعراب القرآن٤٠/ ٣٧٥).

(٥) مجموع الفتاوى(٢/ ٢٩٧).

هذا وإن النصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده، تقرب من عشرين نوعا؛فمن أبرزها: -

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونا بأداة "من" المعينة للفوقية بالذات.

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة.

الثالث: التصريح بالعروج إليه.

الرابع: التصريح بالصعود إليه.

الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه.

السادس: التصريح بالعلو المطلق، الدال على جميع مراتب العلو، ذاتا وقدرا وشرفا.

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه(١)، إلى غيرها من الأدلة التي بينها أهل العلم.

أما أقوال السلف في ذلك فيقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مائين أو ألوفا .

ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ^ ولا عن أحد من سلف الأمة -لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف -حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظَاهِرًا)(٢)

وأما دلالة الفطرة: فإن بني آدم كلهم مفطورون على الإقرار بعلو الله الذاتي، لايستطيع أحد منهم أن ينفك عن ذلك، فإن الخلق كلهم باختلاف طوائفهم وتعدد

---

(١)شرح الطحاوية لابن أبي العز(٢/ ٣٨٠-٣٨٦)،شرح القصيدة النونية للشيخ:محمد خليل هراس(١/ ١٨٤-٢٥١)، ط. دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة١٤٢٤هـ، وانظر للاستزادة:اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، والعلو للعلي الغفار للذهبي، وعلو الله على خلقه لموسى الدويش.

(٢) مجموع الفتاوى - (٥ /١٥).

مذاهبهم- عدا من اجتالته الشياطين منهم- إذا نابهم شيء اتجهوا بقلوبهم وأيديهم إلى جهة العلو اضطرارا وليس اختيارا بحيث لا يستطيع أحد دفع ذلك[١].

وأما دلالة العقل: فإن من المعلوم ببداهة العقول أن الله تعالى كان ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، فلما خلقهم فلا يخلو أن يكون خلقهم في نفسه، أو خلقهم خارج نفسه، والأول باطل قطعا بالاتفاق؛لأن الله تعالى منزه عن النقائص وأن يكون محلا للقاذورات –تعالى الله عن ذلك- فلزم أن يكون بائنا من خلقه، وأن يكونوا هم بائنين عنه.

وإذا لزمت المباينة فلا يخلو إما أن يكون فوقهم، أو تحتهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم، والفوقية أشرف الجهات، وهي صفة كمال لانقص فيها بوجه من الوجوه، فوجب اختصاصه بذلك[٢].

٢- صفة العلم:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى هذه الصفة في مواضع عدة، ومن ذلك:ما أورده عند قول الله (R S T U V) يقول أبو جعفر رحمه الله تعالى عند هذه الآية:(المعنى: ويعلم ما تسرونه وما تعلنونه بينكم من قول وفعل (X Y Z [ )) أي عالم بضمائر صدوركم وما تنطوي عليه نفوسكم الذي هو أخفى من السر)[٣].

(١) الرد على الجهمية للدارمي(ص٢٠-٢١)ت:بدر البدر، ط. الدار السلفية –الكويت١٤٠٥هـ. التمهيد لابن عبدالبر(٧/١٣٤-١٣٥)، درء التعارض(٦/١٢)، مجموع الفتاوى(٥/٢٥٩-٢٦٠)

(٢) درء التعارض(٦/١٤٣-١٤٦)، مجموع الفتاوى(٥/١٥٢)، شرح الطحاوية لابن أبي العز(٢/٣٨٩-٣٩٠)

(٣) إعراب القرآن(٤/٤٤٢) .

وقال كذلك في بيان علم الله تعالى:(لا يضل عنه علم شيء من الأشياء ولا معرفتها ولا ينسى علمه منها) [١]

كما تكلم عن معنى قول الله تعالى **(إلا لنعلم)** بقوله:(أي ما امتحناهم به إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة علم شهادة فأما علم الغيب فالله جل وعز عالم به قبل أن يكون).

وقال في نفس الموضع من كتابه:(وقد علم الله جل وعز ذلك غيبا وهذا علم الشهادة الذي تجب به الحجة هذا قول أكثر أهل اللغة)[٢].

كما ضعف قول من فسر الكرسي بالعلم فقال:(وقد استشهد لهذا القول ببيت لايعرف وهو:

....   ولا يكرسئ علم الله مخلوق

أي: لا يعلم علم الله مخلوق، وهو أيضا لحن؛ لأن الكرسي غير مهموز)[٣].

الدراسة: -

أثبت أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى صفة العلم لله تعالى الذي ثبتت بالأدلة ومنها:قول الله تعالى: M q r s t u v w x y { | } ~ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ L[٤] وقول الله تعالى:M 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B D E F L[٥]وقوله تعالى:M M N O P Q R S T U V X Y Z [L[٦]، فهو سبحانه عليم بكل شيئ لاتخفى عليه

---

(١) إعراب القرآن(٣/ ٤١)و(٢/ ٣٩٢).

(٢) معاني القرآن(٥/ ٤١٤)، إعراب القرآن(٣/ ٣٤٤)، الناسخ والمنسوخ(١/ ٤٥٦).

(٣) معاني القرآن(١/ ٤٦٢).

(٤) الحج: ٧٠.

(٥) سبأ: ٢.

(٦) التغابن: ٤.

خافية، وقد عرض رحمه الله تعالى عند هذه الصفة لأمرين: -

الأول: معنى قول الله تعالى:(إلا لنعلم) وما أشبهها من الآيات.

وحول ما اختاره من معنى هذه الآية يقول البغوي رحمه الله تعالى: (فإن قيل ما معنى قوله: "إلا لنعلم" وهو عالم بالأشياء كلها قبل كونها قيل: أراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب، فإنه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب، إنما يتعلق بما يوجد معناه ليعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب)(١) .

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:(وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد أن يكون في بضعة عشر موضعا في القران. . . . . وروي عن ابن عباس في قوله إلا لنعلم أي: "لنرى" وروي "لنميز" . . . . . وكذلك قال جماعة من أهل العلم قالوا لنعلمه موجودا واقعا بعد أن كان قد علم أنه سيكون ولفظ بعضهم قال: العلم على منزلتين: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده، والحكم للعلم به بعد وجوده لأنه يوجب الثواب والعقاب. قال: فمعنى قوله لنعلم: أي "لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب" ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون لكن لم يكن المعلوم قد وجد)(٢).

الثاني: تفسير الكرسي بالعلم .

فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الكرسي بالعلم، وأخذ بهذ القول بعض أهل العلم، وقد استشهد لهذا القول بالبيت الذي ذكره أبوجعفر النحاس.

والجواب عما ذكروه من وجوه: -

الأول: أن الصحيح عن ابن عباس خلاف هذا القول، قال الأَزْهَرِيُّ: (والصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره . قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، قال:

---

(١) تفسير البغوي(١ /١٦٠)، وانظر:تفسير السعدي(ص٧٠).

(٢) الرد على المنطقيين(ص٤١٦)ط. دار المعرفة-بيروت.

ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار)(١).

الثاني:أنَّ الله ذكر أنَّ الكرسي وسع السموات والأرض؛ ولكن علمه وسع كل شيء، قال سبحانه:Mرَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً ´ L(٢)، وقال سبحانه:M ~ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ L(٣).

الثالث:أن البيت الذي استدل به أصحاب هذا القول لايعرف، وقد أنكره أهل العلم، يقول ابن قتيبة معلقا على قول من فسر الكرسي بالعلم:(وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهوقول الشاعر:

مَا لِي بِأَمْرِكَ كُرْسِيٌّ أُكَاتِمُه ... ولا يكرسئ علم الله مخلوق

كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز، ويكرسئ مهموز يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا)(٤).

٣- صفة اليد:-

لم يقرر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى إثبات صفة اليد لله تعالى كبقية الصفات التي أثبتها؛فيقول في قول الله تعالى:M ') (* L(٥):(أي: يد الله في الثواب، وقيل: في الوفاء، وقيل: في المنة عليهم بالهداية)(٦)، وفي بيان معنى قول الله

---

(١) تهذيب اللغة (٣/٣٢٦)، شرح العقيد الطحاوية لابن أبي العز(٢/٣٧١)، تعليق الشيخ محمود شاكر على تفسير ابن جرير(٥/٤٠١).

(٢) غافر: ٧.

(٣) النور: ٦٤ .

(٤) تأويل مختلف الحديث(١/٦٧)تأليف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، ط: دار الجيل - بيروت - ١٣٩٣، تحقيق: محمد زهري النجار.

(٥)الفتح:١٠ .

(٦) معاني القرآن(٦/٥٠١-٥٠٢).

تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , L[١] يقول:(العرب تستعمل اليد في موضع القوة والله أعلم بما أراد)[٢].

ويقول عند قول الله تعالى: M ´ µ ¶ ¸ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ L[٣]: (في هذه الآية ثلاثة أقوال، أحسنها: ما روي عن ابن عباس y أنه قال: قالت اليهود إن الله عز و جل بخيل، والمعنى عند أهل اللغة على التمثيل أي قالوا هو ممسك عنا لم يوسع علينا . . . .، وقيل: اليد ها هنا النعمة، وقيل: هذا القول غلط لقوله بل يداه مبسوطتان فنعم الله جل وعز أكثر من أن تحصى فكيف يكون بل نعمتاه مبسوطتان، فقال من احتج لمن قال إنهما نعمتان بأن المعنى النعمة الظاهرة والباطنة)[٤]،وعند قول الله تعالى:Mوَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ L يقول مبينا معنى الآية:(قال الضحاك هذا كله في يمينه .قال أبو جعفر: معنى وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أي: يملكها، كما تقول: هذا في قبضتي .قال محمد بن يزيد: معنى "بيمينه" بقوته)[٥]

الدراسة: -

صفة اليد لله تعالى ثابتة بالكتاب والسنة، وأهل السنة يثبتون اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته والأدلة على ذلك:-

من الكتاب:قول الله تعالى:M ' ( ) * L[٦] وقوله تعالى:M ´ µ ¶

---

(١) يس: ٧١.

(٢) معاني القرآن(٥/ ٥١٨) .

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤)معاني القرآن(٢/ ٣٣٥) .

(٥) معاني القرآن - النحاس - (٦ / ١٩١).

(٦) الفتح:١٠.

مَغْلُولَةٌ L(١) وقوله تعالى:M قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا ´ µ L(٢).

ومن السنة:قوله r : (**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين**)(٣) . وقوله r في حديث احتجاج آدم وموسى: (...... **قال موسى: أنت الذي خلقك الله بيده**. . . . . الحديث)(٤) وقد تواتر في السنة مجيء " اليد " في حديث النبي ^ (٥).

أما تأويل صفة اليدين لله تعالى بلازمها ومقتضاها، فيجاب عنه من عدة أوجه: -

١ - أن النصوص قد وردت بإثبات هذه الصفة في حق الله تعالى، ولم يرد في شيء منها تأويلها باللازم مما يدل على أن المراد بها حقيقتها(٦).

٢ -يقول ابن القيم:(لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع:مفردأومثنى ومجموعا؛. . . . . فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، وعدى الفعل بالباء إليهما فقال:(خلقت بيدي)، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء. . . . . فإذا أضيف إليه الفعل ثم عدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو مما باشرته يده)(٧).

---

(١) المائدة:٦٤.

(٢) ص: ٧٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه(برقم٤٧٢١)كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم(ص٨١٩) .

(٤) أخرجه البخاري(برقم٣٤٠٩)كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى (ص٥٧٢)، ومسلم(برقم٦٧٤٢-٦٧٤٤)كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام(ص١١٥٥).

(٥) مجموع الفتاوى(٦/٣٦٣)

(٦) فتح رب البرية بتلخيص الحموية(٤/٥٦) ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

(٧) الصواعق المرسلة(١/٢٦٨-٢٧٧).

٣- أنك لاتجد في كلام العرب ولا العجم - إن شاء الله تعالى - أن فصيحا يقول: فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة . ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها)[١].

٤ - صفة الوجه:-

لم يثبت أبو جعفر رحمه الله صفة الوجه لله تعالى، وإنما فسرها بالذات أو باللوازم، ففي قول الله تعالى:M f g h i j L[٢] نقل عند هذه الآية قول سفيان رحمه الله بقوله:(قال سفيان: أي إلا ما أريد به وجهه)ثم قال:(وقول سفيان معروف في اللغة؛أي كل ما فعله العباد يهلك إلا الوجه الذي يتوجهون به إلى الله جل وعز)[٣] وقال في موضع آخر عند هذه الآية:(M f g h i j L معناه: إلا إياه)[٤].

واختار عند قول الله تعالى:M T U V W X Y L[٥] أن:(ذو من نعت وجه لأن المعنى: ويبقى ربك كما تقول "هذا وجه الأرض" وفي قراءة ابن مسعود (ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام) من نعت ربك)[٦]

ويقول عند قول الله تعالى:M9 : ; < = L[٧]: (وهذا مجاز؛ أي إلا

(١) مجموع الفتاوى(٦/ ٣٦٦)، وانظر:مختصر الصواعق(٣/ ٩٤٦-٩٩٠).

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) معاني القرآن(٥/ ٢٠٧)، (١/ ٣٧٣)

(٤)إعراب القرآن(٣/ ٢٨٧) .

(٥) الرحمن: ٢٧.

(٦) إعراب القرآن(٤/ ٣٠٨).

(٧) الليل: ٢٠

طلب رضوانه أي: بالثواب)[١].

الدراسة: -

صفة الوجه من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى على مايليق به سبحانه، وقد دل على ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع:-

فمن الكتاب: قول الله تعالى: M T U V W X Y L[٢].

وقوله تعالى: M9 : ; < = L[٣] وغيرها من الآيات.

ومن السنة: قوله r: **(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن)**[٤].

وقد اتفق السلف على إثبات هذه الصفة لله تعالى كما يليق به سبحانه[٥]، فعلى هذا يكون من فسر الوجه بالذات أو بالثواب أوغير ذلك قد أخطأ من أوجه:-

١- أن النصوص قد وردت بإثبات هذه الصفة في حق الله تعالى، ولم يرد في شيء منها تأويلها باللازم مما يدل على أن المراد بها حقيقتها.

٢- لما أضيف الوجه إلى الذات، وأضيف النعت إلى الوجه في قول الله تعالى: M T U V W X Y L[٦] دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله تعالى

---

(١) إعراب القرآن(٥/ ٢٤٦).

(٢) الرحمن: ٢٧.

(٣) الليل: ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري (برقم٧٤٤٤) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: چ* + , - . / 0 چ (ص١٢٨٣)، ومسلم (برقم٤٤٨) كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى(ص٩٢)

(٥) نقض الدارمي على بشر المريسي(٢/ ٧٢٣-٧٢٤)، التوحيد لابن خزيمة(١/ ٥٣)، بيان تلبيس الجهمية(٢/ ٢٤٤)، مختصر الصواعق المرسلة(٣/ ٩٩٢-١٠٢٤).

(٦) الرحمن: ٢٧

WM X Y L صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات).

٣- أن ذلك الوجه وصف في النصوص بالجلال والإكرام، وبأن له نورا يستعاذبه، وسبحاته تحرق ما انتهى إليه بصر الله من خلقه، وكل هذه الأوصاف تمنع أن يكون المراد به الثواب.

٤- أنه لايعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه، . . . . والوجه في اللغة مستقبل كل شيء لأنه أول مايواجه منه، ووجه الرأي والأمر مايظهر أنه صوابه، وهو في كل محل بحسب ما يضاف إليه[١].

٥- أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل، فإن اللغة لاتحتمل ذلك، ولايعرف أن الجزاء يسمى وجها للمجاز، والثواب أيضا مخلوق[٢].

وبهذا يتبين أن ما ذكره أبو جعفر رحمه الله تعالى من تفسير الوجه بالذات، أو بالثواب قد خالف فيه منهج أهل السنة والجماعة من إثبات صفة الوجه لله تعالى.

٥- صفة العين: -

لم يثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى صفة العين لله تعالى؛ فيقول:(معنى قوله تعالى: M < = > L[٣] أي: على علمي بك)[٤]. وعند قول الله تعالى: Mفَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا L[٥] يقول في معنى الآية:(أي: نراك ونرى عملك ونحوطك

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(٣/٩٩٦)، اختصره ابن الموصلي ت٧٧٤هـ، ط. أضواء السلف –الطبعة الأولى-١٤٢٥هـ، ت:د. الحسن العلوي

(٢) مختصر الواعق المرسلة(٣/٩٩٢-١٠٢٤)فتح رب البرية، ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين(٤/٥٥).

(٣) طه: ٣٩.

(٤) إعراب القرآن - (٣ / ٣٩).

(٥) الطور: ٤٨.

ونحفظك)[١].

الدراسة: -

ثبتت صفة العين لله تعالى بدليل الكتاب والسنة؛فمن الكتاب قول الله تعالى:
M > = < L[٢] وقوله تعالى:Mفَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا L[٣].

ومن السنة قوله r في حديث ابن عمر رضي الله عنهما:(**إنَّ الله لا يخفى عليكم إنَّ الله ليس بأعور (وأشار بيده إلى عينيه)، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)**[٤].

قال ابن خزيمة:(فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبَّت الخالق البارئ لنفسه من العين، .... فبين النبي ^ أن لله عينين فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التَنْزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب)[٥].

ويقول الدارمي:(العور عند الناس ضد البصر، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين)[٦]وبوَّب الَّلالَكَائي في (أصول الاعتقاد) بقوله: (سياق ما دل من كتاب الله عَزَّ وجلَّ وسنة رسوله ^ على أن صفات الله عَزَّ وجلَّ الوجه والعينين واليدين)[٧].

وقد رد أبو يعلى رحمه الله تعالى على من أنكر هذه الصفة فقال:(ولا يصح حمل ذلك على أن المراد بقوله"على عيني"بمرأى ومشهد مني، وقوله"تجري بأعيننا"أي:بحفظنا وكلاءتنا لأن الله تعالى كان رائيا له مشاهدا له قبل هذه الحالة،

(١) إعراب القرآن - (٤ / ٢٦٣).
(٢) طه: ٣٩.
(٣) الطور: ٤٨.
(٤) رواه البخاري برقم(٧٤٠٨)(كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىM > = < L (ص١٢٧٤)
(٥) كتاب التوحيد(١ /٦٤)وانظر(١ /٧٦).
(٦) الرد على بشر المريسي(١ /٣٠٥).
(٧) (٣/ ٤١٢).

وكذلك كان حفظه وكلاءته له قبل وجود الجريان)[١]، ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:(وقد فسر أهل التحريف والتعطيل العين بالرؤية بدون عين، وقالوا: بِأَعْيُنِنَا برؤية منا، ولكن لا عين، ...فإذا أثبتنا العين لله ، أثبتنا تجزئة وجسماً، وهذا شيء ممتنع، فلا يجوز، ولكنه ذكر العين من باب تأكيد الرؤية، يعني: كأنما نراك ولنا عين، والأمر ليس كذلك.

فنقول لهم: هذا القول خطأ من عدة أوجه:

الوجه الأول: أنه مخالف لظاهر اللفظ.

الثاني: أنه مخالف لإجماع السلف.

الثالث: أنه لا دليل عليه، أي: أن المراد بالعين مجرد الرؤية.

الرابع: أننا إذا قلنا بأنها الرؤية، وأثبت الله لنفسه عيناً، فلازم ذلك أنه يرى بتك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها عين حقيقية)[٢].

٦- صفة الكلام:-

أثبت أبوجعفر رحمه الله تعالى صفة الكلام لله تعالى، فقد حكى الإجماع على ذلك فقال عند قول الله تعالىM I J K L L[٣]: (وأجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا . . . . فلما قال تكليما وجب أن يكون كلاما على الحقيقة من الكلام الذي يعقل)[٤]

وقال أيضا عند هذه الآية:(مؤكد يدل على معنى الكلام المعروف لأنك إذا قلت كلمت فلانا جاز أن يكون أوصلت اليه كلامك، وإذا قلت كلمته تكليما لم

---

(١) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء(ص٥١)ط.دار المشرق –بيرت-لبنان- ت:د.وديع حداد.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٤١-٥٠).

(٣) النساء:١٦٤.

(٤) إعراب القرآن(١/٥٠٧).

تكن إلا من الكلام الذي يعرف، فأخبره الله بخصيصاء الانبياء ثم أخبر بما خص به موسى ^)[١].

ولما ذكر قول الله تعالى: M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ L[٢] قال:(- وكلمه ربه: أي: خصه بذلك)[٣] كما ذكر سبب كون موسى r وجيها:(وكان عند الله وجيها: أي كلمه تكليما)[٤].

ولما أورد حديث ابن عمر رضي الله عنهما عندما قال رجل: كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول:(يدني المؤمن من ربه جل وعز حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه؛ فيقول: هل تعرف ؟فيقول: رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا؛ وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته)[٥]. ثم قال:(قال أبو جعفر: الحديث حقيقة معنى الآية، وأنه لا نسخ فيها وإسناده إسناد لا يدخل القلب منه لبس وهو من أحاديث أهل السنة والجماعة)[٦].

كما بين معنى قوله تعالى: M وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ L[٧] بقوله:(يكون المعنى لا يسمعهم الله كلامه بلا سفير كما كلم الله موسى ^ فهذا معناه لا يكلمهم على الحقيقة ويكلمهم مجازا بأن يأمر الملائكة أن تحاسبهم كما قال: M & '

(١) معاني القرآن(٢/ ٢٤٠).

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) معاني القرآن(٣/ ٧٤).

(٤) معاني القرآن(٥/ ٣٨٢) .

(٥) أخرجه البخاري(برقم٤٦٨٥)(ص٨٠٦)كتاب التفسير، باب قوله تعالى:] وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ Z هود: ١٨. مسلم (برقم٧٠١٥)(ص١٢٠٠) كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، وفداء كل مسلم بكافر من النار.

(٦) الناسخ والمنسوخ(٢/ ١٢٤).

(٧) آل عمران: ٧٧.

) (* + , L[(١)] وكذا أين شركائي فإذا قالت لهم الملائكة يقول الله لكم كذا فقد كلمهم مجازا وقيل معنى لا يكلمهم يغضب عليهم وقيل المعنى على المجاز أي ولا يكلمهم كلام راض عنهم ولكن كلام موبخ لهم ومقرر وموقف)[(٢)] .

الدراسة: -

الكلام صفة ذاتية لله تعالى باعتبار أصلها، فعلية باعتبار أفعالها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع:-

فمن الكتاب قوله تعالى:M I J K L L[(٣)] وقوله تعالى:M وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ L[(٤)].

ومن السنة قوله r : **(ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة)**[(٥)] . وقوله r : **(يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار)**[(٦)] .

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف على إثبات صفة الكلام لله تعالى[(٧)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:(والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه ونادى موسى بصوت نفسه؛ كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع

---

(١) الحجر: ٩٢ - ٩٣ .

(٢) إعراب القرآن(١/ ٣٨٩).

(٣) النساء: ١٦٤.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) أخرجه البخاري(برقم٦٥٣٩)كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب(ص١١٣٢)، ومسلم(برقم٢٣٤٨) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة(ص٤١٠) .

(٦) أخرجه البخاري(برقم٧٤٨٣) (ص١٢٨٩)كتاب التوحيد، باب قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 4 5 7 8 9 Z سبأ: ٢٣.

(٧) رسالة إلى أهل الثغر(ص٢١٥-٢١٦)، الفصل في الملل(٣/ ٤)، مجموع الفتاوى(١٢/ ٣٠٤).

السلف وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته؛ فإن الله ليس كمثله شيء: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من أن الله ينادي بصوت وأن القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت ليس منه شيء كلاما لغيره لا جبريل ولا غيره)[١].

وقد وافق أبو جعفر رحمه الله تعالى مذهب السلف في إثبات كلام الله تعالى على الحقيقة، وأنه سبحانه خاطب موسى u بالكلام الذي يعقل، وفي بيان أن القرآن كلام الله تعالى، ثم إن إيراده حديث النجوى وذكره بأنه من أحاديث أهل السنة والجماعة دليل على موافقته لمنهج أهل السنة في إثبات هذه الصفة.

٧- إثبات النفس: -

اضطرب منهج أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في إثبات النفس لله تعالى، وذلك في بيانه لمعنى الآيات الواردة في ذلك فتارة فسرها بالذات، وفي مواضع أخر نقل الأقوال المخالفة ولم يتعقبها؛ فعند قول الله تعالى: M 6 7 8 L[٢] يقول في المعاني:(أي: يحذركم إياه)[٣] .

وقال في الإعراب عند هذا الموضع:(قال أبو إسحاق: أي: ويحذركم الله إياه ثم استغنوا عن ذلك بذا وصار المستعمل. قال: وأما تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فمعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك)[٤].

وعند قوله تعالى:M n op q r s tu v L[٥] معنى النفس بقوله:

---

(١) مجموع الفتاوى(١٢ / ٥٨٤).

(٢) آل عمران: ٣٠ .

(٣) معاني القرآن(١ / ٣٨٤).

(٤) إعراب القرآن(١ / ٣٦٦).

(٥) المائدة: ١١٦ .

(والنفس في كلام العرب على ضربين: أحدهما أنه يراد بها الانفصال، والآخر: أنه يراد بها جملة الشيء وحقيقته، قال جل وعز: M n op q r s tu v L[١] أي تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم)[٢].

كما حكى بعض الأقوال المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في إثبات النفس لله تعالى ولم يتعقبها فقال:(وقال غيره -أي:الزجاج-: "ويحذركم الله نفسه" أي: عقابه مثل:M j k L[٣]وقال:M n op q L أي: مغيبي فجعلت النفس في موضع الإضمار لأنه فيها يكونM r s tu v L على الازدواج)[٤].

الدراسة: -

يثبت أهل السنة والجماعة النفس لله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى وأدلة ذلك من الكتاب والسنة:-

فأما الكتاب؛فقول الله تعالى: M 6 7 8 : ; < L[٥]

وقوله تعالى:M n op q r s tu v x y z { L [٦]وقوله تعالى: M ; < = > ? L[٧].

ومن السنة:قوله r في الحديث القدسي: (**يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي. . . . . الحديث**)[٨]، وقوله r في حديث عائشة رضي الله عنها: (. . . . . . **وأعوذ**

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) إعراب القرآن (٣/٢٩٩)، وانظر: معاني القرآن(٢/٣٩٠).

(٣) يوسف: ٨٢ .

(٤) إعراب القرآن (١/٣٦٦).

(٥) آل عمران: ٣٠ .

(٦) المائدة: ١١٦ .

(٧) الأنعام: ٥٤.

(٨) أخرجه مسلم (برقم٦٥٧٢) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (ص١١٢٨).

بك منك، لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[1] .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد أن ساق بعضا من تلكم الأدلة:(فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات.

وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات[2]، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ)[3].

وأبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في إثباته النفس لله تعالى وأن المراد بها ذاته موافق لمذهب السلف، لكن قوله في بيان معنى آية المائدة "تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم" مخالف للقول الصواب في الآية، وفي بيان ذلك يقول شيخ الإسلام –رحمه الله -(فلا ريب أن هذا المعنى داخل في الآية لكن تفسيرها بمجرد هذه العبارة ليس بسديد، .....كون المراد: تعلم ما أعلم .....ولا أعلم ما تعلم لا ينافي أن يكون لله نفسا كما نطقت به الآية، كما أن لعيسى عليه السلام نفسا، فإن الآية صريحة في ذلك وهي دالة على ذلك المعنى، ودلالة اللفظ على بعض المعاني لا يمنع دلالته على غيره)[4]، وأما إيراده لها على أنها من باب المشاكلة فهذا خطأ:(فدعوى المشاكلة في الآية الكريمة تعالى:L v u t s r q p o n M[5]، غير واردة، بل باطلة لأن النصوص الأخرى .....وردت دون مقابلة أو مشاكلة، وليس هناك ما يدعو

---

(١) أخرجه مسلم (برقم١٠٩٠)كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود(ص٢٠١).

(٢) أثبت بعض أهل السنة والجماعة النفس صفة لله تعالى ومن هؤلاء:الإمام ابن خزيمة، والبغوي، و وعبدالغني المقدسي،و صديق حسن خان، ، انظر:كتاب التوحيد لابن خزيمة(١/٧-١٤)، الاقتصاد في الاعتقاد(١٢٣-١٢٤)،قطف الثمر(ص٦٤)ط.دار عالم الكتب بتحقيق:د.عاصم القريوتي.

(٣) مجموع الفتاوى(٩/٢٩٢-٢٩٣).

(٤) بيان تلبيس الجهمية(٧/٤٧٦).

(٥) المائدة: ١١٦ .

إلى التأويل أو التحريف)[١].

أما نقله عمن فسرها بأن المراد"تعلم مغيبي" فيقول شيخ الإسلام -رحمه الله- (إن جعل لفظ النفس بمعنى الغيب فهذا من تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله وأسمائه، وإن أريد أنك تعلم ما أغيبه في نفسي ولاأعلم ما تغيبه في نفسك فهذا صحيح لكنه تطويل بلا فائدة والآية أوضح من هذا)[٢].

أما نقله عمن فسر قوله تعالى:Mوَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ L[٣] بأن المراد عقابه فهذا من اللازم، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-:(تحذير العباد نفسه كأمره لهم بخوفه.فإن قال القائل:إن تحذير الله نفسه يتضمن تحذير عقوبته فهذا حق، وإن قال: لامعنى لذلك إلا تحذير عقوبته من غير أن يحذر نفسه فهذا تحريف، وفي الجملة فتحذير الله نفسه بمنزلة الأمر بالخوف منه، ...ومن المعلوم أن الله-تعالى- نفسه هو الذي يخاف منه، وهو الذي يتقى، وعقابه يتقى بتقواه)[٤].

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية(ص٣٠٤) د.محمد بن أمان الجامي ط.مكتبة الفرقان-الثالثة-١٤٢٣هـ.

(٢) بيان تلبيس الجهمية(٧/ ٤٧٧-٤٧٨).

(٣) آل عمران ٢٨.

(٤) بيان تلبيس الجهمية(٧/ ٤٨١-٤٨٢).

المطلب الثاني: الصفات الفعلية

ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى عددا من الصفات الفعلية، وسأقوم بإذن الله تعالى بدراسة ما ذكره من تلكم الصفات، علما بأن دراسة الصفات التي ذكرها أبو جعفر على نسق واحد ستكون في موضع واحد:-

١-٣: صفات الغضب و المحبة والرحمة:-

لم يثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى صفات الغضب والمحبة والرحمة بل فسرها بلوازمها، فقال في الغضب:(والغضب من الله جل وعز: العقوبة)[١]، وقال في المحبة :(والمحبة من الله لعباده: المغفرة، والرحمة، والثناء عليها)[٢]، وقال في موضع آخر: (والمحبة منه جل وعز: قبول العمل، والإثابة عليه)[٣]، وقال في الرحمة:(معنى ففي رحمة الله: ففي ثواب رحمة الله)[٤].

الدراسة: -

الغضب والمحبة والرحمة من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة:-

فأدلة الغضب من الكتاب:قول الله تعالى: M J K L M N O P Q R L[٥] وقوله تعالى: M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d L[٦].

---

(١) إعراب القرآن(٢/١٥٣).

(٢) معاني القرآن(١/٣٨٤).

(٣) إعراب القرآن(٤/٤١٤، ٤٢٠).

(٤) معاني القرآن - النحاس - (١ /٤٥٨) .

(٥)الممتحنة: ١٣.

(٦) النحل: ١٠٦.

ومن السنة: ومن السنة: قوله r في حديث الشفاعة: **(إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله)**[١] .

و **أدلة المحبة من الكتاب:قول الله تعالى**: M z | } ~ ٱلْمُحْسِنِينَ L[٢] وقوله تعالى:M t u v w x y L[٣] ومن السنة قوله r : **(إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إنى أحب فلانا فأحبه - قال - فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء - قال - ثم يوضع له القبول فى الأرض. وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه - قال - فيبغضه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه - قال - فيبغضونه ثم توضع له البغضاء فى الأرض)**[٤] .

وأدلة الرحمة من الكتاب قول الله تعالى:Mإِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ L[٥] وقوله تعالى:M © يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ L[٦].

ومن السنة قوله r : **(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)**[٧] .

وقد أجمع سلف الأمة على إثبات هذه الصفات على ما يليق بالله تعالى إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل، يقول الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر:(وأجمعوا على أنه

---

(١) أخرجه البخاري(برقم٣٤٤٠)(ص٥٥٥)كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (m n o p q) هود: ٢٥، ومسلم (برقم٤٨٠)كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(ص١٠٤).

(٢) البقرة: ١٩٥ .

(٣) المائدة: ٥٤.

(٤) أخرجه مسلم (برقم٦٧٠٥)كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبدا أمر جبرئيل فأحبه وأحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض(ص١١٤٨).

(٥) الأعراف: ٥٦.

(٦) البقرة: ٢١٨.

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، باب قول النبي r (يعذب الميت ببكاء أهله عليه)برقم"١٢٢٤") ومسلم(كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت"٩٢٣").

عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأنه يحب التوابين، ويسخط على الكافرين، ويغضب عليهم)[١] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء)[٢] ويقول ابن الوزير رحمه الله: (فقد أجمع المسلمون على حسن إطلاق الرحمة على الله، من غير قرينة تشعر بالتأويل، ولا توقف على عبارة التنزيل)[٣]

ومما سبق بيانه يتضح أن أهل السنة يثبتون صفات المحبة والغضب والرحمة لله تعالى كما يليق به سبحانه.

وما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من تأويل هذه الصفات بمقتضياتها ولوازمها هو خلاف مذهب السلف في إثباتها، والرد على ذلك من أوجه: -

الوجه الأول: أن هذا التأويل خلاف ظاهر النصوص المتبادر منها، فهو صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

الوجه الثاني: أن تأويل الغضب بالعقوبة، والمحبة بقبول العمل والإثابة عليه، والرحمة بالثواب تفسير لها بغير المدلول اللغوي الثابت لهذه الصفات، وإنما بالمقتضيات واللوازم وهذا من التحريف للنصوص.

الوجه الثالث: أن تأويل أبا جعفر -رحمه الله تعالى- الغضب بالعقوبة، والمحبة بقبول العمل والإثابة عليه، والرحمة بالثواب يلزمه فيه نظير ما فر منه، فهو إنما تأولها بزعم أن ظاهرها يقتضي التمثيل، فيقال له: كذلك العقوبة، والإثابة مما يتصف بها المخلوق، فإن كان لايلزم منهما التمثيل فكذلك المعنى الحقيقي.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر (ص٢٣١) ط. مكتبة العلوم والحكم - دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٨ت: عبدالله الجنيدي.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٤) .

(٣) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد (ص١٢٧). لمحمد بن إبراهيم القاسمي ط . دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

الوجه الرابع: أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول r إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا[١] .

٤-٥: صفتي المكر والكيد المقيدتين: -

أثبت أبو جعفر رحمه الله تعالى صفتي المكر والكيد المقيدة بمن يمكر ويكيد: -

فعند قول الله تعالى: Mوَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ L الرعد: ١٣ذكر أقوال السلف الواردة في بيان معناها ثم قال: (وقد قال جماعة من أهل اللغة منهم أبو عبيدة وأبو عبيد: هو المكر من قولهم محل به......ثم قال(فأما معنى المكر من الله فهو إيصال المكروه إلى من يستحقه من حيث لا يشعر)[٢] وقال في صفة المكر عند قول الله تعالى: Mفَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا L[٣]: (أي: لله جل وعز المكر الثابت الذي يحيق بأهله ومعنى المكر من الله جل وعز أن ينزل العقوبة بمن يستحقها من حيث لا يعلم)[٤]. وأما صفة الكيدفقال في معناها: (الكيد من الله جل وعز هو عذابه إذا أتاهم من حيث لا يشعرون وهذا معنى الكيد في اللغة)[٥].

---

(١) انظر في هذه الأوجه: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية(ص٣١ ومابعدها)، الصواعق المرسلة (١/ ٢٣٤وما بعدها)، شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٦٨٦)، توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/ ٤٧- ٥٩).

(٢) معاني القرآن - النحاس - (٣ / ٤٨٤- ٤٨٥)،ومع إثباته لهذه الصفة إلا أنه نقل قول المخالفين في موضع آخر ثم أردفه بقول أهل السنة ولم يتعقب القول المخالف وهذا مما يؤخذ عليه رحمه الله،انظر:الإعراب(٣/ ٢١٥)

(٣) الرعد: ٤٢ .

(٤) إعراب القرآن - (٢ / ٣٦٠)، وانظر:معاني القرآن(١/ ٤٠٨)(٣/ ٥٨).

(٥) إعراب القرآن (٢/ ١٦٥).

الدراسة: -

ثبتت صفتي المكر والكيد لله تعالى مقيدة بمن يستحق ذلك في أكثر من موطن في كتاب الله تعالى، فمن ذلك:-

قول الله تعالى:M k l m o p q L[١] وقوله تعالى: M + , - . / 0 1 L[٢] وقوله تعالى:M e f h i j L[٣] وقوله تعالى:M c d e f g h L[٤].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(وَهَكَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ كَمَا وَصَفَ عَبْدَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ:M k l m L[٥] وَقَالَ:M c d e f g h L[٦] وَلَيْسَ الْمَكْرُ كَالْمَكْرِ وَلَا الْكَيْدُ كَالْكَيْدِ)[٧]وقال في معرض الرد على المخالفين: (وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ " المكر " و " الاستهزاء " و " السخرية" المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلا)[٨].

٦ - بقية الصفات المقيدة:-

لم يثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بعض الصفات المقيدة والواردة في

---

(١)الأنفال: ٣٠ .

(٢)آل عمران: ٥٤ .

(٣) الأعراف: ١٨٣ .

(٤) الطارق: ١٥ – ١٦ .

(٥) الأنفال: ٣٠ .

(٦) الطارق: ١٥ - ١٦ .

(٧) مجموع الفتاوى - (٣ /١٤).

(٨) مجموع الفتاوى (٧ / ١١١)، وانظر في هذه الصفة:غريب الحديث للحربي(ص٩٤)، مدارج السالكين (٣/٤١٥)، شرح العقيدة الواسطية للشيخ هراس(ص١٣٦).

كتاب الله جل وعز؛فقد بين معنى الاستهزاء بقوله:(ثم قال جل وعـز: M ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ L[١] فيه أجوبة: أصحها: أن معناه يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الذنب باسمه لازدواج الكلام وليعلم انه عقاب عليه وجزاء به)[٢].

ولما أورد قول الله تعالى: Mفَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ L[٣] قال في تفسيرها:(مجازاة على فعلهم، وقيل: أزاغ قلوبهم عن الثواب)[٤].

كما نقل عن شيخه الزجاج معنى قول الله تعالى:M t u v w x y z L[٥] فقال:(قال الزجاج: "أي: أضلهم؛ مجازاة على فعلهم")[٦].

وفي بيان معنى قول الله تعالى:Mسَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ L[٧] يقول:(ومعنى سخر الله منهم:جازاهم الله على سخريتهم فسمى الثاني باسم الأول على الازدواج)[٨].

ويقول في بيان معنى الخداع:(وقوله جل وعز: HM I J K L M L[٩] قال أهل اللغة: سمي الثاني خداعا لأنه مجازاة للأول فسمي خداعا على الازدواج كما قال جل وعز:M | { ~ مِّثْلُهَا L[١٠] وقال الحسن: إذا كان يوم القيامة أعطي المؤمنون والمنافقون نورا فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور

(١) البقرة: ١٥.
(٢) معاني القرآن - النحاس - (١ /٩٦).
(٣) الصف: ٥.
(٤) إعراب القرآن - (٤ /٤٢٠).
(٥) التوبة: ١٢٧.
(٦) معاني القرآن - النحاس - (٣ /٢٧٠).
(٧) التوبة: ٧٩.
(٨) معاني القرآن - النحاس - (٣ / ٢٣٧ - ٢٣٨).
(٩) النساء: ١٤٢.
(١٠) الشورى: ٤٠ .

المنافقين فيشفق المؤمنون فيقولون ربنا أتمم لنا نورنا فيمضي المؤمنون بنورهم فينادونهم أنظرونا نقتبس من نوركم الآية قال الحسن فتلك خديعة الله اياهم وهذا القول ليس بخارج من قول أهل اللغة لأنه قد سماه خداعا لأنه مجازاة لهم)[١].

الدراسة: -

من أصول أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته رسوله ^ ومن ذلك ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من الاستهزاء والخديعة والإزاغة وصرف القلوب والتي أخبر الله تعالى بها في كتابه ، وفي بيان معنى تلك الآيات يقول ابن جرير الطبري رحمه الله:(والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهارُ المستهزِئ للمستهزَإ به من القول والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قِيله وفِعْله به مُورِثه مَساءة باطنًا. وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر)[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى راداً على الذين يدعون أنَّ هناك مجازاً في القرآن:(وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ (المكر) و(الاستهزاء) و(السخرية) المضاف إلى الله، وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز، وليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة؛ كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً)[٣].

وبهذا يتبين مخالفة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لعقيدة أهل السنة والجماعة في تفسيره لتلك الآيات على أنها من قبيل المشاكلة والازدواج ولبيان ذلك يقول الإمام ابن جرير في الرد على هذا القول:(وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره:

---

(١) معاني القرآن - النحاس - (٢ / ٢٢١).

(٢) تفسير الطبري - (١ / ٣٠٣).

(٣) مجموع الفتاوى(٧/١١١).

الله يَسْتَهْزِئ بِهِمْ"، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكرٌ ولا خديعة، فنافُون على الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه، وأوجبه لها. وسواءٌ قال قائل: لم يكن من الله جل ذكره استهزاء ولا مكر ولا خديعة ولا سخريةٌ بمن أخبر أنه يستهزئ ويسخر ويمكر به، أو قال: لم يخسف الله بمن أخبر أنه خَسَف به من الأمم، ولم يُغرق من أخبر أنه أغرقه منهم.

ويقال لقائل ذلك: إن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه مكرَ بقوم مضَوْا قبلنا لم نَرَهُم، وأخبر عن آخرين أنه خَسَف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدَّقْنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نُفرِّق بين شيء منه. فما بُرهانُك على تفريقك ما فَرَّقت بينه، بزعمك: أنه قد أغرقَ وخَسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكُرْ بمن أخبر أنه قد مكر به؟

ثم نعكس القول عليه في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا ألزِم في الآخَر مثله.

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبثٌ ولعبٌ، وذلك عن الله عز وجل منفيٌّ.

قيل له: إن كان الأمر عندك على ما وصفتَ من معنى الاستهزاء، أفلست، تقول: "الله يستهزئ بهم"، و"سَخِر الله منهم" و"مكر الله بهم"، وإن لم يكنْ من الله عندك هزء ولا سخرية؟

فإن قال:"لا"، كذَّب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام.

وإن قال:"بلى"، قيل له: أفنقول من الوجه الذي قلت:"الله يستهزئ بهم" و"سخر الله منهم" -"يلعب الله بهم" و"يعبث" - ولا لعبَ من الله ولا عبث؟

فإن قال:"نعم" وَصَف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه، وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه.

وإن قال: لا أقول:"يلعب الله بهم" ولا"يعبث"، وقد أقول"يستهزئ بهم" و"يسخر منهم".

قيل: فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزء والسخرية، والمكر

والخديعة. ومن الوجه الذي جازَ قِيلُ هذا، ولم يَجُزْ قِيلُ هذا، افترق معنياهُما. فعُلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر)[١].

٧- صفة العجب:

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى صفة العجب لله تعالى، وذلك عند قول الله تعالى:M i j k L[٢].

فقال: (وأنكر شريح أن تقرأ "بل عجبت" بضم التاء وقال إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم).

ثم رد أبو جعفر رحمه الله تعالى على هذا القول بقوله:(وهذا الذي قاله لا يلزم، وبضم التاء قرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس، ومعنى التعجب في اللغة: أن يُنْكَر الشيء و يَقِل ، فيتعجب منه. فالله جل وعز العالم بالأشياء، و بما يكون، ولكنا لا يقع التعجب إلا بعد الكون، فهو منه جل وعلا خلافه من الآدميين؛ لأنه قد علمه قبل وبعد وهو يشبه علم الشهادة)[٣] .

الدراسة: -

صفة العجب من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى وأدلة هذه الصفة: -

من الكتاب:قول الله تعالى:M i j k L[٤] يقول الطبري رحمه الله عند هذه الآية:(اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفة:(بلْ عَجِبْتُ

---

(١) تفسير الطبري(١/٣٠٤-٣٠٦).

(٢) الصافات: ١٢.

(٣) معاني القرآن (٦ / ١٥- ١٦)، وانظر في قول شريح:المستدرك للحاكم(٢/٤٣٠)، الأسماء والصفات للبيهقي(٢/٢٢٥).

(٤)الصافات: ١٢.

وَيَسْخَرُونَ) بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة(بَلْ عَجِبْتَ) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسَخِر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما. فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرتين ؟ قيل: إنه لم ينزل مرتين، إنما أنزل مرة، ولكنه أمر ^ أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما)[١].

وقال ابن زنجلة: (قرأ حمزة والكسائي: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ)؛ بضم التاء، وقرأ الباقون بفتح التاء...)، ثم قال: (قال أبو عبيد: قوله: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ)؛ بالنصب: بل عجِبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك، ومن قرأ: (عَجِبْتُ)؛ فهو إخبار عن الله عَزَّ وجلَّ)[٢].

وقوله تعالى:Mوَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ L[٣] وقد أسند الطبري رحمه الله عن قتادة، قوله: (فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد)، عجب الرحمن تبارك

---

(١) تفسير الطبري - (٢١ / ٢٣).

(٢) حجة القراءات (ص٦٠٦-٦٠٧).

(٣) الرعد: ٥ .

وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت)[١] .

ومن السنة قوله r : **(عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل)**[٢] .

فأهل السنة والجماعة يثبتون العجب لله تعالى على ما يليق به سبحانه وتعالى وليس عجبه سبحانه ناشئاً عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور؛ كما هو الحال في عجب المخلوقين؛ بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه.

والعجب نوعان:

أحدهما: أن يكون صادرا عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله، لأن الله لا يخفى عليه شيء.

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى [٣].

٨ - صفة الإتيان: -

ذكر أبو جعفر رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: M هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ L[٤] ما جاء في معنى هذه الآية بقوله: (قال مجاهد: إن الله يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام، وقيل: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد هم من الحسنات والعذاب، فأتاهم الله من حيث

---

(١) تفسير الطبري - (١٦ / ٣٤٦).

(٢) أخرجه البخاري(برقم٣٠١٠)كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل(ص٤٩٧).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين - (٥ / ١٦)، وانظر في هذه الصفة: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٤٩)، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني(٢/ ٤٥٧)، مجموع الفتاوى (٤/ ١٨١، ٦/ ١٢٣و١٢٤).

(٤) البقرة: ٢١٠.

لم يحتسبوا؛ أي: بخذلانه إياهم وهذا قول أبي اسحق .

وقال الأخفش سعيد: أن يأتيهم الله: يعني أمره لأن الله تعالى لا يزول كما تقول خشينا أن تأتينا بنو أمية وإنما تعني حكمهم)[١] .

الدراسة: -

صفة الإتيان من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى كما يليق به سبحانه، وقد دلت الأدلة على إثبات هذه الصفة، فمن الكتاب قول الله تعالى: M هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ L[٢].

ومن السنة قوله r : (. . . . . **فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة. . . . .**)[٣] .

وهذه الصفات يثبتها أهل السنة والجماعة كما جاءت من غير تأويل أو تكييف، يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى:(وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة. .)[٤].

ويقول الشيخ محمد هراس رحمه الله في شرحه للواسطية بعد إيراد شيخ الإسلام لهذه الآيات:(في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه، وهما صفتا الإتيان والمجيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل)[٥].

---

(١) معاني القرآن(١/ ١٥٥-١٥٦)(٢/ ٢٥٥)، وانظر: إعراب القرآن(١/ ٣٠٢).

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري(برقم٧٤٣٩)كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:] (* + , - . / Z (ص١٢٨٠).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (ص٢٢٧).

(٥) شرح العقيدة الواسطية - هراس - (١ /١١٦) .

وقد أورد أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى عند بعض هذه الآيات أقوال السلف، ثم أتبعها ببعض الأقوال المخالفة ولم يتعقبها، كمن يفسرها بإتيان أمره وهذا باطل من أوجه:-

الوجه الأول: أن هذا التأويل خلاف ظاهر النصوص المتبادر منها، فهو صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

الوجه الثاني: أن تأويل الإتيان والمجيء بإتيان أمره ومجيء أمره تفسير لهما بغير المدلول اللغوي الثابت لهاتين الصفتين، وإنما بالمقتضيات واللوازم وهذا من التحريف للنصوص.

الوجه الثالث: أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول r إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا [(١)].

٩ - صفة النسيان:-

أثبت أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى صفة النسيان لله تعالى وبين أن المراد بها الترك فقال:(وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: نترككم] 0 1 2 3 4 Z يكون من النسيان، أي: تشاغلتم عن يوم القيامة بلذاتكم وأمور دنياكم فوبخهم الله عز وجل على ذلك، ويجوز أن يكون المعنى: كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا)[(٢)].

---

(١) انظر في هذه الأوجه: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية(ص٣١ ومابعدها)، الصواعق المرسلة (١/٢٣٤وما بعدها)، شرح العقيدة الطحاوية(٢/٦٨٦)، توضيح المقاصد لابن عيسى(٢/٤٧-٥٩).

(٢) إعراب القرآن(٤/١٥٦)، معاني القرآن(٦/٤٣٤).

وعند قول الله تعالى:Mنَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ L[١] قال:(قال قتادة أي: نسيهم من الخير فأما من الشر فلم ينسهم.

والمعنى عند أهل اللغة: تركوا أمر الله فتركهم من رحمته وتوفيقه يقال نسي الشيء إذا تركه)[٢].

الدراسة: -

النسيان صفة فعلية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة فمن الكتاب قول الله تعالى:Mفَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا L[٣] وقوله تعالى:Mنَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ L[٤] .

ومن السنة قوله r في حديث أَبِى هُرَيْرَةَ t . . . . - قَال - فيلقى العبد فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقى فيقول لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أى رب. فيقول أفظننت أنك ملاقى فيقول لا. فيقول فإنى أنساك كما نسيتنى. . . . . الحديث)[٥].

وقد فسر السلف وكذا أئمة اللغة ومنهم أبوجعفر النحاس النسيان هنا بمعنى الترك[٦] .

---

(١)التوبة: ٦٧ .

(٢) معاني القرآن (٣ /٢٣١)وانظر:(١ /٣٣٣) (٢ /٢٣١)(٢ /٢٨٣).

(٣) الأعراف: ٥١.

(٤) التوبة: ٦٧.

(٥) صحيح مسلم (برقم٧٤٣٨)كتاب الزهد، باب الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر(ص١٢٨٦).

(٦) انظر:تفسير الطبري(١١ /٣٥٧)، تفسير ابن كثير(٣ /٤٢٤-٤٢٥)، تفسير البغوي(٣ /٢٣٤)، تفسير السعدي (ص٢٩٠) .

وفي ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (للنسيان معنيان:

أحدهما: الذهول عن شيء معلوم مثل قوله تعالى: M ¶ ¸ تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا L[١]. . . وهذا المعنى للنسيان منتف عن الله عز وجل بالدليلين السمعي، والعقلي.

أما السمعي: فقوله تعالى: M يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ ´ µ ¶ ¸ يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا L[٢]

فقوله: M يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ ´ L أي: مستقبلهم يدل على انتفاء الجهل عن الله تعالى، وقوله: M µ ¶ L أي: ماضيهم يدل على انتفاء النسيان عنه .

وأما العقلي: فإن النسيان نقص، والله تعالى منزه عن النقص، موصوف بالكمال، كما قال الله تعالى: M a b c d e f h i j l m n L[٣] وعلى هذا فلا يجوز وصف الله تعالى بالنسيان بهذا المعنى على كل حال.

والمعنى الثاني للنسيان: الترك عن علم وعمد، . . . . وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى عز وجل. . . . . والنصوص في ثبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة، معلومة، وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه. وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل قيامها بالمخلوقين، وإن شاركه في أصل المعنى، كما هو معلوم عند أهل السنة. .)[٤].

---

(١)البقرة: ٢٨٦ .

(٢) طه: ١١٠ .

(٣) النحل: ٦٠.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١ / ١١٧).

المطلب الثالث: أنواع مايضاف إلى الله تعالى

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن المضاف إلى الله تعالى قد تكون إضافته إضافة تشريف وقد تكون غير ذلك فقال عند قول الله تعالى:Mمِن رُّوحِنَا L[1] فيه قولان:

أحدهما: من الروح الذي لنا، والذي نملكه، كما يقال: "بيت الله".

والآخر: "من روحنا" من جبرئيل ^ ، قال جل ثناؤه:M h i j k L[2] [3].

كما بين سبب تسمية عيسى عليه السلام بكلمة الله: (وقد ذكرنا معنى تسمية عيسى ^ بالكلمة، ومن أحسن ما قيل فيه: أن عيسى ^ لما كان يهتدى به صار بمنزلة كلام الله جل وعز الذي يهتدى به. ولما كان يحيى به من موت الكفر قيل له: روح الله جل وعز على التمثيل)[4].

ويقول في موضع آخر موضحا سبب تسمية عيسى بكلمة الله:(فإن قيل فما تسميه عيسى بالكلمة ففي هذا أقوال: أحدهما: أنه لما قال الله عز وجل "كن" فكان سماه بالكلمة، فالمعنى على هذا "ذو كلمة الله" كما قال تعالى:M j k L[5]

وقيل: سمي بهذا كما يقال "عبد الله"، وألقاها على اللفظ.

وقيل: لما كانت الأنبياء قد بشرت به وأعلمت أنه يكون من غير فحل وبشر الله مريم به كما قال:M d e f g h i j k L[6] فلما ولدته على

---

(١) التحريم: ١٢.

(٢) الشعراء: ١٩٣.

(٣) إعراب القرآن (٤ / ٤٦٦) .

(٤) إعراب القرآن (١ / ٥١٠).

(٥) يوسف: ٨٢

(٦) مريم: ١٩.

الصفة التي وصف بها قال الله عز وجل: هذه كلمتي كما تخبر الرجل بالشئ أو تعده به، فإذا كان قلت: "هذا مولي" و"هذا كلامي" والعرب تسمي الكلام الكثير والكلمة الواحدة "كلمة" ... وقيل سمي كلمة لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بالكلمة)[١].

ويقول كذلك: (قيل لجبرئيل ^ روح الله؛ لأنه خلقه من غير ذكر وأنثى، ومن هذا قيل لعيسى ^ "روح الله جل وعز" لأنه خلقه من غير ذكر)[٢].

الدراسة: -

إن مسألة التفريق بين أنواع ما يضاف إلى الله تعالى من المسائل التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن غيرهم من أهل البدع، يقول الشيخ السعدي رحمه الله بعد ذكره لمذهب أهل السنة في أنواع ما يضاف إلى الله تعالى:(ولهذا لما اهتدى السلف لهذا الفرقان بين الحق والباطل هدوا إلى الصراط المستقيم، ولما ضل عنه الجهمية[٣] ونحوهم وقعوا في الأقوال الباطلة)[٤].

والذي فصله أهل السنة والجماعة في هذا المقام، هو أن الإضافة على نوعين: -

النوع الأول: صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه .

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح،

---

(١) معاني القرآن للنحاس - (١ / ٣٩١-٣٩٢).

(٢) إعراب القرآن - (٤ / ٤٠٤).

(٣) الجهمية: طائفة تنسب إلى الجهم بن صفوان زعيمها،ومن عقائدهم القول بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى ، وأن العبد مجبور على فعله، وقد قتل الجهم سنة١٢٨هـ ،انظر:مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥) ،الفصل (٤/ ٢٠٤).

(٤) توضيح الكافية الشافية (ص٦٧).

فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا، يتميز بها المضاف عن غيره[١].

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله سبب هذا التفريق بقوله:(المضاف إن كان شيئا قائما بنفسه أو حالا في ذلك القائم بنفسه فهذا لا يكون صفة لله؛ لأن الصفة قائمة بالموصوف . فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضى للإضافة لا لكونها صفة والروح الذي هو جبريل من هذا الباب كما أن الكعبة والناقة من هذا الباب ومال الله من هذا الباب وروح بني آدم من هذا، وأما إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه؛ بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا والغضب فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه. . . . . وأما أثر ذلك وهو ما يحصل للعبد من النعمة واندفاع النقمة فذاك مخلوق منفصل عنه ليس صفة له)[٢].

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٢ / ٤٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ /١٥١-١٥٢) وانظر:رسالة العقل والروح ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٨٣/٢)، ومختصر الصواعق (١١٠٧/٣-١١٠٨)، لوامع الأنوار البهية (٣٦/٢، ٣٧)، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان(٢٤٢-٢٤٣).

الفصل الثالث:
آراء أبي جعفر النحاس
في الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل

وفيه ثلاثة مباحث: -

المبحث الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: آراؤه في الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: آراؤه في الإيمان بالرسل.

المبحث الأول:
آراؤه في الإيمان بالملائكة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: وجوب الإيمان بالملائكة

المطلب الثاني: أعمال الملائكة .

المطلب الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

المطلب الرابع: أصل إبليس.

المطلب الأول: وجوب الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان، وقد جاءت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه r تبين وجوب الإيمان بهذا الركن العظيم، ومن تلك الأدلة:-

قـول الله تعـالى:M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L[(١)] وقوله تعالى:M g h i j k l m n o p q r s t L[(٢)] وقولـه تعـالى:M فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ L[(٣)] وقوله تعالى:M \ ] ^ _ ` a b c d e f g L[(٤)] ومن السنة ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث جبريل وفيه: **(الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت. . . . الحديث)**[(٥)]. والآيات والأحاديث الدالة على وجودهم وأنهم خلق لله تعالى وعلى وجوب الإيمان بهم كثيرة جدا.

يقول العلامة ابن القيم:(لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحا، أو تلويحا، أو إشارة، وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر، ولهذا كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمس التي هي

---

(١)البقرة: ١٧٧ .

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) فصلت: ٣٨.

(٤) النساء: ١٣٦.

(٥) أخرجه البخاري(كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي r عن الإيمان والإسلام والإيمان) برقم(٥٠) (ص١٢) ومسلم(كتاب الإيمان)ص٢٤ برقم(٩٣).

أركان الإيمان وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر)[١].

يقول البيهقي رحمه الله تعالى:(والإيمان بالملائكة ينتظم معاني:-

أحدها: التصديق بوجودهم .

والآخر: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس، والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما قدرهم الله تعالى عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل .

والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله، أو بأكثره)[٢]

ولما كانت عناية أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالقرآن ظاهرة فلا يبعد أن يعرض لبيان شيئ من ذلك، لكنني لم أر له نصاً في تقرير وجوب الإيمان بالملائكة، ويمكن أن يؤخذ تقرير الإيمان بالملائكة فيما ذكره في كتبه من وجوه عدة:

الوجه الأول: ردَّ رحمه الله تعالى على شبهة المشركين في قولهم: إن الملائكة بنات الله تعالى فقال:(وقرأ عبد الله بن مسعود وابن عباس (فناداه الملائكة)[٣] وهو اختيار أبي عبيد وروي عن جرير عن مغيرة عن إبراهيم كان عبد الله يذكر الملائكة في كل القرآن. قال أبو عبيد أنا اختار ذلك خلافا على المشركين لأنهم قالوا الملائكة بنات الله.

---

(١) إغاثة اللهفان - (٢ /١٣١) .

(٢) شعب الإيمان للبيهقي - (١ /١٥١)، وعنه السيوطي في الحبائك(ص٩-١٠).

(٣) حجة القراءات لابن زنجلة(١ /١٦٢).

قال أبو جعفر: هذا احتجاج لا يحصل منه شيء لأن العرب تقول: قالت الرجال وقال الرجال وكذا النساء، وكيف يحتج عليهم بالقرآن ولو جاز أن يحتج عليهم بهذا لجاز أن يحتجوا بقوله: وإذ قالت الملائكة ولكن الحجة عليهم في قوله جل وعز: M أَشَهِدُواْ © L[(١)] أي: فلم يشاهدوا خلقهم، فكيف يقولون إنهم إناث، فقد علم أن هذا ظن وهوى، وأما "فناداه" فهو جائز على تذكير الجميع. و"نادته" على تأنيث الجماعة)[(٢)].

وحول ما رجحه أبو جعفر النحاس من صحة هاتين القراءتين وأن لا تفضيل بينهايقول ابن جرير رحمه الله:(قال أبو جعفر: وإنما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك، أنهما قراءتان معروفتان أعني"التاء" و"الياء" فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب. وذلك أنه لا اختلافَ في معنى ذلك باختلاف القراءتين، وهما جميعًا فصيحتان عند العرب، وذلك أنّ"الملائكة" إن كان مرادًا بها جبريل، كما رُوِي عن عبد الله بن مسعود t ، فإن التأنيث في فعلها فصيحٌ في كلام العرب للفظها إن تقدمها الفعل. وجائز فيه التذكير لمعناها.

وإن كان مرادًا بها جمع"الملائكة"، فجائز في فعلها التأنيث، وهو من قَبلها للفظها. وذلك أن العرب إذا قدّمت على الكثير من الجماعة فعلها، أنثته فقالت:"قالت النساء". وجائز التذكير في فعلها، بناءً على الواحد، إذا تقدم فعله فيقال:"قال الرجال")[(٣)].

كما ذكر القراءات في قول الله تعالى:M وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ © ۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ L[(٤)] ثم قال:(ولعمري أنها صحيحة عن ابن

(١) الزخرف: ١٩.
(٢) إعراب القرآن (١ /٣٧٣) .
(٣) تفسير الطبري (٦ /٣٦٥) .
(٤) الزخرف: ١٩.

عباس رضي الله عنهما . . . واحتجاجه بأنه رد لقولهم بنات لا يلزم لأن "عبادا" إنما هو نفي لمن قال ولد؛ لأنه يقع للمذكر والمؤنث، والأشبه بنسق الآية قراءة من قرأ (عند) لأن المعنى فيه: وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن، أي لم يروهم إناثا فكيف قالوا هذا وهم عند الرحمن وليسوا عندهم)[١].

فقد أنكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى على أبي عبيد في اختياره إحدى القراءات بدعوى الرد على المشركين، وبين أنهم لايحتجون بالقرآن أصلا، وأن الصواب إثبات القراءات الواردة الصحيحة وفي هذا يقول ابن جرير:(والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده)[٢].

الوجه الثاني: ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الملائكة مع منزلتهم العظيمة عند الله تعالى فإنهم لايعبدون، وذلك عند قول الله تعالى:M وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ à إِلَّا â بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ç è é L[٣] فقال: (في هذا تنبيه لهم وتوبيخ لأنهم قالوا:M ` a b c d e f L[٤] فأخبر الله جل وعز أن الملائكة صلوات الله عليهم وسلامه الذين هم أفضل الخلق عند الله جل وعز وأكثرهم عملا بالطاعة لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد إذن الله عز وجل ورضاه فكيف تشفع الأصنام لهم)[٥].

وبيَّن عند قول الله تعالى:M \ ] ^ _ ` a b d e f g h i L[٦] أن (هذا موجود في النصارى يعظمون الملائكة والأنبياء حتى

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ١٠٤).

(٢) تفسير الطبري (٢١ / ٥٨٢).

(٣) النجم: ٢٦.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) إعراب القرآن (٤ / ٢٧٣) .

(٦) آل عمران: ٨٠ .

يجعلوهم أربابا)[١].

الوجه الثالث: بيَّن رحمه الله تعالى سبب تسمية الملائكة جِنَّة فقال عند قول الله تعالى:M 4 5 6 7 8 : : ; < = > L[٢]: (أكثر أهل التفسير على أن الجنة ههنا الملائكة، وقال أهل الاشتقاق: قيل لهم جنة لأنهم لا يرون، وثم قول آخر غريب ......عن أبي مالك قال: إنما قيل للملائكة جنة؛ لأنهم على الجنان والملائكة كلهم جنة)[٣].

❖ ❖ ❖

---

(١) إعراب القرآن (١ / ٣٩١) .

(٢) الصافات: ١٥٨ .

(٣) إعراب القرآن (٣ / ٤٤٤)،والأثر:أخرجه الطبري(١٥/ ٥٣٨)،وانظر تفسير القرطبي(١٥/ ١٣٤).

المطلب الثاني: أعمال الملائكة

خلق الله جل وعز ملائكته ووكل لهم القيام بأمور كثيرة في السماء والأرض، وهو سبحانه مستغن بذاته عن كل شيء من خلقه ومع ذلك فأوكل لملائكته الأمور العظيمة؛وهذا والله أعلم من باب إظهار عظمة الله سبحانه وتعالى، وأيضا من باب ربط الأمور بأسبابها الكونية [١] .

وقد عرض أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى لجملة من أعمال الملائكة في مواضع متفرقة من كتبه، وسأوردها معقبا كل عمل بما يدل عليه مما قرره أهل التفسير ،والأعمال التي تناولها بالحديث هي:-

أولاً: تثبيت المؤمنين:

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: Mوَأَنزَلَ جُنُودًا ´ µ L[٢]أنهم: (الملائكة يقوون المؤمنين بما يُلقون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت،ويضعفون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم، ومن غير قتال؛ لأن الملائكة صلوات الله عليهم لم تقاتل إلا في يوم بدر)[٣].

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله تعالى بابا على ذلك أسماه:(باب شهود الملائكة بدرا)،وساق بسنده حديث رفاعة بن رافع t قال:(جاء جبريل إلى النبي ^ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها.

---

(١) انظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين(ص١٤٢) د. محمد بن عبدالوهاب العقيل ط. دار أضواء السلف ١٤٢٣هـ الأولى.

(٢) التوبة: ٢٦ .

(٣) إعراب القرآن(٢/ ٢٠٩)،وانظر في ذلك:تفسير الطبري(١٤/ ١٨٨-١٨٩)،تفسير البغوي (٤/ ٣١)، تفسير ابن كثير(٤/ ١٢٨-١٣٠).

قال: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة)[١].

ثانياً: حفظ النبي r وحفظ ما ينزل:-

بيَّن أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى قول الله تعالى:Mفَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا L[٢] فقال:(أي: ذوي رصد من الملائكة يحفظونه ويحفظون ما ينزل من الوحي لا يغير ولا يسترق)[٣].

وما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى للآية هو ما فسرها به ترجمان القرآن فيما أخرجه ابن جرير في التفسير عنه أنه قال:(هي معقبات من الملائكة يحفظون النبيّ ^)[٤].

ثالثاً: حفظ بني آدم وهم المعقبات:-

فالحفظة والمعقبات ملائكة موكلون بالإنسان يحفظونه ويحوطونه حتى يأتيه أجله المقدر له، وقد ذكرأبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:pM q r s t u v w x y z \ L[٥] الأقوال في الآية، واختار أحدها بقوله:-(روى إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ملائكة يحفظونه؛ فإذا جاء القدر خلوا بينه وبينه.

وروى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: pM q r s t u v w x y z L[٦] قال: "بإذن الله"؛ وهي من أمر الله وهي ملائكة، قال الحسن: عن أمر الله .

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٩٩٢) (كتاب المغازي،باب شهود الملائكة بدرا)(ص٦٧٤).

(٢) الجن: ٢٧ .

(٣) إعراب القرآن(٥/ ٥٤).

(٤) تفسير الطبري(٢٣/ ٦٧١)،وانظر:تفسير القرطبي(١٩/ ٢٩ومابعدها).

(٥) الرعد: ١١.

(٦) الرعد: ١١.

قال مجاهد وقتادة:وهذا لفظ قتادة وهي ملائكة تتعاقب بالليل والنهار عن أمر الله أي بأمر الله)[١].

وبين سبب اختيار هذا القول: لعلو إسناده وصحته، وأيد ما اختاره بحديث أبي هريرة t أن النبي r قال: **(لله ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار)** وذكر الحديث[٢].

وبما أسنده عن عبد الله بن مسعود t في قوله تعالى:M D E G H I J K L[٣] أنه قال: تدور كالحرس ملائكة الليل وملائكة النهار[٤].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:(للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)[٥] .

رابعاً: التبرؤ ممن يعبدها:-

أخبر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M Y Z [\ ] ^ L[٦] (أنه فيما يروى أن الملائكة تبرأت ممن يعبدها وتعجبت من ذلك لاجتهادها فقالت: وما منا إلا له مقام معلوم)[٧].

وفيما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى قول الله تعالى:M Y Z [

(١) معاني القرآن(٣/٤٧٨)، وقد أورد هذه الآثار ابن جرير في التفسير(١٦/ ٣٧٠-٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم٥٥٥(كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر)(ص٩٣) ومسلم برقم١٤٣٢(كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما)(ص٢٥٤).

(٣) الإسراء: ٧٨.

(٤) معاني القرآن (٣ / ٤٨٠) .

(٥) تفسير ابن كثير (٤ /٤٣٧).

(٦) الصافات: ١٦٤ .

(٧) إعراب القرآن(٢/٤٤٦).

\ [^ L يقول الشيخ السعدي رحمه الله:(هذا [فيه] بيان براءة الملائكة عليهم السلام، عما قاله فيهم المشركون، وأنهم عباد الله، لا يعصونه طرفة عين، فما منهم من أحد إلا له مقام وتدبير قد أمره الله به لا يتعداه ولا يتجاوزه، وليس لهم من الأمر شيء)(١).

خامساً: تدبير الأمور:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M ~ أَمْرًا L(٢) (لا اختلاف بين أهل العلم في هذا أنه يراد به الملائكة، وهو مجاز؛ لأن الله جل وعز هو المدبر الأشياء قال:M] \ [^ _ ` L(٣) فلما كانت الملائكة صلوات الله عليهم ينزلون بالوحي والأحكام وتصريف الأمطار قيل لهم مدبرات على المجاز)(٤).

وحول هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:(فكل حركة في السموات والأرض: من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض كما قال تعالى: فالمدبرات أمرا وقال: فالمقسمات أمرا وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام)(٥).

وفيما ذكره أبوجعفر رحمه الله تعالى من أن إضافة التدبير للملائكة مجازاً يقول السمعاني:(فمعنى التدبير من الملائكة هو ما جعل الله إليها من الأمور)(٦)،ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:(والمقصود: أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٧٠٨) .

(٢) النازعات: ٥ .

(٣) السجدة: ٥ .

(٤) إعراب القرآن(٥ / ١٤٠).

(٥) إغاثة اللهفان (٢ / ١٢٥).

(٦) تفسير السمعاني - (١ / ٣٠٩).

والسفلي ملائكة فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته وأمره فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرين للتدبير كقوله فالمدبرات أمرا ويضيف التدبير إليه كقوله تعالى: M D E F G H I J K L M N O P Q S T L[1] وقوله تعالى: M قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ´ µ ¶ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ L[2] (فهو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالا)[3].

سادساً: السفارة بين الله ورسله:-

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من بني آدم أفرادا وشرفهم بنبوته ورسالته وأرسل إليهم ملائكة منه يبلغونهم أوامر الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله تعالى عن جبريل عليه السلام: M Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L[4] وقال تعالى: M h i j k l m n o p q L[5].

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى: (ومعروف في كلام العرب أنه يقال سفر الرجل بين القوم إذا ترسل بينهم بالصلح والملائكة سفرة لأنهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم)[6].

ويقول أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى في سبب تسميته روحا: (وهو جبرئيل عليه السلام، سمي روحاً لأنه يأتي بما يحيا به العباد من الوحي، فلما كان ما يأتي به

---

(١) يونس: ٣.

(٢) يونس: ٣١.

(٣) إغاثة اللهفان (٢ / ١٣٠)، وانظر: شعب الإيمان(١ / ١٠٣)، تفسير القرطبي(١٩ / ١٩٤)، تفسير اللباب (٢٠ / ١٢١)، فتح القدير للشوكاني(٥ / ٥٢٥).

(٤) البقرة: ٩٧ .

(٥) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) إعراب القرآن(٥ / ١٥١).

يحيا العباد به سمي روحاً ولهذا سمي عيسى ^ روحا)[١].

سابعاً: ما يتعلق بأفعال العباد: -

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أقوال أهل التفسير عند قول الله تعالى: M Z [\ ] ^ L[٢] فقال:(والملائكة سفرة لأنهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم، وهم أيضا كتبة يكتبون أفعال العباد)[٣] .

ولما ذكر قول الله تعالى: M ! " # $ % & ' (L[٤] أورد ما روي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم:أنها الملائكة[٥]، ثم بين ذلك بقوله:(قال أبو جعفر الصافات جمع صافة كأنه جماعة صافة أي مصطفة تذكر الله جل وعز وتسبحه.

والزاجرات جمع زاجرة أي التي تزجر السحاب على ما مضى، وقال قتادة: الزاجرات كل ما زجر عنه كأنه يريد ذوات الزجر.

ويجوز: أن تكون الزاجرات كل ما يزجر عن معاصي الله جل وعز وأن تكون التاليات كل ما يتلو ذكر الله جل وعز وكتبه)[٦].

وحول ما اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى يقول القرطبي رحمه الله:(M $ L[٧] الملائكة في قول ابن عباس، وابن مسعود، ومسروق، وغيرهم على ما ذكرناه إما لأنها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي. وإما لأنها

---

(١) إعراب القرآن (٣ / ١٠) .

(٢) عبس: ١٥ – ١٦ .

(٣) إعراب القرآن (٥ / ١٥١).

(٤) الصافات: ١ – ٣ .

(٥) انظر: تفسير الطبري(٢١ / ٧-١٢).

(٦) معاني القرآن - النحاس - (٦ / ٧).

(٧) الصافات: ٢.

تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح. وقال قتادة: هي زواجر القرآن. M '

) L[١] الملائكة تقرأ كتاب الله تعالى؛ قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن ومجاهد، وابن جبير، والسدي. وقيل: المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع؛ لأنه كبير الملائكة فلا يخلو من جنود وأتباع. وقال قتادة: المراد كل من تلا ذكر الله تعالى وكتبه. وقيل: هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة)[٢].

❋ ❋ ❋

(١) الصافات: ٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن - (١٥ / ٦٢).

المطلب الثالث: المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر.

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ذكر هذه المسألة في أكثر من موطن، ورجح أن الملائكة عليهم السلام أفضل من جميع البشر وذلك بما يلي:-

أولا: ذكر عند قول الله تعالى:M O P Q R L[١]معنى الآية بقوله: (أي ولا أقول إن منزلتي عند الله جل وعز منزلة الملائكة، وقد قالت العلماء: الفائدة في هذا الكلام الدلالة على أن الملائكة أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلم لدوامهم على الطاعة واتصال عبادتهم إلى يوم القيامة)[٢].

ثانياً: لما أورد قول الله تعالى:M _ ` a b c d e f g h L[٣] قال:(فدلَّ بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم)[٤].

ثالثاً: يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(وقد بيَّن الله جل وعز فضل الملائكة على جميع الخلق في غير موضع من القرآن فمنها هذا وهو:Mإِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ L[٥] ومنها:M x y z { | L[٦] ومنها:M f g h L[٧] وقال الحسن: فضَّل الله عز وجل الملائكة بالصور، والأجنحة، والكرامة. وقال غيره: فضَّلهم الله جل وعز بالطاعة، وترك المعصية، فبهذا يقع التفضيل في كل

---

(١) هود: ٣١.

(٢) إعراب القرآن(٢/ ٢٨١).

(٣) النساء:١٧٢ .

(٤) إعراب القرآن (١/ ٥١٠) .

(٥) الأعراف: ٢٠ .

(٦) الأنعام: ٥٠ .

(٧) النساء: ١٧٢.

شيء)[١].

الدراسة: -

مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر من المسائل التي تنوعت مشارب أهل العلم فيها؛ فبعضهم منع من الكلام فيها أصلا وعدها من بدع أهل الكلام، ولكن الصواب أنها قد وردت عن بعض الصحابة؛فعن عبدالله بن سلام t أنه قال:(ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد. فقيل له:ولا جبريل ولا ميكائيل؟فقال للسائل:أتدري ما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد r)[٢].

وهذه المسألة لها صور متعددة، والذي اعتنى به أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من ذلك هو المفاضلة بين الملائكة وجميع البشر بمن فيهم الأنبياء، و الأقوال في هذه المسألة كما يلي:-

القول الأول: أن الأنبياء وصالحي البشر أفضل، وعليه جمهور أهل السنة واختاره أغلب الأشاعرة وغيرهم،وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ثلاثة عشر دليلا على هذا القول، ومن تلك الأدلة:

١ - أن الله تعالى خلق آدم بيده، بخلاف الملائكة.

٢ - قصة سجود الملائكة كلهم لآدم،ولعن الممتنع عن السجود،وهذا تشريف وتكريم له.

٣- أن السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم : أن صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير نكير منهم لذلك ولم يخالف أحدمنهم في ذلك إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء فقد كان ذلك كالمستقر

---

(١) إعراب القرآن(٢/١١٨-١١٩)و(٤/٢٧٣)و(٥/٢٧٤).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة(٥/٤٨٥-٤٨٦)، والحاكم في المستدرك(٤/٥٦٨-٥٦٩)وصححه ووافقه الذهبي.

عندهم .....ولو كان هذا منكرا لأنكروه فدل على اعتقادهم ذلك[١] .

القول الثاني: أن الملائكة أفضل وعليه المعتزلة، وبعض الأشاعرة، واختاره بعض أهل السنة،وهو اختيار أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى وقد ذكر أبو جعفر شيئا من أدلتهم.

القول الثالث: الوقف، وهو اختيار بعض العلماء.

والرابع: التفصيل وهو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بقوله:(والملائكة أفضل باعتبار البداية، أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر . وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحوا البشر أكمل من حال الملائكة)[٢] . قال ابن القيم رحمه الله: وبهذا التفصيل يتبين سرُّ التَّفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه[٣].

وقد استدل كل فريق بما ينصر قوله بأدلة متعددة، وبما أنَّ المسألة لا يترتب عليها كبير عمل فلا داعي للإفاضة فيها أكثر مما سبق، وقد بسط الخلاف فيها بالأدلة شيخ الإسلام ابن تيمية والسيوطي وغيرهما[٤] .

❊ ❊ ❊

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٠-٣٩٢).

(٢) مجموع الفتاوى - (٤ /٣٤٣).

(٣) بدائع الفوائد(٣/ ٦٨٤).

(٤) انظر في هذه المسألة: شعب الإيمان للبيهقي(١/ ١٨٢)، الفصل لابن حزم(٥/ ١٥-١٧)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٠-٣٩٤)، بدائع الفوائد(٣/ ٦٨٤)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٤١٠-٤٢٣)، فتح الباري(١٣/ ٣٨٦-٣٨٨)، الحبائك للسيوطي(٢٠٣-٢٢٦)، لوامع الأنوار البهية(٢/ ٣٩٨وما بعدها)، مباحث المفاضلة في العقيدة د. محمد الشظيفي ط. دار ابن القيم ١٤٢٣هـ (ص٤٥٣-٣٦٠)، معتقد فرق المسلمين في الملائكة د. محمد العقيل ط. دار أضواء السلف١٤٢٢هـ، عالم الملائكة الأبرار أ. د. عمر الأشقر ط. دار النفائس(٩٧-١٠٢).

المطلب الرابع: أصل إبليس

اختار أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن إبليس من الجن وليس من الملائكة وذلك عند بيانه لمعنى قول الله تعالى: M فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ L[1] بقوله:(قال أبو إسحاق: استثناء ليس من الأول، يذهب إلى قول من قال: إن إبليس ليس من الملائكة ولا كان منهم، وهذا قول صحيح يدل عليه أن الله جل وعز أخبرنا أنه خلق الجان من نار والملائكة لم تخلق من نار)[2].

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في كون إبليس من الملائكة أم من الجن[3] على قولين هما: -

القول الأول: أن إبليس من الجن وليس من الملائكة .

القول الثاني: أنه من الملائكة، فلما استكبر وأبى عن السجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أُبلس من الخير، وصار شيطانًا .

أدلة القول الأول:

استدل القائلون بأن إبليس لم يكن من الملائكة وإنما هو من الجن بما يأتي:

١ - إخبار اللهَّ سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأنه خلق إبليس من نار، قال تعالى: M قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ L[4] .

٢ - قول النبي ^ : **(خُلِقت الملائكة من نور وخُلِق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ)**[5]،

---

(١) الحجر: ٣٠ – ٣١.

(٢) إعراب القرآن - (٢ / ٣٨٠)،وانظر:معاني القرآن(٣/١٤،٢٦)(٤/٢٥٣)(٦/١٣٨).

(٣) انظر في هذه المسألة:تفسير الطبري(١/٥٠٢-٥٠٩)، تفسير ابن كثير(١/٢٣٠)، معتقد فرق المسلمين (ص٦٠).

(٤) ص: ٧٦.

(٥) أخرجه مسلم (برقم٢٩٩٦)كتاب الزهد والرقائق، باب في مسائل متنوعة(ص١٢٩٥).

ففرّق الرسول ^ بين المادة التي خلقت منها الملائكة وهي النور، والمادة التي خلق منها الجان وهي مارج من نار .

٣ – قول الله تعالى:M l m n o p q r s t u v w x y z | { } ~ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا L[1]، فدلت الآية صراحة على كونه من الجن.

القول الثاني:أنه من الملائكة، واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:-

١ – الآيات التي استُثني فيها إبليس من الملائكة، فدل على أنه منهم، وقالوا: الأصل في الاستثناء الاتصال؛ بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه .

٢ - استدلوا ببعض الآثار عن الصحابة والتابعين، وقد ذكر هذه الآثار وغيرها ابن كثير أيضًا، ثم قال معلقا عليها:(وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة)[2].

وبعد النظر في القولين يتبين أن القول الراجح هو الأول، وهو أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ لقوة أدلتهم، ولأن هذا القول هو مقتضى النصوص الشرعية .

أما الاستدلال باستثنائه من الملائكة؛ فإن الاستثناء هنا استثناء منقطع، وهذا ما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بقوله:(قال أبو إسحاق:" استثناء ليس من الأول" يذهب إلى قول من قال إن إبليس ليس من الملائكة ولا كان منهم، وهذا قول صحيح يدل عليه أن الله جل وعز أخبرنا أنه خلق الجان من نار والملائكة لم

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) تفسير ابن كثير(٥/ ١٦٨).

تخلق من نار)[١] .

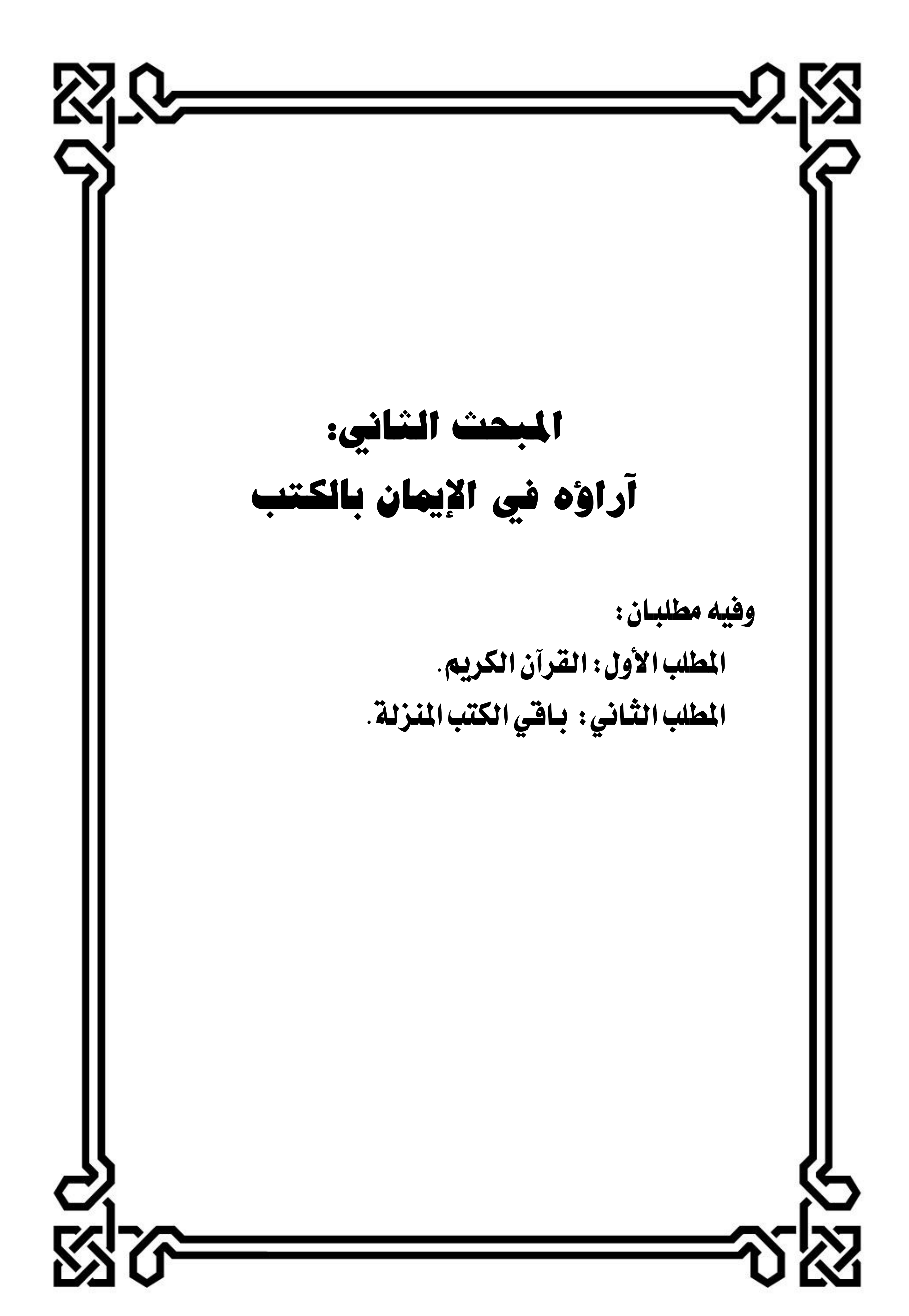
فاستثناء الله تعالى إبليس من الملائكة لا يدل على كونه من جملتهم، وإنما استثناه منهم؛ لأنه كان معهم حينذاك، وكان مأمورًا بالسجود معهم، فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم .

قال ابن كثير رحمه الله: (والغرض أن اللهَّ لما أمر الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم؛ لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم، وتوسم بأفعالهم؛ فلهذا دخل في الخطاب لهم، وذم في مخالفة الأمر)[٢].

---

(١)إعراب القرآن (٢ / ٣٨٠) .

(٢) تفسير ابن كثير(١ / ٢٣٠).



المبحث الثاني:
آراؤه في الإيمان بالكتب

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرآن الكريم.

المطلب الثاني: باقي الكتب المنزلة.

المطلب الأول: القرآن الكريم

إن من أصول الدين وأركان الإيمان التي لا يستقيم إيمان العبد حتى يؤمن بها: الإيمان بالكتب المنزلة من الله إلى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك؛ فمن أدلة الكتاب قول الله تعالى:M * + , - . / 0 1 2 3 L[١]، وقوله تعالى:M g h i j k l m n p q r s t u v w x y z { | L[٢] وغيرها من الآيات.

ومن السنة قوله r في حديث جبريل المشهور: **(الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**[٣].

ومعنى الإيمان بالكتب:(التَّصديق الجازم بأن كلها منزلٌ من عند الله عزوجل على رسله الى عباده بالحق المبين، والهدى المستبين، وأنَّها كلام الله عز و جل لا كلام غيره، وأنَّ الله تعالى تكَّلم بها حقيقةً كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد؛ فمنها المسموع منه من وراء حجابٍ بدون واسطةٍ، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري)[٤].

وقد تطرق أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى لعدة مسائل فيما يتعلق بالقرآن نثرها في مواضعها من كتاب الله تعالى، وهي:-

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) البقرة: ٢٨٥ .

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) معارج القبول - (٢ /٦٧٢) .

أولا: إنزاله:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله صحة الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من إنزال هذا الكتاب من عند الله تعالى إلى السماء الدنيا وبين أنه أثر صحيح لايدفعه إلا أهل الأهواء فقال:(وقد صحَّ عن ابن عباس أن الله جل وعز أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في شهر رمضان ثم نزل متفرقا من السماء، وإنما يرد هذا الحديث أهل البدع).

وقال في موضع آخر:(وأمَّا الحديث في تنزيل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فصحيح غير مدفوع عند أهل السنة وإنما يدفعه قوم من أهل الأهواء - ثم ساق بسنده قول ابن عباس رضي الله عنهما -:(عن ابن عباس في قوله:M ! " # $ % L[1] قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم وكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض فقالواM وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا L)[2][3].

وقد أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى نزول القرآن من عند الله تعالى وأن جبريل إنما بلغه فقال:(قوله تعالى:M h i j k l m n o p q L[4] هذه قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة إلا الحسن فإنه قرأ هو والكوفيون (نزَّل به الروحَ الأمينَ) وبعض أهل اللغة يحتج لهذه القراءة بقوله جل وعز:M c d e f L [5] لأن تنزيلا يدل على نزل وهو احتجاج حسن وقد

---

(١) القدر: ١.

(٢) أثر ابن عباس:أخرجه ابن جرير في التفسير(٢٤/٥٤٤)، والحاكم في المستدرك(٢/٢٤٢)كتاب التفسير (٢/٥٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان(٣/٣٢٠).

(٣) إعراب القرآن(٥/٢٦٦) وانظر:(٥/١٤٠)ومعاني القرآن(٥/١٠٤).

(٤) الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤.

(٥) الشعراء: ١٩٢.

ذكره أبو عبيد، والحجة لمن قرأ بالتخفيف أن يقول: ليس هذا المصدر؛ لأن المعنى: وأن القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به جبرئيل ^ كما قال جل وعز: ZM] [\ ] ^ _ ` a b L(١))(٢)، كما نقل قول الفراء في أن نسبة التدبير إلى الملائكة من قبيل المجاز فقال:(قال الفراء كما قال: M _ ` a b L فنسب التنزيل إلى جبرئيل ^ والله الذي نزله)(٣).

الدراسة: -

أخبر الله تعالى في كتابه عن إنزال القرآن العظيم في غير آية من كتابه فقال سبحانه وتعالى:M y z { | } ~ L(٤)، وقال سبحانه وتعالى: M قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ L(٥) كما أخبر سبحانه وتعالى عن وقت إنزاله فقال سبحانهM & ' ( ) * , - . L(٦)، وقد اختلف أهل العلم في عدد مرات إنزاله على أقوال متعددة(٧)، والصحيح أن نزول القرآن الكريم كان على صفتين: -

---

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) إعراب القرآن - (٣ / ١٩١).

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ١٤٠).

(٤) يوسف: ٢.

(٥) النحل: ١٠٢.

(٦) الدخان: ٣.

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي(١/ ٢٢٨)ط. دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي(١/ ١٤٦-١٥٦)ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ، بحث نزول القرآن والعناية به في عهد الرسول r د.محمد عمر حوية، وبحث نزول القرآن الكريم د.عبدالودود بن مقبول حنيف، والبحثان طبعا ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه(١/ ١٠١-١٧٢)، (١/ ١٧٥-١٨٥)، القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم –دراسة عقدية-لمحمد هشام طاهري (١/ ٥٧٩-٦٠٣) ط.دار التوحيد-الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٦هـ.

الصفة الأولى:-إنزال الله U القرآن جملةً واحدةً من اللَّوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدنيا، وذلك في ليلة القدر، ودليل ذلك ظاهر الآيات التي دلت على إنزاله جملة واحدة في ليلة القدر، وكذلك الآثار الواردة عن السلف عند هذه الآيات وقد ذكر منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أثر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وفي معنى أثر ابن عباس رضي الله عنهما يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(فعلم أن القرآن العربي منزل من الله . . . . . وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى:M ! " # $ % L[١] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب الحوادث ولا ينافي أنه مكتوبٌ في اللوح المحفوظ قبل نزوله.

فإن كونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحفٍ مطهرةٍ بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك وإذا كان قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله)[٢].

الصفة الثانية:-نزوله منجماً على الرسول r في نحو ثلاث وعشرين سنة حسب الوقائع والأحداث من بعثته إلى وفاته عليه الصلاة والسلام، وقد دلت الأدلة على ذلك ومنها قول الله تعالى:M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا L[٣]، وقوله تعالى:M , - . / 0 1 2 3 4 L[٤]، ووقائع نزول القرآن منجماً كثيرة معروفة، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية بطلان عقيدة المخالفين لأهل السنة في القرآن الكريم وذلك عند

---

(١) القدر: ١ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٦).

(٣) الفرقان: ٣٢.

(٤) الإسراء: ١٠٦.

قول الله تعالى:ZM [\ ] ^ _ ` a b L[1] فقال:(والمقصود أن قوله: M p q r s L[2] فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات؛ ولهذا قال السلف: "منه بدأ" أي: هو الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره كما قالت الخلقية، و"منها" أن قوله:M p q r s Lفيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي ^ من العقل الفعال أو غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة، وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله . و " منها " أن هذه الآية - أيضا - تبطل قول من يقول إن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق: إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون إن القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام: الهواء أو غيره أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره: فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول؛ فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا)[3].

ومما سبق يتبين موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لعقيدة السلف في إثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وأنه منزل من عند الله تعالى جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وأن هذا لا ينافي أن يكون سمعه جبريل من الله تعالى ثم نزل به منجما حسب الوقائع.

---

(١) البقرة: ٩٧.

(٢) الأنعام: ١١٤.

(٣) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٢٠)، وانظر:الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ط.الحكومة-مكة المكرمة-١٣٦٩هـ.

ثانيا: إعجازه: -

بيَّن أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى إعجاز القرآن الكريم من وجوه متعددة وذلك عند بيانه لمعنى الآيات التي تتضمن الإعجاز، ومن ذلك قوله: (ليس من متكلم يتكلم بكلام كثير إلا وجد في كلامه اختلاف كثير: إما في الوصف واللفظ، وإما في جودة المعنى، وإما في التناقض، وإما في الكذب، فأنزل جل وعز القرآن وأمر بتدبره لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف من العيوب ولا رذالة في معنى ولا تناقضا ولا كذبا فيما يخبرون به من علم الغيوب وما يسرون)[١].

ونقل عند قول الله تعالى:M j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ٱلۡعَٰلَمِينَ L[٢]: في بيان معنى الآية عن بعض العلماء (-أن- المعنى ما كان لأحد أن يأتي بمثل هذا القرآن من عند غير الله ثم ينسبه إلى الله لإعجازه لرصفه ومعانيه وتأليفه)[٣].

ثم ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى نوعاً من أنواع إعجاز القرآن، وذلك عند قول الله تعالى: M حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ L[٤] فقال:(وهذا من معجز القرآن لأن فيه حذفاً واختصاراً قد دل عليه المعنى والمعنى حتى إذا جاءوا النار وصاروا بحضرتها سئلوا عن كفرهم ومعاصيهم فأنكروها) [٥].

كما بين سبب قول المشركين في قول الله تعالى: M { ~ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ L[٦] بقوله: (إنما فعلوا هذا لما أعجزهم القرآن ورأوا من

---

(١) إعراب القرآن(١/ ٤٧٤ -٤٧٥).

(٢) يونس: ٣٧.

(٣) إعراب القرآن(٢/ ٢٥٥).

(٤) فصلت: ٢٠.

(٥) إعراب القرآن(٤/ ٥٣)، وانظر:(٢/ ١٩٢)و(٢/ ١٤٤)(٤/ ٩٧).

(٦) فصلت: ٢٦.

تدبره آمن به لإعجازه بفصاحته وكثرة معانيه وحسنه ونظمه ورصفه فقالوا إذا سمعتموه يقرأ فخلطوا عليه القراءة بالهزء وما لا يحصل وذلك اللغو لعلكم تغلبونه)[١].

وعنـد قـول الله تعـالى:M . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A L[٢] يقـول:(وكـان مـنهم تعنتـا بعـد ظهـور البراهـين وإقامـة الحجة بالقرآن الذي عجزوا عـن أن يـأتوا بسـورة مثلـه لمـا فيـه مـن الوصـف وعلـم الغيوب)[٣]، ويقول في موضع آخر:(لأن النبي ^ قد تحداهم وهم عرب مثله على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك ولو كان قول البشر لساغ لهم ما ساغ له)[٤].

الدراسة: -

أجرى الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد r معجزات باهرة، وآيات عظيمة دالة على صدقه فيما أرسل به، وأعظم تلك الآيات القرآن الكريم، وقد تحدى الله العرب البلغاء بهذا القرآن بوجوه التحدي، ولكنهم عجزوا عن ذلك، وإعجاز القرآن ثابت من وجوه متعددة، ذكر شيئا منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، وفي بيان تعدد أوجه إعجاز القرآن الكريم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:(بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة من جهة اللفظ ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة ما بين

---

(١) إعراب القرآن (٤/ ٥٩).

(٢) الأنعام: ٣٧.

(٣) إعراب القرآن - (٢ / ٦٥).

(٤) إعراب القرآن - (٥ / ٦٨).

فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة . . . . . وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له)[١].

ومما سبق بيانه يتضح أن أبا جعفر النحاس رحمه الله تعالى قد ذكر بعض الأوجه التي ظهرت له من أوجه الإعجاز، ولم يقصد الحصر بما ذكر، وبه يكون موافقا لأهل السنة والجماعة فيما ذكره.

ثالثا: النسخ في القرآن: -

حكى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى خلاف العلماء في وقوع النسخ في القرآن وأثبت وقوعه بالأدلة، ثم بين أن النسخ لايجوز في الأخبار فقال:(لا يجوزأن يقع نسخ في توحيد الله عزوجل ولا في أسمائه ولا في صفاته، والعلماء يقولون:"ولا في أخباره" ومعناه: ولا في إخباره بما كان وما يكون)ثم علل ذلك بقوله:(والحكمة في هذا أن النسخ إنما يكون في أحكام الشرائع من الصلاة والصيام والحظر والإباحة وقد يجوز أن ينقل الشيء من الأمر إلى النهي ومن النهي إلى الأمر لأنك إذا قلت افعل كذا وكذا محرم عليك سنة جاز أن تبيحه بعد سنة، وإذا قلت: افعل كذا وكذا محرم عليك وأنت لا تريد وقتا أو شرطا فكذا أيضا سواء عليك ذكرته أم لم تذكره فهذا محال في توحيد الله عز و جل وأسمائه وصفاته وإخباره بما كان وما يكون.

ألا ترى أنه محال أن تقول: قام فلان، ثم تقول بعد وقت: لم يقم؛ لأنه لم يقع في الأول اشتراط ولا زمان فالنسخ في الإخبار بما كان وما يكون)[٢].

---

(١) الجواب الصحيح (٥ / ٤٢٨)، وانظر في أوجه إعجاز القرآن الكريم:بيان إعجاز القرآن للخطابي(ص٢٤-٢٧) طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط.دار المعارف-القاهرة-الطبعة الرابعة، إعجاز القرآن للباقلاني(ص٣٣)وما بعدها ت:السيد أحمد صقر-ط.دار المعارف-مصر-الطبعة الثالثة، معترك الأقران للسيوطي(١ /١٤)وما بعدها ت:علي البجاوي ط.دار الثقافة العربية-القاهرة-١٣٨٩هـ، القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم(١ /٣٨١-٤٢٤).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس - (٣ / ١٥٥)وكذا(١ /٤٠٤-٤٠٦).

الدراسة: -

أجمع أهل العلم على عدم وقوع النسخ في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته، وكذا في الأخبار بما كان وما سيكون من الأمور[١].

وفي بيان هذا المعنى يقول ابن عبدالبر رحمه الله:(فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في أخبار الله وأخبار رسوله لأن المخبر بشيء كان أو يكون إذا رجع عن ذلك لم يخل رجوعه عن تكذيبه لنفسه أو غلطه فيما أخبر به أو نسيانه وقد عصم الله ورسوله في الشريعة والرسالة منه وهذا لا يخالف فيه أحد له أدنى فهم فقف عليه فإنه أمر حتم في أصول الدين)[٢].

ويقول ابن القيم رحمه الله:(فإن أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه)[٣].

---

(١) انظر: أصول السرخسي(٢/ ٥٩)، تأليف: محمد بن أحمد السرخسي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه(٦/ ٣٠١٠)، تأليف: علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبذ في أصول الفقه) (١/ ٤٣)، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، قواطع الأدلة في الأصول(١/ ٤٢٣)، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد حسن الشافعي، الفقيه و المتفقه(١/ ٢٩٥)، تأليف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، فهم القرآن ومعانيه(١/ ٢٥٢)، تأليف: الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكندي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول(١/ ٣٢٠)، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري.

(٢) أحكام أهل الذمة - (٢ / ١٠١٧) .

(٣) بدائع الفوائد - (١ / ١٤٨).

رابعا: حفظه:-

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الكلام على حفظ القرآن الكريم عند قول الله تعالى:M فِى لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ L[١] وذلك بقوله:(وقرأ نافع وابن محيصن (في لوحٌ محفوظٌ) بالرفع على أنه نعت لقرآن، أي: بل هو قرآن مجيد محفوظ من أن يغير، ويزاد فيه، أو ينقص منه؛ قد حفظه الله جل وعز من هذه الأشياء، فقد صحت القراءة أيضا بالرفع؛ ولهذا قال كثير من العلماء: من زعم أن القرآن قد بقي شيء منه فهو راد على الله كافر بذلك، والنص الذي لا اختلاف فيه M g h i j k l m L[٢] فنظير هذا محفوظ بالرفع)[٣].

كما أورد أثر سفيان بن عيينة رحمه الله بقوله: (وسئل سفيان بن عيينة كيف غيرت التوراة والإنجيل وهما من عند الله فقال أن الله جل وعز وكل حفظهما إليهم فقال جل ثناؤه M a b c d e f g L[٤] ولم يكل حفظ القرآن إلى أحد فقال:M g h i j k l m L[٥] وما حفظه لم يغير)[٦].

الدراسة: -

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب العظيم، وتكفل سبحانه بحفظه فقال تعالى:M g h i j k l m L[٧] فهو محفوظ بحفظ الله تعالى من الزيادة والنقصان، وقد قال تعالى:M _ ` a b c d e f g h i j k l

(١) البروج: ٢٢.
(٢) الحجر: ٩ .
(٣) إعراب القرآن(٥/ ١٩٦) و(٥/ ٨٣).
(٤) المائدة: ٤٤.
(٥) الحجر: ٩.
(٦) إعراب القرآن (٥/ ٨٣).
(٧) الحجر: ٩.

L p o n m [١] يقول أبو جعفر النحاس:(أي قاهر لا يقدر أحد أن يأتي بمثله)[٢]، ويقول الشيخ السعدي رحمه الله عند هذه الآية:(أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه)[٣].

وفي بيان معنى أثر سفيان بن عيينة رحمه الله في حفظ القرآن -والذي أورده أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى- يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(فإن الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة؛ لأنهم إنما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم لا على المصاحف وهو منقول بالتواتر محفوظ في الصدور ولو عدمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة؛ فإن المسلمين ليسوا كأهل الكتاب الذين يعتمدون على الكتب التي تقبل التغير والله أنزل القرآن على محمد فتلقاه تلقيا وحفظه في قلبه لم ينزله مكتوبا كالتوراة وأنزله منجما مفرقا ليحفظ فلا يحتاج إلى كتاب)[٤].

ويقول أيضاً: (فالمسلمون عندهم نقل متواتر عن نبيهم بألفاظ القرآن ومعانيه المتفق عليها وبالسنة المتواترة عنه .... وأيضا فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظا يستغنون به عن المصاحف ..... والقرآن ما زال محفوظا في الصدور نقلا متواترا، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئا من المصاحف وعرض ذلك على صبيان المسلمين لعرفوا أنه قد غير المصحف لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف وأنكروا ذلك)[٥]،ويقول الذهبي رحمه الله تعالى:(أما القرآن العظيم، سوره وآياته فمتواتر، ولله الحمد، محفوظ من الله تعالى، لا يستطيع أحد أن يبدله ولا

---

(١) فصلت: ٤١ - ٤٢ .

(٢) معاني القرآن - النحاس - (٦ / ٢٧٥) .

(٣) تفسير السعدي - (ص٧٥٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (١٢ / ١٠٠-١٠١) .

(٥) الجواب الصحيح - (٣ / ١٣).

يزيد فيه آية ولا جملة مستقلة، ولو فعل ذلك أحد عمدا لا نسلخ من الدين)[١].

✠ ✠ ✠

---

(١) سير أعلام النبلاء - (١٠ / ١٧١).

المطلب الثاني : باقي الكتب

تمهيد: معنى الإيمان بها: -

يقول الله تعالى واصفا عباده المتقين في مقام المدح لهم:M 6 7 8 9 : ;
< = > ? @ A L[١] ويقول تعالى:M 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
= > ? @ A B C D E F G H I L[٢]
ويقول تعالى:M K L M N O P Q R S T U
V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c d e
f g L[٣] ويقول سبحانه وتعالى: Mوَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ L[٤].

يقول شارح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى:(وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى)[٥].

وقد عرض أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فيما يتعلق بهذا المطلب لأمرين: -

الأمر الأول: بيان المعنى اللغوي للتوراة والإنجيل والزبور: -

١ - المعنى اللغوي للتوراة: -

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في بيان معنى التوراة لغة:(والتوراة من ورى ووريت فقيل توراة أي: ضياء ونور)[٦]،ويقول أيضا:(التوراة مشتقة

---

(١) البقرة: ١ – ٤.

(٢) البقرة: ١٣٦.

(٣) النساء: ١٣٦.

(٤) الشورى: ١٥.

(٥)شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٤٢٤-٤٢٥) .

(٦) معاني القرآن - النحاس - (١ /٣٤١) .

من:ورت زنادي، وأوريتها:استخرجت ضوءها)[١].

الدراسة: -

التوراة أصلها من "ورى"[٢] يقول القرطبي رحمه الله تعالى عن معنى التوراة:(والتوراة معناها الضياء والنور مشتقة من ورى الزند وورى لغتان إذا خرجت ناره. . . . . وقيل: التوراة مأخوذة من التورية، . . . . . . والجمهور على القول الأول لقوله تعالى: M Q R S T U V W X L[٣] يعني التوراة)[٤].

٢- المعنى اللغوي للإنجيل:

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مبينا معنى الإنجيل لغة:(وإنجيل من نجلت الشيء أي: أخرجته، فإنجيل خرج به دارس من الحق . . . . ويقال "نجله أبوه" أي: جاء به. . . . . . ويقال "نجلت الكلاء بالمنجل"، "وعين نجلاء" واسعة وكذا: طعنة نجلاء، وجمع الإنجيل أناجيل)[٥].

ويقول أيضا:(وأما الإنجيل ففي اشتقاقه أوجه:يكون من :نجلت الشيء،أي:أخرجته،...ويقال:هو من تناجل القوم،أي:تنازعوا....فسمي إنجيلا لما وقع فيه من التنازع،لأنه وقع فيه من التنازع ما لم يقع في شيء من كتب الله جل وعز، وقيل سمي إنجيلا لأنه أصل الذي أطلع الله عز وجل خلقه عليه)[٦].

---

(١) صناعة الكتاب(ص١٠٢).

(٢) لسان العرب(١٥/٣٨٦)، المصباح المنير(٢/٦٥٧).

(٣) الأنبياء: ٤٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن(٤/٥).

(٥) معاني القرآن(١/٣٤٣).

(٦) صناعة الكتاب(ص١٠٢).

الدراسة: -

الإنجيل أصله من النجل، ومادة نجل لها معان عدة[١] يجمعها ما ذكره ابن فارس في بيان المعنى اللغوي:(النون والجيم واللام أصلان صحيحان: أحدهما يدل على رمي الشيء، والآخر على سعة في الشيء)[٢].

وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة معان لأصل هذه الكلمة موافقا بذلك ما ذكره أئمة اللغة في المعنى اللغوي لهذه الكلمة.

٤ - المعنى اللغوي للزبور: -

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عن بيان المعنى اللغوي للزبور:(زبرت أي: كتبت وجمعه زبر، ومن قال: زبور، جعله جمع زبر)[٣] .

الدراسة: -

الزبور أصله من زبر وهذه المادة لها معان جمعها ابن فارس في أصلين فقال:(الزاء والباء والراء أصلان: أحدهما يدلُّ على إحكام الشيء وتوثيقه، والآخَر يدلُّ على قراءةٍ وكتابةٍ وما أشبه ذلك). ثم قال في الأصل الثاني:(والأصل الآخر: زَبَرْتُ الكتابَ، إذا كتبتَه. ومنه الزبور. وربَّما قالوا: زبرته، إذا قرأته. ويقولون في الكلمة:"أنا أعرف تزبرتي" أي: كتابتي)[٤].

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلام الناس(١/٧٠-٧١)معجم مقاييس اللغة(٥/٣٩٦)، لسان العرب (١١/٦٤٦ومابعدها)، تاج العروس(٣٠/٤٥٤-٤٥٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٩٦) .

(٣) إعراب القرآن(٣/٨٢-٨٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (٣ /٤٤)،وانظر:الزاهر(١/٧١-٧٢)،تهذيب اللغة (١٣/١٣٥-١٣٦)تاج العروس(١١/٣٩٩-٤٠٠).

الأمر الثاني: اتفاقها في التوحيد واختلافها في الشرائع: -

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(دين إبراهيم الإسلام؛ لأن الإسلام هو التوحيد فهو دين جميع الأنبياء)[١]. وقال في موضع آخر:(لأن الإسلام والإخلاص دين جميع الأنبياء والشرائع مختلفة)[٢]. وقال في اختلاف شرائع الأنبياء:(ودل بهذا على أن شريعة محمد ^ مخالفة لشريعة موسى ^)[٣].

وقد قرر أبو جعفر رحمه الله تعالى أن من كذب رسولا فقد كذب باقي الرسل وذلك عند قول الله تعالى: M J K L M N O P Q R T U V W L[٤] فيقول في بيان معناها:(قيل هذا يوجب أن قوم نوح قد كذبوا غير نوح ^ ، فقيل: من كذب نبيا فقد كذب جميع الأنبياء؛ لأن الأنبياء كلهم يؤمنون بالله جل وعز وبجميع كتبه)[٥].

وعند قول الله تعالى: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a L[٦] يقول:(قال أبو العالية: الذي وصى به نوحا الإخلاص لله، وعبادته لا شريك له. وقال مجاهد: وصى نوحا ووصاك ووصى الأنبياء كلهم دينا واحدا. وقال الحكم: جاء نوح بالشريعة بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، وقال قتادة: جاء نوح بالشريعة بتحليل الحلال، وتحريم الحرام. قال أبو جعفر: قول أبي العالية ومجاهد بيِّن؛ لأن الإسلام والإخلاص دين جميع الأنبياء والشرائع مختلفة) [٧].

---

(١) معاني القرآن - النحاس - (١ /٤١٨) .

(٢) معاني القرآن(٦/ ٢٩٩).

(٣) إعراب القرآن(٢/ ٢٤).

(٤) الفرقان: ٣٧.

(٥)معاني القرآن (٥/ ٢٦) .

(٦) الشورى: ١٣.

(٧)معاني القرآن (٦ / ٢٩٨-٢٩٩).

الدراسة: -

دلت الأدلة المتكاثرة من كتاب الله تعالى على أن دين الأنبياء هو دين الإسلام بمعناه العام الذي لا يقبل الله غيره، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[١] :

قال تعالى عن نوح: M Q R S T U L[٢] وقال عن إبراهيم: M q r s t L[٣] وقال تعالى عنه: M v w x y z { | } ~ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ L[٤].

وقد قال تعالى فيمن تقدم من الأنبياء وعن التوراة: M Q R S T U V X Y Z [\ L[٥].

فالإسلام هو دين الأنبياء جميعا، وهو الاستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره؛ كان مشركا، ومن لم يستسلم له؛ كان مستكبرا، وكل من المشرك والمستكبر عن عبادة الله كافر .

فدين الأنبياء كلهم دين واحد وهو الإسلام العام المشتمل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعلى توحيد الله وإخلاص الدين له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال تعالى: (M \ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t v w x L[٦]، ويقول جل وعلا: M ! " # $ % & ' ( ) * + ,

---

(١) انظر على سبيل المثال: شرح السنة للبغوي (١٣/٢٠٠)، تفسير ابن كثير (٤/٢٨٤)، فتح الباري لابن رجب (١/١٦).

(٢) يونس: ٧٢.

(٣) البقرة: ١٣١.

(٤) البقرة: ١٣٢.

(٥) المائدة: ٤٤.

(٦) البينة: ٤.

- . / L[1].

وأما دليل اختلاف الشرائع فدل عليه قول الله تعالى: M j k l m n L[2] وقول النبي r : **(الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**[3].

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عند هذا الحديث:(فالنبي r شبَّه دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد لاشتراك جميعهم فيه وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم .... وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد r فهو بمنزلة الأب الواحد، وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتى التي كان لقاح تلك الأمهات من أب واحد كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه)[4].

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى:واذكر في الكتاب مريم)برقم(٣٤٤٢، ٣٤٤٣)(ص٥٨٠)، ومسلم(كتاب الفضائل، بابفضائل عيسى عليه السلام) برقم (٦١٣٠) (ص١٠٣٩).

(٤) بدائع الفوائد - (٣ /٧١٩-٧٢٠).

المبحث الثالث:
آراؤه في الإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: النبوة والرسالة.

المطلب الثاني: النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: باقي الأنبياء.

المطلب الأول: النبوة والرسالة.

لقد أرسل الله تعالى رسله إلى الناس لهدايتهم لما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، وأوجب على الناس الإيمان بهم فقال تعالى: M فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ L[(١)].

وقال سبحانه: M K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a b c d e f g L[(٢)] كما بين سبحانه جزاء من لم يؤمن بهم، أو يفرق بينهم في الإيمان بهم فقال: M A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V L[(٣)] وأما معنى الإيمان بالرسل: (فأن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله وتؤمن بأن لله سواهم رسلا وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم وتؤمن بمحمد ^ وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم وإيمانك بمحمد ^ إقرارك به وتصديقك إياه واتباعك ما جاء به)[(٤)] وعند قول الله تعالى: M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z \ ] ^ _ ` a L[(٥)] يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى: (أي: شرع لكم أن تقيموا الله الدين الذي ارتضاه، ولا تتفرقوا فتؤمنوا ببعض الرسل وتكفروا ببعض، فهذا الذي شرع لكم لجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أن يقيموا الدين الذي ارتضاه وهو الإسلام

---

(١) سورة النساء ١٧١.

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) النساء: ٥١.

(٤) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١ / ٣٩٣).

(٥) الشورى: ١٣ .

وأمة محمد ^ مقتدون بهم)[1]، ومما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فيما يتعلق بهذا المطلب:-

أولا: الفرق بين النبي والرسول:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن النبي لابد أن يكون مرسلا وذلك عند قول الله تعالى:M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o q r s L[2].

فقال:(هذه آية مشكلة من جهتين:

إحداهما: أن قوما يرون أن الأنبياء فيهم مرسلون، وغير مرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين. وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبي حتى يكون مرسلا والدليل على صحة هذا قوله جل وعز:M X Y Z [\ ] ^ _ L[3] فأوجب للنبي الرسالة، وإن معنى "نبي" أنبأ عن الله جل وعز، ومعنى أنبأ عن الله جل وعز هو الإرسال بعينه)[4].

وقال في موضع آخر:(وكانت الرسل منها من يأتي بالشرائع والكتب والأحكام نحو محمد ^ ، وموسى، وعيسى، وهؤلاء معصومون، ومنهم من يأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالدين نحو يحيى، وزكريا، عليهما السلام)[5].

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٧٣).

(٢) الحج: ٥٢.

(٣) الحج: ٥٢.

(٤) إعراب القرآن (٣/١٠٢-١٠٣)، وانظر تفسير القرطبي(١٢/ ٨٠).

(٥) معاني القرآن(٢/ ٣٤٠-٣٤١).

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في الفرق بين الرسول والنبي على قولين[١]:

أحدهما: أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو من أوحي إليه وحي وأمر بتبليغه، وقد ضُعِّف هذا القول من جهة ثبوت الإرسال بالنسبة للنبي وذلك في آية الحج:M X Y Z [\ ] ^ _ L[٢]، وحصول الكتمان بعدم البلاغ.

الثاني: أن النبي مرسل إلى قوم موافقين، والرسول مرسل إلى قوم مخالفين.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :(فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول، وأما إذا كان انما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول)[٣].

ويقول العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى:(وآية الحج هذه تبين أن ما أشهر على ألسنة أهل العلم، من أن النَّبي هو من أوحى إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النَّبي الذي أوحى إليه، وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى:M X Y Z [\ ] ^ _ L[٤] يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير واستظهر بعضهم أن النَّبي الذي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النَّبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحى إليه أن يدعو الناس إلى شريعة

(١) انظر: أعلام الحديث للخطابي(١/ ٢٩٨)، المنهاج للحليمي(١/ ٢٣٩)، الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم (ص٣٨٠)، الفصل(٥/ ١١٩-١٢٠)، النبوات لابن تيمية(٢/ ٧١٤)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٥٥)، أضواء البيان للشنقيطي(٥/ ٧٣٥).

(٢) الحج: ٥٢.

(٣) النبوات (٢/ ٧١٤).

(٤) الحج: ٥٢.

رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة)[١].

وبما سبق يتبين أن أباجعفر النحاس رحمه الله تعالى قد وافق القول الراجح في أن النبي مرسل من الله تعالى وأن آية الحج تدل صراحة على ذلك.

ثانيا: عصمة الأنبياء:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى في قصة نبي الله نوح عليه السلام:M > = < ? @ A B C D E F G I J K L M N O L[٢]: (يدل على أن الأنبياء صلوات الله عليهم يذنبون)[٣].

ولما أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الهمَّ الذي ذكره الله تعالى في شأن نبي الله يوسف في قوله تعالى:M > = < @ A B C D E F H I J K L N O P Q L[٤] قال:(الذي عليه أهل الحديث والمتقدمون أنه همَّ بها حتى مُثِّل له يعقوب).

كما نقل قول أبي عبيد رحمه الله بقوله:(قال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد زعم بعض من يتكلم في القرآن برأيه أن يوسف لم يهم بها . . . . وابن عباس رضي الله عنهما ومن دونه لا يختلفون في أنه همَّ بها وهم أعلم بالله وبتأويل كتابه وأشد تعظيما للأنبياء من أن يتكلموا فيهم بغير علم.

قال أبو جعفر: وكلام أبي عبيد هذا كلام حسن بين لمن لم يمل إلى الهوى)[٥]ثم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٥/ ٨٠١-٨٠٢).

(٢) هود: ٤٧.

(٣) إعراب القرآن(٢/ ٢٨٧)وانظر: إعراب القرآن(٢/ ١٦٧)(٣/ ٧٧، ٤٤١)(٣/ ١٠٣-١٠٤)، معاني القرآن(٣/ ٨٢-١١٦)(٤/ ١٨٠، ٤٢٦).

(٤) يوسف: ٢٤.

(٥) معاني القرآن (٣/ ٤١٣).

نقل قول الحسن البصري رحمه الله تعالى:(إن الله جل وعز لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيِّرهم بها ولكنَّه ذكرها لئلا تيأسوا من التوبة)[١].

وعند قول الله تعالى:M z { | } ~ أَنقَضَ ظَهْرَكَ L[٢] يقول: (أهل التفسير يقولون أثقله، فإن قال قائل: كيف وصف هذا الوزر بالثقل وهو مغفور غير مطالب به؟ فالجواب: أن سبيل الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين إذا ذكروا ذنوبهم أن يشتد غمهم وبكاؤهم، فلهذا وصف ذنوبهم بالثقل. قال أبو جعفر: وهذا الجواب عن سؤال السائل لم يغتم الصالحون إذا ذكروا ذنوبهم التي قد تابوا منها وقد علموا أن المغفرة بعد التوبة واجبة. وفي هذا جواب آخر وهو أنهم يخافون أن يكونوا قد بقي عليهم شيء يلزمهم من تمام التوبة)[٣].

ولما أورد قول الله تعالى:M A B C D E F G H I J K M N O P Q R S U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m L[٤] ذكر بعض الآثار في معنى الآية واختلاف السلف فيها، واختار أن الآية في جنس بني آدم ثم قال:(والتقدير على هذا الجنس كله أي: خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، وجعل منها أي: من جنسها زوجها؛ فلما تغشاها على الجنس كله، وكذا دعوا يراد به الجنسان الكافران، ثم حمل، "فتعالى الله عما يشركون" على معنى الجميع فهذا أولى والله أعلم من أن ينسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا)[٥].

ويقول مبينا الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس:(والفرق بين معصية آدم

---

(١) معاني القرآن (٣ /٤١١-٤١٣).

(٢) الشرح: ٢ – ٣.

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ٢٥٢).

(٤) الأعراف: ١٨٩ – ١٩٠.

(٥) معاني القرآن للنحاس - (٣ / ١١٦).

ومعصية إبليس أن إبليس أقام على الذنب وتاب آدم ورجع قال الله جل وعز:M !
" # $ &% ' ( ) * + , L[١][٢].

الدراسة: -

اتفق الناس على عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله تعالى، وفي دعوى الرسالة[٣]، وكذلك على عصمتهم من الكفر بالله تعالى، وأما سائر الذنوب والمعاصي فيقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القولَ)[٤]. والمسألة كثيرة التفريعات ومتفرقة المسالك[٥]، والمقصود بيان أن وقوع الذنوب من الأنبياء قد جاء في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع.

وأما من رد القول بجواز وقوع الذنوب من الأنبياء فيقول عنه ابن قتيبة رحمه الله تعالى: (يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملهم التنزيه

---

(١) الأعراف: ٢٣.

(٢) معاني القرآن للنحاس - (٣ / ٢٢).

(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة(٤٠٢-٤٠٦)ت:أحمد صقر-ط.دار التراث-القاهرة - الطبعة الثانية١٣٩٣هـ، الشفا(٢/ ١٤٤)، الفصل(٤/ ٥)، عصمة الأنبياء للرازي(٢٦-٣٦)، شرح صحيح مسلم للنووي(٥/ ٥٣-٥٥)، مجموع الفتاوى(١٠/ ٢٨٩-٢٩٣)(١٥/ ١٤٧-١٤٨)، منهاج السنة(١/ ٤٧٠)، لوامع الأنوار البهية(٢/ ٣٠٣-٣٠٥)، أضواء البيان للشنقيطي(٤/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى - (٤ /٣١٩) .

(٥) انظر:بحث عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أ.د يوسف بن محمد السعيد(طبع ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (٢٨/ ١٣-٥٧)، مسائل أصول الدين المبحوثة في أصول الفقه لخالد عبداللطيف(١/ ٦٣٨ وما بعدها).

لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله جل ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مبينا أن الأنبياء لم يستمروا على معاصيهم ويصروا عليها:(وهو سبحانه وله الحمد لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر معه توبته لينزهه عن النقص والعيب ويبين أنه ارتفعت منزلته وعظمت درجته وعظمت حسناته وقربه إليه بما أنعم الله عليه من التوبة والإستغفار والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ذلك وليكون ذلك أسوة لمن يتبع الأنبياء ويقتدي بهم إلى يوم القيامة)[٢].

***

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص٤٠٢).

(٢) منهاج السنة النبوية - (٢ / ٤١١).

المطلب الثاني: النبي محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في هذا المطلب ما يتعلق بدلائل نبوة نبينا محمد r ، وفي ضمن ذلك وجوب الإيمان به وبرسالته .

دلائل نبوته r :-

لقد بعث الله جل وعز الرسل إلى أقوامهم، وأقام الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة معهم والدالة على صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله؛كي تقوم الحجة على الناس، وأفراد الأدلة الدالة على صدق كل رسول كثيرة ومتنوعة، وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى دلائل عدة هي:-

١- (من علامات نبوته ^ أنَّه شُدِّد على الشياطين في استماعهم من السماء ورُموا بالشهب)[١].

٢-ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى قول الله تعالى:M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > L[٢] بقوله:(أي: يميلونها إلى ما في قلوبهم ويطعنون في الدين أي يقولون لأصحابهم لو كان نبيا لدرى أنا نسبه فأظهر الله جل وعز النبي ^ على ذلك وكان من علامات نبوته)[٣].

---

(١) إعراب القرآن (٥/ ٤٨)وانظر:دلائل النبوة للبيهقي ط. دار الكتب العلمية بيروت(١/ ٢٣٤-٢٣٩)، الروض الأنف (١/ ٣٥٥-٣٥٦)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (١/ ١٦٨)، تأليف: سليمان بن موسى الأندلسي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد كمال الدين علي، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون(١/ ٣٣٥)، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠ هـ، الخصائص الكبرى للسيوطي(١/ ١٨٤)، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ.

(٢) النساء: ٤٦.

(٣) إعراب القرآن (١/ ٤٦١).

٣- في قول الله تعالى:M ^ _ ` a L[١] بين أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى(a) أنه:(المنقطع الذكر من الخير لا أحد يقوم بدينه ولا يذكره بخير، فكان هذا من علامات نبوته ^ أنه خبر بما لم يقع فكان كما أخبر به)[٢].

٤- ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M T U V W X Y Z [\ ] _ ` a L[٣] أنه سبحانه:(جعل هذا دليلا على نبوته؛ لأنه لا يكتب، ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل الكتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم وزالت الريبة والشك بهذه الأشياء)[٤].

٥- بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته؛ لأن الله جل وعز خلقهم خلقا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم، وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلى الله عليهم وسلم)[٥].

٦- بين أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى قول الله تعالى:M (* + , - L[٦] فقال في معنى الآية:(أي لا يصل اليها ولا يسمع شيئا من الوحي إلا مسارقة، وكان هذا من علامة نبوة محمد r ولا نعلم أحدا من

---

(١) الكوثر: ٣.

(٢)إعراب القرآن(٥/ ٣٠٠)،دلائل النبوة للبيهقي(٢/ ٧٠)، الروض الأنف(١/ ١٨١-١٨٢).

(٣) العنكبوت: ٤٨ .

(٤) الخصائص الكبرى(٢/ ٤٠٨).

(٥) إعراب القرآن(٢/ ١٢١)،وانظر:تفسير القرطبي(٧/ ١٨٦)،روح المعاني(٨/ ١٠٥)،فتح القدير للشوكاني(٢/ ٢٨٨) فتح القدير (٢ / ٢٨٨)وقال:(وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة وليس في الآية ما يدل على ذلك وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه وليس فيها أنا لا نراه أبدا فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقا)،ويقول شيخ الإسلام:(وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال ؛ بل قد يراهم الصالحون وغير الصالحين أيضا ؛ لكن لا يرونهم في كل حال) مجموع الفتاوى (١٥ / ٧).

(٦) الحجر: ١٧.

الشعراء شبه شيئا بسرعة الكواكب إلا في الإسلام)[١].

٧- في قـــول الله تعـــالى:M g h i j k l m n o p q L[٢] يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(وجاء التوقيف عن أهل التفسير منهم ابن عباس، وسعيد بن المسيب، أن الظالم ههنا "عقبة بن أبي معيط" وأن خليله "أمية بن خلف"؛ فعقبة قتله علي بن أبي طالب t وأمية قتله النبي ^ ، فكان هذا من دلائل النبي ^ ؛ لأنه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر، ولم يسميا في الآية لأنه أبلغ في الفائدة ليعلم أن هذه سبيل كل ظالم قبل من غيره في معصية الله جل وعز)[٣].

٨- لما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول الله تعالى في سورة الروم:M { ~ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ L[٤]قال:(وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد ^ ، لأن الروم غلبتها فارس فأخبر الله جل وعز أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله جل وعز به مما لم يكن وأمر أبا بكر t أن يراهنهم على ذلك)[٥] .

٩- أوضـــح أبـــوجعفر النحـــاس أن قـــول الله تعـــالى:M P Q R S T U L[٦]: (فيه احتجاج على -المشركين- لنبوة محمد ^ ، لأن معناه أن الله جل وعز يزيل الباطل ولا يثبته؛ فلو كان ما جاء به محمد ^ باطلا لمحاه الله جل وعز، وأنزل كتابا على غيره، وهكذا جرت العادة في جميع المفترين أن الله

(١) معاني القرآن (٤ / ١٦)، وانظر: دلائل النبوة للبيهقي(٢ / ٢٣٤).

(٢) الفرقان: ٢٧.

(٣) إعراب القرآن (٣/ ١٥٨)، وانظر: تفسير الطبري(١٩ / ٢٦٢-٢٦٣)الاكتفاء(١ / ١٦٢).

(٤) الروم: ٢ – ٣.

(٥) إعراب القرآن(٣/ ٢٦١) وانظر: تفسير الطبري (٢٠ / ٦٨).

(٦) الشورى: ٢٤.

سبحانه يمحو باطلهم بالحق والبراهين والحجج)[١] .

١٠- ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بعضا مما أخبر به النبي r أنه سيكون فكان كما أخبر وذلك عند قول الله تعالى:Mفَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ´ L[٢] فقال في معناها:(أي فاتعظوا واستدلوا على صدق النبي ^ بأن الله جل وعز ناصره لما يريكم في أعدائه وبصدق ما أخبركم به . . . . فقد قيل إن النبي ^ خبرهم بهذا أنه يكون فكان على ما وصف فيجب أن تعتبروا بهذا وغيره.

كذا قوله ^ لعمار:**(تقتلك الفئة الباغية)**[٣] .

وقوله عليه السلام لعلي بن أبي طالب t يوم كتب من محمد رسول الله فساموه محوها فاستعظم ذلك علي t ، فقال له النبي ^ : **(إنك ستسام مثلها)** فكان ذلك على ما قال. . . . . فهذا كله مما يعتبر به وقال جل وعز:M Z] [\ L[٤] فعصمه حتى مات على فراشه[٥].

الدراسة: -

اقتضت حكمة الله تعالى أن لايرسل رسولا إلا ويؤيده بالآيات والدلائل الواضحة الدالة على صدقه وصحة نبوته كما قال تعالى:M i j k l m n p q r s t u v w x y z | } ~ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ L[٦]،وقال تعالى:M ! " # $ L[٧]

---

(١) إعراب القرآن (٤/ ٨١).

(٢) الحشر: ٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الفتن، باب باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلاَءِ.)برقم(٧٣٢٢) (ص١٢٦٢).

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) إعراب القرآن - (٤ /٣٨٦) .

(٦) الأعراف: ١٠١.

(٧) الحديد: ٢٥.

أي:بـالمعجزات البينـة،والشرائع الظاهرة،والعلامـات الواضـحة التـي تـدل عـلى صدقهم،وقال النبي r : **(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)**[١]، ودلائل النبوة التي أعطاها الله تعالى لرسله تختلف من نبي لآخر،وهي على معتقد أهل السنة والجماعة ليست محصورة في المعجزات،ولا مختصة بوقت معين،ولا تكون مقرونة بالتحدي فحسب، و لقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أدلة تدل على نبوة نبينا محمد ^ ، فذكر شيئا مما كان قبل الوحي، وبعد أن أوحي إليه، وبعد وفاته r ، ولإيضاح هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبيل مولده وبعد مماته لا تختص بحياته فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام)[٢]ويقول أيضا:(فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم وما يكون بعد موتهم فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان ولا يكون هذا الدليل إلا من جنس لا يقدر عليه الإنس كلهم ولا الجن فلا بد أن يكون جنسه معجزا أعجز الانس والجن)[٣].

ودلائل نبوة نبينا r كثيرة جدا وقد أوصلها بعض أهل العلم إلى ثلاثة آلاف[٤]، وألفت في ذلك مؤلفات مستقلة[٥].

---

(١) أخرجه البخاري:(كتاب فضائل القرآن،باب كيف نزول الوحي وأول ما أنزل)،ومسلم: (كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد r).

(٢) الجواب الصحيح - (٦ / ٣٨٠).

(٣) النبوات(٢/٧٩٤-٧٩٥) .

(٤) فتح الباري(٦/٥٣٨).

(٥) من تلك المؤلفات المطبوعة:دلائل النبوة للفريابي، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أعلام النبوة للماوردي، دلائل النبوة للبيهقي.

المطلب الثالث: باقي الأنبياء

لقد ذكر الله تعالى في مواضع متعددة من كتابه قصصا كثيرة لأنبيائه ورسله، وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الكلام عن بعض الأنبياء إجمالا حسب ما ذكر الله تعالى عنهم في كتابه[١]، وأما ما ذكره من مسائل عقدية متعلقة بهذا المطلب فهي:

مسألة المختلف في نبوتهم:-

لقد تطرق أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى لعدد ممن جرى الخلاف بين أهل العلم في نبوتهم ومنهم:-

١ - لقمان:

يرى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدم نبوة لقمان فقال:(وزعم عكرمة أن لقمان كان نبيا، وفي الحديث أنه كان حبشيا)[٢]، وحكى في موضع آخر قول مجاهد في معنى الحكمة التي أوتيها لقمان فقال:(قال مجاهد: الحكمة التي أوتيها العقل، والفقه، والصواب في الكلام من غير نبوة)[٣].

الدراسة: -

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز خبر لقمان، وأنه آتاه الحكمة فقال تعالى: M !

L 4 3210/ . - , + *) ' & % $ # "

.[٤]

---

(١) معاني القرآن (١/ ١٦٠، ٢٩٨، ٤٠٤)(٢/ ٢٢٤، ٢٤٠)، إعراب القرآن (٢/ ٢٤، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٦٧، ٢٧٦) .

(٢) إعراب القرآن - (٣ /٢٨٣).

(٣) معاني القرآن(٥/ ٢٨١).

(٤) لقمان: ١٢ .

وقد اختلف السلف فيه هل كان نبيا أم رجلا صالحا حكيما[(١)]؟

فجمهور السلف على أنه كان رجلا صالحا من غير نبوة، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بعد أن ساق آثارا عدة عن الصحابة والتابعين في كونه عبدا صالحا:(فهذه الآثار منها ما هو مُصرَّح فيه بنفي كونه نبيا، ومنها ما هو مشعر بذلك؛ لأن كونه عبدًا قد مَسَّه الرق ينافي كونه نبيا؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا، وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة -إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وَكِيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال: كان لقمان نبيًا. وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي[(٢)]، وهو ضعيف، والله أعلم)[(٣)].

ومما سبق يتبين أن ما اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من كون لقمان عبدا صالحا لانبيا قد وافق فيه جماهير السلف.

٢-ذو القرنين:

رجح أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن ذا القرنين كان عبداً صالحاً فحسب ولم يكن نبيا، فقد أورد ما روى ابو الطفيل أن ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً أو ملكاً فقال: لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه ونصح الله فنصحه الله ضرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات ففيكم مثله) ثم قال: (وهذا أجل

---

(١) انظر:تفسير الطبري(٢٠/١٢٤-١٢٦)، تفسير القرطبي(١٤/٥٨-٦٠)، تفسير ابن كثير(٦/٣٣٣-٣٣٥)، شرح صحيح مسلم للنووي(٢/١٤٤)، فتح الباري لابن حجر(٦/٤٦٦)، البداية والنهاية لابن كثير(٢/١٢٧).

(٢) هو: جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله، روى عن وعكرمة وعطاء وجماعة، رافضي نسب إليه القول بالرجعة،وقد اختلف أهل العلم في حاله اختلافا كثيرا، توفي سنة ١٢٨هـ . انظر في ترجمته:شرح مسلم للنووي(١/١٠١)تهذيب التهذيب(٢/٤١-٤٢).

(٣) تفسير ابن كثير - (٦ / ٣٣٤) .

إسناد روي في تسميه بذي القرنين)[١].

واستشكل في موضع آخر كون الخطاب من الله تعالى لذي القرنين في قوله تعالى:M / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; = > ? @A B C D E F G L[٢] قال:(ولم يصح أن ذا القرنين نبي فيقول الله قلنا يا ذا القرنين)[٣]، ثم ذكر الجواب عن هذا الاستشكال بقوله: (يجوز أن يكون الله جل وعز خاطبه على لسان نبي في وقته)[٤].

الدراسة: -

يقول الله تعالى مخبرا عن ذي القرنين:M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ! " #$ % & ' ( ) * + , - L[٥].

وقد اختلف أهل العلم فيه من جهة اسمه، وعصره، ونبوته، كما اختلف في نبوته على أقوال ثلاثة[٦] هي: -

القول الأول: أنه ملك من الملائكة، وهذا مروي عن عمر t .

القول الثاني: أنه نبي من الأنبياء، وهو مروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

القول الثالث: أنه عبد صالح مكنه الله تعالى حتى ملك الأرض.

وكل قول قد قال به بعض السلف، والذي عليه جمهور أهل العلم أنه لم يكن نبيا، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[٧]. وبما سبق بيانه يتبين أن

---

(١) معاني القرآن - النحاس - (٤ /٢٨٣)، وقد صححه ابن حجر في فتح الباري(٦/ ٢٨٣).

(٢) الكهف: ٨٦.

(٣) معاني القرآن - النحاس - (٤ /٢٨٩).

(٤) إعراب القرآن (ص٥١٧) الطبعة الأولى الجديدة-١٤٢٦هـ في مجلد واحد.

(٥) الكهف: ٨٣ – ٨٥.

(٦) تفسير الطبري(١٨/ ٩٣)، تفسير البغوي(٥/ ١٩٧-١٩٨)، تفسير القرطبي(١١/ ٤٥-٤٦)، تفسير ابن كثير(٥/ ١٨٩)، البداية والنهاية(٢/ ١٢٢-١٢٣)، فتح الباري(٦/ ٢٨٢-٢٨٣).

(٧) تفسير البغوي(٥/ ١٩٧-١٩٨)، الرد على البكري (١/ ١٥٧)، تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، =

ما اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من القول بعدم نبوة ذي القرنين قد وافق فيه جماهير أهل العلم.

٣-إخوة يوسف u :-

الذي يظهر من صنيع أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى أنه يرى القول بنبوة إخوة يوسف u وذلك في قوله:(قال هارون: سألت أبا عمرو بن العلاء رحمه الله كيف قالوا ونلعب وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذ أنبياء،....... وأما حجة أبي عمرو أنهم لم يكونوا يومئذ أنبياء فلا يحتاج إلى ذلك لأنه ليس باللعب الصاد عن ذكر الله جل وعز)[١].

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في نبوة إخوة يوسف على قولين هما:-

القول الأول: أنهم أنبياء، وبنى أصحابه قولهم على أنهم الأسباط المذكورون في قول الله تعالى:M 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q L[٢]وفي قوله تعالى:M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L[٣].

القول الثاني: أنهم ليسوا بأنبياء، و هذا ما رجحه غير واحد من المحققين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الذي يدل عليه القرآن واللغة والاعتبار أن

= دار النشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - ١٤١٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد علي عجال.

(١) معاني القرآن (٣ /٤٠٢) وانظر: (٣/٤٣٩).

(٢) البقرة: ١٣٦.

(٣) النساء: ١٦٣.

إخوة يوسف ليسوا أنبياء، وليس في القرآن ولا عن النبي ^ بل ولا عن أصحابه خبر بأن الله تعالى نبأهم . وإنما احتج به من قال إنهم نبئوا بقوله في آيتي البقرة والنساء "والأسباط" وفسر الأسباط بأنهم أولاد يعقوب ، والصواب أنه ليس المراد بهم أولاده لصلبه بل ذريته ، كما يقال فيهم أيضا (بنو إسرائيل) وكان في ذريته الأنبياء، فالأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من بني إسرائيل........ثم إن القرآن يدل على أنه لم يأت أهل مصر نبي قبل موسى سوى يوسف لآية غافر، ولو كان من إخوة يوسف نبي لكان قد دعا أهل مصر وظهرت أخباره)(١).

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:(واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق(يعني: سياق قصتهم) يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر. ويحتاج مُدّعي ذلك إلى دليل)(٢).

والذي يترجح -والله أعلم- القول بعدم نبوة إخوة يوسف u لقوة أدلة هذا القول، وإجابة أصحابه عن أدلة القول الآخر.

٤ -ذو الكفل: -

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول أبي موسى الأشعري t بقوله: (قيل: ذو الكفل لأنه كفل بعمل رجل صالح كان يصلي في كل يوم مائة صلاة فأثنى الله جل وعز عليه بحسن كفالته، ولم يكن نبيا)(٣) .

---

(١) جامع المسائل، المجموعة الثالثة(٢٩٧-٢٩٩)ت: محمد عزيز شمس، ط:عالم الفوائد-الثانية١٤٢٧ هـ

(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٧٢).

(٣) معاني القرآن (٦ / ١٢٥)، والأثر أورده الطبري في تفسيره(١٨/ ٥١٠).

الدراسة: -

ذكر الله جل وعز في كتابه ذا الكفل في قوله تعالى: M M N O P R S T L[1] وقوله تعالى: M S T U V W Y Z [L[2].

وقد اختلف أهل العلم في القول بنبوته[3] على قولين هما: -

القول الأول: أنه نبي، وهذا هو قول أكثر أهل العلم، ودليلهم أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء - في الآيتين السابقتين - أورد ذكره معهم مما يدل على أنه نبي من الأنبياء.

القول الثاني: أنه ليس بنبي، واستدلوا بما ورد عن بعض الصحابة والتابعين من القول بعدم نبوته كأبي موسى الأشعري ومجاهد.

والذي يترجح -والله أعلم- القول بنبوته، يقول الألوسي رحمه الله تعالى: (وظاهر نظم ذي الكفل في سلك الأنبياء عليهم السلام أنه منهم وهو الذي ذهب إليه الأكثر)[4]، وهذا خلاف ما يظهر من ترجيح أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في هذه المسألة.

---

(١) الأنبياء: ٨٥.

(٢) ص: ٤٨.

(٣) انظر في المسألة: تفسير الطبري(١٨/ ٥٠٧-٥١٠)، تفسير البغوي(٥/ ٣٤٩)، تفسير القرطبي (١١/ ٣٢٨)، تفسير ابن كثير(٥/ ٣٦٣)، تفسير الألوسي(١٢/ ٤٩٩).

(٤) تفسير الألوسي (١٢ / ٤٤٩).

الفصل الرابع:
آراء أبي جعفر النحاس في الإيمان باليوم الآخر والقدر

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: آراؤه في الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: آراؤه في الإيمان بالقدر.



المبحث الأول:
آراؤه في الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب: -

المطلب الأول: أشراط الساعة .

المطلب الثاني: الحياة البرزخية .

المطلب الثالث: الحياة الآخرة .

المطلب الأول: أشراط الساعة

أولا: معناها:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مبينا معنى أشراط الساعة بأنها:(جمع شرط أي: علاماتها)[١].

ويقول: (قال محمد بن يزيد-المبرد-:" وإنما قيل شُرَط لأن لهم علامات وهيئات")[٢].

كما بين معنى الساعة بأنها التي تقوم فيها القيامة[٣].

الدراسة: -

الأشراط في اللغة هي العلامات؛ يقول ابن فارس رحمه الله:(الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة)[٤]، ويقول ابن الأثير رحمه الله:(الأشراط: العلامات، واحدها شرط بالتحريك، وبه سميت شرط السلطان؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها)[٥].

فتبين مما سبق أن الأشراط في اللغة هي علامات الشيء المتقدمة عليه والدالة عليه.

والساعة في الأَصل تطلق بمعنيين:

أَحدهما: أَن تكون عبارة عن جزء من أَربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة.

---

(١) إعراب القرآن(٤/ ١٨٥).

(٢) إعراب القرآن(٤/ ١٨٥).

(٣) إعراب القرآن(٤/ ٢٨٥)، و(٢/ ١٦٦)(٣/ ٣٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر(٣/ ٢٣٥)لابن الأثير ت:عبدالسلام علوش، ط.الرشد-السعودية-الأولى-١٤٢٢هـ.

والثاني: أَن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أَو الليل يقال جلست عندك ساعة من النهار أَي وقتاً قليلاً منه[١].

والمراد بها هنا: يوم القيامة، واختلف في سبب تسميته بذلك فقيل:(إشارة إلى أنها ساعة خفيفة يقع فيها أمر عظيم، وقيل: سميت ساعة لوقوعها بغتة، أو لطولها، أو لسرعة الحساب فيها، أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس)[٢]

وأشراط الساعة اصطلاحا: هي العلامات التي تسبق يوم القيامة وتدل على قدومها[٣].

ثانيا: الأشراط الصغرى:-

١ - بعثته r :-

نقل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا L[٤] ما نصه:(بعث النبي r من علاماتها؛ لأنه لا نبي بعده إلى قيام الساعة، وقد قال r : **(بعثت أنا والساعة كهاتين)**[٥].

ويقول عند قول الله تعالى: M ! " # L[٦]: (ويجوز أن يكون المعنى: وإن محمدا r لعلم للساعة لأنه خاتم النبيين)[٧].

(١) لسان العرب - (٨ / ١٦٩).

(٢) فتح الباري (١١ /٣٨٩).

(٣) أشراط الساعة د.عبدالله الغفيلي (ص٣٧) .

(٤) محمد: ١٨.

(٥) أخرجه البخاري:(كتاب الرقاق، باب قول النبي ^ (بعثت أنا والساعة كهاتين) (برقم:٦٥٠٣، ٦٥٠٤، ٦٥٠٥) (ص١١٢٧)، ومسلم(كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قرب الساعة (برقم: ٧٤٠٣-٧٤٠٨)(ص١٢٨٠).

(٦) الزخرف: ٦١.

(٧) معاني القرآن(٦ / ٣٨١).

الدراسة: -

أخبر رسول الله r أن بعثته علامة من علامات الساعة[(١)] ودليل على قرب قيامها، حيث إنه r خاتم النبيين ولا نبي بعده .

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة عنه عليه الصلاة والسلام، منها حديث أبي هريرة t قال: (رأيت رسول الله r قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام (**بعثت أنا والساعة كهاتين**)، فهو r خاتم النبيين وآخر المرسلين ولا نبي بعده، قال القرطبي - رحمه الله - مبينا أول أشراط الساعة: (أولها النبي r، لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي .

ومن أسمائه r الحاشر الذي يحشر الناس يوم القيامة على قدمه، يعني أن بعثهم وحشرهم يكون عقب رسالته، فهو مبعوث بالرسالة وعقيبه يجمع الناس لحشرهم والعاقب الذي جاء عقيب الأنبياء كلهم وليس بعده نبي، فكان إرساله r من علامات الساعة)[(٢)] .

٢- موته r :-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(قال الحسن: موت النبي r من علاماتها)[(٣)] .

---

(١) انظر:التذكرة للقرطبي(٢/٣٥٦-٣٥٧)ت:أحمد حجازي-ط.دار الجيل-لبنان-١٤٠٦هـ، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لصديق خان القنوجي (٥٤-٥٦)ت:بسام الجابي، ط.دار ابن حزم-الأولى-١٤٢١هـ، القيامة الصغرى أد.عمر الأشقر(ص١٤٥)ط.دار النفائس –الثالثة عشر-١٤٢٣هـ، أشراط الساعة ليوسف الوابل (٨٠-٨١)ط.دار ابن الجوزي-الطبعة الحادية والعشرون -١٤٢٥هـ، أشراط الساعة د.عبدالله الغفيلي(ص٤٧) ط.وزارة الشؤون الاسلامية١٤٢١هـ.

(٢) التذكرة(٢/٣٥٦)، وانظر: فتح الباري لابن رجب(٣/١٤٧-١٤٨).

(٣) إعراب القرآن(٤/١٨٥) والأثر لم أقف على من أخرجه.

الدراسة: -

إن من أشراط الساعة:موته r ، وذلك فيما ثبت في الصحيح من حديث عوف ابن مالك t قال:قال رسول الله r : **(اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي... ....)** الحديث[١].

٣- إلقاء الأرض كنوزها:-

أورد أبو جعفر النحاس عند قول الله تعالى:M - . / L[٢] ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن المعنى " بحثرت" ثم قال:(وتأوله الفراء[٣] على أن الأرض بحثرت فألقت ما فيها من الكنوز والموتى، واحتج بالحديث:(تلقي الأرض أفلاذ كبدها...) قال أبو جعفر: وهذا غلط، وليس في القرآن "وإذا الأرض" وفيه خصوص القبور وتلقي أفلاذ كبدها لا اختلاف بين أهل العلم أنه في آخر الزمان وليس هو يوم القيامة)[٤].

الدراسة: -

من علامات الساعة التي أخبر بها نبينا r إخراج الأرض فلذات أكبادها، وذلك بقوله: **(تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا)**[٥] .

واختيار أبي جعفر النحاس أن ما جاء في هذا الحديث ليس تفسيرا لآية

---

(١) أخرجه البخاري برقم٣١٧٦: كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر برقم (ص٥٢٩).

(٢) الانفطار: ٤.

(٣) معاني القرآن للفراء(٣/٢٤٣)ط.عالم الكتب-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٤٠٠هـ.

(٤) إعراب القرآن (٥ / ١٦٧).

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح(كتاب الزكاة، باب التَّرْغِيبِ فِى الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لاَ يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا) (برقم٢٣٤١)(ص٤٠٨).

الانفطار هو الصواب، وذلك أن ظاهر الآية في بيان خراب الدنيا، وأنها خاصة بالقبور، وما جاء في الحديث هو عام في الأرض، وهو في آخر الزمان قبل يوم القيامة [١].

ثالثاً: الأشراط الكبرى: -

١ - خروج المسيح الدجال:

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في شأن خبر الدجال حديث:(عبادة بن الصامت عن رسول الله r قال: (**إني حدثتكم عن المسيح الدجال حتى خفت ألا تعقلوه إنه قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين اليسرى، ليست بناتئة ولا جحرا، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، إنكم لن تروا ربكم جل ثناؤه حتى تموتوا**)[٢] .

كما وضح معنى كونه مسيحا بما نقله عن أبي عبيد: (وأما قولهم "المسيح الدجال" فإنما سمي مسيحا لأنه ممسوح إحدى العينين فهو مسيح بمعنى ممسوح كما يقال "قتيل" بمعنى مقتول)[٣].

وحكى ما ذكره الإمام محمد بن يحيى الذهلي رحمه الله تعالى بقوله:(وأن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ^ في رؤية الرب في القيامة، والقدر،

---

(١) وممن ارتضى هذا القول: الرازي في التفسير(٣١/ ٧١)ط.دارالكتب العلمية ببيروت-الأولى-١٤٢١هـ.

(٢) أخرجه أحمد(٣٧/ ٤٢٣)، وأبوداود:كتاب الملاحم، باب خروج الدجال(٤/ ١٩٨) برقم(٤٣٢٢)، والحديث صححه الألباني انظر: مشكاة المصابيح(٣/ ١٩١)برقم٥٤٨٥، إعراب القرآن (٥ / ٨٥).

(٣) معاني القرآن(٢/ ٣٤٣).

والشفاعة، وعذاب القبر، والحوض، والميزان، والدجال ....ونحوها من الأحاديث والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم ولم يعرفوا تفسيرها فعليهم الإيمان بها والتسليم)[١].

الدراسة: -

إن من أشراط الساعة الكبرى خروج الدجال[٢]، وقد تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله r ومنها: حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال:(اطلع علينا رسول الله r ونحن نتذاكر الساعة فقال: " ما تذاكرون " ؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال، والدابة . . .)**[٣] .

ومنها حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال: **(بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال . . .)**[٤] .

وفيما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من حديث عبادة بن الصامت t دلالة على شيء من أوصاف الدجال الكثيرة، وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرة ليس هذا محل بسطها.

وأما ما ذكر في سبب تسميته بالمسيح؛ فقد ذكر القرطبي رحمه الله تعالى الاختلاف في سبب تسميته بالمسيح فقال:(واختلف في لفظة المسيح لغة على ثلاثة

---

(١) إعراب القرآن - (٥ / ٨٨)

(٢) انظر: القناعة(١٠-٤٦)، الإشاعة(٢٣٢-٢٦٧)، الإذاعة(١٨٨-١٩٦)، إتحاف الجماعة(٣/٥-٩٠)، أشراط الساعة ليوسف الوابل(٢٧٥-٣٣٣)، أشراط الساعة د.عبدالله الغفيلي(٩٣-١١١)

(٣) أخرجه مسلم (برقم٧٢٨٥)(كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة)(ص١٢٥٦)

(٤) أخرجه مسلم (برقم٧٣٩٨)(كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية أحاديث الدجال)(ص١٢٧٩)

وعشرين قولا)[١] ثم ذكر من الأقوال مما يوافق ما ذكره أبو جعفر النحاس فقال: (القول السابع عشر: قيل سمي الدجال مسيحا لأن المسيح الذي لا عين له و لا حاجب قال ابن فارس: و المسيح أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له و لا حاجب ولذلك سمي الدجال مسيحا)[٢].

وهذا الذي اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من سبب تسميته بالمسيح قد ارتضاه بعض أهل العلم، يقول ابن الأثير رحمه الله تعالى:(سمي الدجال مسيحا، لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول)[٣].

٢ - نزول عيسى عليه السلام:

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أدلة على هذه العلامة وهي:-

أولا:- قوله تعالى:M ! " # L[٤].

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في معنى الآية: (يعلم بنزول عيسى أن الساعة قد قربت)[٥].

ثانيا: قوله تعالى:M p q r s t u v w x L[٦] يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأقوال في معنى الآية:(وهذه الأقوال غير متناقضة لأنه يتبين عند موته الحق فيؤمن حين لا ينفعه الإيمان)[٧].

---

(١) التذكرة (٢/ ٤١٥).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢/ ٤١٥-٤١٨).

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٤/ ٢٠٣)، لوامع الأنوار البهية(٢/ ١٠٠).

(٤) الزخرف: ٦١.

(٥) معاني القرآن(٦/ ٣٨١).

(٦) النساء: ١٥٩.

(٧) معاني القرآن - (٢ / ٢٣٧).

ثم نقل اختيار ابن جرير رحمه الله في معنى الآية بقوله:(قال محمد بن جرير: أولى هذه الأقوال بالصواب والصحة قول من قال: تأويل ذلك إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وأن ذلك في خاص من أهل الكتاب ومعني به أهل زمان منهم دون أهل كل الأزمنة التي كانت بعد عيسى، وأن ذلك عند نزوله ولم يجر لمحمد في الآيات التي قبل ذلك ذكر)[١]، وقد نصر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى هذا القول بقوله:(ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير، رحمه الله هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة)[٢].

ثالثا: - أورد حديث أبي هريرة **t** بقوله:(وصح عن النبي **r** أنه قال: لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية....... الحديث)[٣] .

رابعا: - أورد قول أبي هريرة **t** عند قول الله تعالى:M ` a b c d e f g h i j k l m L[٤] فقال:(قول أبي هريرة في هذا: أنه يكون إذا نزل المسيح **r** وصار الدين كله دين الإسلام)[٥].

---

(١) معاني القرآن (٢ / ٢٣٧) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٤٥٤).

(٣) أخرجه مسلم:(كتاب الإيمان، باب نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - ^) (برقم٣٩١) (ص٧٨).

(٤) الصف: ٩.

(٥) إعراب القرآن (٤ /٤٢٢).

الدراسة: -

إن من أشراط الساعة الكبرى نزول عيسى بن مريم[(١)] u ، وقد جاءت بذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شيئا من تلك الأدلة.

ثم إن الأحاديث قد تواترت بنزوله آخر الزمان، وأجمعت الأمة على القول بموجبها[(٢)].

٣- الدخان:

حكى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الخلاف في الدخان الوارد في قول الله تعالى:M c d e f g h L[(٣)].

فذكر ماروي عن علي بن أبي طالب t قال:(آية الدخان لم تمض بعد وستكون؛ يأتي دخان يصيب المؤمنين الزكام وينقد الكافر)[(٤)].

ثم ذكر القول الثاني بقوله:(وروى الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: جلس رجل فقال: إن الدخان لم يكن وإنما يكون يوم القيامة يأخذ المؤمنين منه مثل الزكام ويشتد على الكافرين والمنافقين فدخلنا على عبد الله بن مسعود t وهو متكئ فحكينا له ما قال فقام فجلس مغضبا وقال: إذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقل: لا علم لي به؛ فإن الله جل وعز يقول لنبيهM . / 0 1 2 3 4 5 6

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم(١/٩٣-٩٨)الإشاعة(٢٦٧/٢٧٤)، الإذاعة(١٩٧-٢٠٢)، إتحاف الجماعة (١٢٨/٣-١٤٨)، أشراط الساعة للوابل(٣٣٧-٣٦٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢ / ٤٥٤)، فتح الباري(٤٩١/٦-٤٩٤)، تفسير السعدي (١/ ٢١٣)، التصريح بما تواتر من نزول المسيح للكشميري(ص٤٨)ط.مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب-الخامسة-١٤١٢هـ ت:أبو غدة، نظم المتناثر(ص٢٢٨).

(٣) الدخان: ١٠.

(٤) معاني القرآن (٦ / ٣٩٨)والأثر: أخرجه عبدالرزاق (٢٠٦/٣)، وغيره.

7 L[١] وسأخبركم عن الدخان؛ إن قريشا استعصت على رسول الله r وكفرت فدعا الله جل وعز عليها أن يجوعها فأصابها جوع شديد حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا من الجوع والحر، فقالت قريش: "ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون" فكشفه الله عنهم، فعادوا ثم بطش بهم البطشة الكبرى يوم بدر، ولو كان الدخان يوم القيامة ما كشف عنهم)[٢].

الدراسة: -

من علامات الساعة وأشراطها العظمى ظهور الدخان قبل قيام الساعة [٣].

والكلام على هذه العلامة يتضمن المسائل التالية:

المسألة الأولى: الأدلة من الكتاب والسنة: -

فأما دليل الكتاب فقول الله تعالى: M c d e f g h i j k m n o p q r s t u v L[٤].

أما الأدلة من السنة على هذا الأمر فهي كثيرة:

منها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري المتقدم، قال: « اطلع علينا رسول الله ^ ونحن نتذاكر الساعة فقال: " ما تذاكرون " ؟ قلنا: نذكر الساعة، قال: **(إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة . . .)**[٥].

---

(١) ص: ٨٦.

(٢) أخرجه البخاري(برقم٤٧٧٤)(كتاب التفسير، باب تفسير ألم غلبت الروم)(ص٨٣٨)، ومسلم (برقم٧٠٦٦) (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان)(ص١٢١٨-١٢١٩).

(٣) التذكرة(٢/٣٨٨-٣٨٩)، تفسير ابن كثير(٧/٢٤٧-٢٤٩)، الإذاعة(٢١٤-٢١٥)، إتحاف الجماعة(٣/١٨٨-١٩٢)، أشراط الساعة ليوسف الوابل(٣٨٣-٣٨٩)، أشراط الساعة د.عبدالله الغفيلي(١٥٧-١٦٠).

(٤) الدخان: ١٠ - ١٢.

(٥) أخرجه مسلم (برقم٧٢٨٥)(كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة) (ص١٢٥٦).

ومنها حديث أبي هريرة t أن رسول الله r قال:(**بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال . . .**)[١] .

المسألة الثانية: اختلاف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث ؟

اختلف العلماء - رحمهم الله - في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة على أقوال ثلاثة[٢]:

القول الأول: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ^ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود t وتبعه جماعة من السلف، ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله[٣].

وأدلتهم ما ذكره المؤلف، وقول ابن مسعود t :(خمس قد مضين: وذكر منها: والدخان)[٤] .

القول الثاني: ذهب كثير من العلماء سلفا وخلفا إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، وهو قول كثير من التابعين[٥] ،وقد رجح الحافظ ابن كثير - رحمه الله – هذا القول، مستدلا بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية (آية الدخان)، وبغيرها من الأحاديث، وأيضا بما ورد عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس - رضي الله عنهما - ذات يوم فقال: " ما نمت البارحة حتى أصبحت، قلت: لم ؟ قال:

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥٠).

(٢) انظر:تفسير الطبري(٢٢/١٣-١٩)التذكرة(٢/٣٨٨-٣٨٩)، تفسير ابن كثير(٧/٢٤٧-٢٤٩) أشراط الساعة د.عبدالله بن سليمان الغفيلي(١٥٨-١٦٠)، أشراط الساعة ليوسف الوابل(٣٨٤-٣٨٨).

(٣) تفسير الطبري(٢٢/١٨).

(٤) أورده ابن جرير في تفسيره (٢٢/١٦).

(٥) تفسير الطبري(٢٢/١٦-١٧)، تفسير البغوي(٧/٢٢٩-٢٣٠)، تفسير ابن كثير(٧/٢٤٧-٢٤٨).

قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت"[١] .قال ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره لهذا الأثر:(وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح، والحسان، وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى:M c d e f g h L[٢] أي: بين واضح، يراه كل أحد، وعلى ما فسر به ابن مسعود t إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى:M j k L[٣]، وقوله تعالى: M m n o L[٤]أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا)[٥].

القول الثالث: ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا هما دخانان ظهر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة .ونقل القرطبي - رحمه الله -: قول ابن مسعود t :(هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه)[٦] .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله(وبعد: فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله r عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن

(١) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره(٣/٢٠٦)، وانظر: الدر المنثور(٧/٤٠٧).

(٢) الدخان:١٠.

(٣) الدخان:١١.

(٤) الدخان:١١.

(٥) تفسير ابن كثير(٧/٢٤٩-٢٥٠).

(٦) التذكرة (٢/٣٨٩).

رسول الله r قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله r صحيح)[١].

وقال النووي رحمه الله:(ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار)[٢] .

٤ - خروج الدابة:

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما يتعلق بخروج الدابة عند قول الله تعالى: M V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e L[٣].

ويمكن تقسيم ما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله عن الدابة حسب ما يلي:-

أولا: عملها:-

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى القراءات في قول الله تعالى "تكلمهم" فقال:(وقرأ ابن عباس تُكَلمهم، وقرأ أبو زرعة بن عمرو بن جرير "تَكْلمهم" وقرأ أبي: تنبئهم)[٤] .

ثم بين معنى القراءات فقال:(وفي معنى "تكلمهم" قولان؛ فأحسن ما قيل فيه ما روي عن ابن عباس قال:هي والله تُكَلمهم وتَكْلمهم؛ تُكَلم المؤمن، وتَكْلم الكافر أو الفاجر تجرحه، وقال أبو حاتم: تكلمهم كما تقول "تجرحهم" يذهب إلى أنه تكثير من تكلمهم)[٥].

---

(١) تفسير الطبري(٢٢/١٩).

(٢) شرح صحيح مسلم(١٨/٢٧) .

(٣) النمل: ٨٢.

(٤) معاني القرآن (٥/١٤٧-١٤٨)، وانظر:تفسير الطبري(١٩/٤٩٩)، تفسير البغوي(٦/١٧٧)، إعراب القرآن(٣/٢٢٢).

(٥) إعراب القرآن(٣/٢٢٢).

الدراسة : -

اختلف أهل العلم في عمل الدابة بناء على القراءات الواردة في ذلك فقراءة عامة أهل العلم (تُكَلِّمُهُمْ)بالتشديد، (وهي قراءة الجمهور، من الكلام؛ ويؤيده قراءة أبيّ: "تنبئهم"، وفي بعض القراءات: "تحدثهم"، وهي قراءة يحيى بن سلام؛ وقراءة عبد الله: بأن الناس... .

وقيل معنى تكلمهم: تجرحهم من الكلم، والتشديد للتكثير؛ ويؤيده قراءة ابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وأبي زرعة، والجحدري، وأبي حيوة، وابن أبي عبلة: تكلمهم، بفتح التاء وسكون الكاف مخفف اللام، وقراءة من قرأ: تجرحهم مكان تكلمهم. وسأل أبو الحوراء ابن عباس: تكلم أو تكلم ؟ فقال: كل ذلك تفعل، تكلم المؤمن وتكلم الكافر)[١].

وفي اختيار أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى تصويب كلا القراءتين جمع بين القولين، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:(وعنه -أي:ابن عباس رضي الله عنهما - رواية، قال: كلا تفعل يعني هذا وهذا، وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم)[٢].

ويقول في النهاية:(وهذا القول ينتظم من مذهبين وهو قوي حسن جامع لهما والله تعالى أعلم)[٣].

فهذه الدابة تكلم الناس كما أخبر الله تعالى، وتَكْلِمهم أيضا كما جاء في القراءة الأخرى، وكما جاءت به بعض الآثار التي سيأتي ذكرها.

وقد اختلف أهل العلم في الكلام الذي تكلمهم به، وفي معنى الكلم الذي تكلمهم به على أقوال ووردت بذلك آثار متعددة، وهي مبسوطة في مواضعها[٤].

---

(١) تفسير البحر المحيط (٧ / ٧٢)

(٢) تفسير ابن كثير (٦ / ٢١١)

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ١٠٦)

(٤) انظر:تفسير الطبري(١٩/ ٤٩٧-٤٩٩)، تفسير السمعاني(٤/ ١١٥)، تفسير القرطبي(١٣/ ٢٣٦-٢٣٨)، تفسير ابن كثير(٦/ ٢١٠-٢١٤)، البحور الزاخرة للسفاريني (١/ ٥٥٧-٥٦٠)، الدابة =

ثانيا: مكان خروجها: -

حكى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الخلاف في مكان خروجها بقوله: (قال إبراهيم: تخرج الدابة من مكة)[(١)].

كما ذكر أثر حذيفة t بقوله:(وروى أبو الطفيل عن حذيفة بن اليمان قال: تخرج الدابة ثلاث خرجات، خرجة بالبوادي ثم تنكمي، وخرجة بالقرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء، وخرجة من أفضل المساجد وأشرفها وأعظمها حتى ظننا أنه يسمي المسجد الحرام ولم يسمه فيتهارب الناس وتبقى جميعة من المسلمين فتخرج فتجلو وجوههم ثم لا ينجو منها هارب ولا يلحقها طالب وإنها لتأتي الرجل وهو يصلي فتقول له: أتمتنع بالصلاة؟ فتخطه وتخطم وجه الكافر وتجلو وجه المؤمن)[(٢)].

وذكر قولا آخر: (عن عبد الله بن عمر رحمة الله عليه تخرج الدابة من صدع في الصفا)[(٣)].

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في مكان خروج الدابة، وعدد مرات خروجها وذلك لاختلاف الآثار الواردة عن الصحابة في ذلك[(٤)].

= دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة جمع: أد.محمد بن عبدالعزيز العلي(٦٧-٨١)ط.دار طيبة-الأولى-١٤٢٩هـ.

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٥/١٤١)، أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٥٨/٦)، وغيرهما.

(٢) الأثر أخرجه:عبدالرزاق في التفسير(٥/١٣٧)برقم(٢١٠٦)، ونعيم بن حماد في الفتن(٦٦٦/٢)

(٣) ينظر:تفسير الطبري(٤٩٧/١٩)، السنن الواردة في الفتن(٦٦٦/٢)، والأثر ضعيف لأن فيه حسين الجعفي وعطية العوفي وكلاهما ضعيف، وأورده النحاس في إعراب القرآن (٢٢١/٣).

(٤) انظر: السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني(١٢٥٣/٦-١٢٥٨)النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير(١٠٦/١-١٠٩)ط.دار الكتب العلمية-الثانية-١٤٠٨هـ ت:عبده الشافعي، القناعة فيما يحسن =

ومما قيل في مكان خروجها: (أنها تخرج من جبل الصفا، وقيل:من المسجد الحرام بمكة، وقيل من شعب أجياد، وقيل:من بعض أودية تهامة، وقيل:من سدوم، وقيل:من جبل أبي قبيس)(١).

ولأجل هذا الاختلاف والتعارض في الأقوال فقد ارتأى كثير من أهل العلم عدم الجزم بشيء منها لتعارضها وضعف أكثرها، وفي ذلك يقول أبي حيان رحمه الله:(واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافاً مضطرباً معارضاً بعضه بعضاً، ويكذب بعضه بعضاً؛ فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله)(٢).

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله(وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، ولم يأت دليل يدل على كيفيتها، ولا من أي: نوع هي وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس، وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه والله أعلم)(٣).

= الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي (ص٥٣-٥٧)ت:د.محمد العقيل، ط.أضواء السلف١٤٢٢هـ-الأولى، الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي(٣١٨-٣٢٤) ت:حسين شكري ط.دار المنهاج-الثالثة-١٤٢٦هـ، الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة للقنوجي (ص٢١٢-٢١٤)ط.دار ابن حزم-الأولى١٤٢١هـ، ت:بسام الجابي، إتحاف الجماعة (٣/١٧٥-١٨٧)

(١) انظر:تفسير الطبري(١٩/٤٩٧-٤٩٩)، تفسير السمعاني(٤/١١٥)، تفسير القرطبي(١٣/٢٣٦-٢٣٨)، تفسير ابن كثير(٦/٢١٠-٢١٤)، البحور الزاخرة للسفاريني (١/٥٥٧-٥٦٠)، الدابة دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة جمع: أد.محمد بن عبدالعزيز العلي(٦٧-٨١)ط.دار طيبة-الأولى-١٤٢٩هـ.

(٢) تفسير البحر المحيط (٧/٩١).

(٣) تفسير السعدي (ص٦١٠)، وانظر:تفسير الرازي(٢٤/١٨٦)، روح المعاني(٢٠/٢٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور(١٩/٣٠٩)، الدابة(٨٠-٨١).

وفي خاتمة هذا المطلب يتبين أن ما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من بعض أشراط الساعة الصغرى والكبرى موافق لما عليه أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

❊ ❊ ❊

المطلب الثاني: الحياة البرزخية

أولاً: معنى البرزخ.

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى البرزخ لغة بقوله:(البرزخ في اللغة كل حاجز بين شيئين)[١]، وقال:(والعرب تسمي كل حاجز بين شيئين برزخا)[٢].

ثم بين معناه شرعا فقال:(فالبرزخ بين الدنيا والآخرة كما روي أن رجلا قال بحضرة الشعبي: رحم الله فلانا قد صار من أهل الآخرة، قال:لم يصر من أهل الآخرة ولكن صار من أهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الآخرة)[٣].

كما نقل قول مجاهد رحمه الله(البرزخ: حجاب بين الموت والرجوع إلى الدنيا) وقول الضحاك رحمه الله(هو ما بين الدنيا والآخرة)[٤].

الدراسة: -

البرزخ في اللغة هو: الحاجز بين الشيئين، والحائل بينهما[٥].

وأما معناه الشرعي: فهو الدار التي تعقب الموت إلى البعث . قال تعالى:Mوَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ ´ µ L[٦] وفي بيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة

---

(١) إعراب القرآن (٣/ ١٢٢).

(٢) معاني القرآن (٤/ ٤٨٥).

(٣) إعراب القرآن (٣/ ١٢٢).

(٤) معاني القرآن (٤/ ٤٨٥)و(٤/ ٣٤٤) .

(٥) انظر: العين(٤/ ٣٣٨)، تهذيب اللغة(٧/ ٢٧٠-٢٧١)، معجم مقاييس اللغة(١/ ٣٠٨)، مختار الصحاح(ص٧٣)، لسان العرب(٣/ ٨).

(٦) المؤمنون: ١٠٠.

والجماعة)[١] .

وقال ابن القيم:(عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة)[٢] .

ثانيا: ثبوت عذاب القبر، والرد على من أنكره.

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أدلة تدل على إثبات عذاب القبر، ومنها:

١ -قـــــول الله تعـــــالى:M ! " # $ % & ' ( ) L[٣] فقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:(عن مجاهد قال: العذاب الأدنى "عذاب القبر، وعذاب الدنيا")[٤].

٢ - قول الله تعالى:M وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ L[٥] فقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول البراء عند هذه الآية فقال:(عن البراء t قال: عذاب القبر)[٦] .

٣-يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى:M [\ ] ^ _ ` L[٧]: (ودلت هذه الآية على عذاب القبر)[٨].

٤ - ويقول كذلك:(واحتج بعض أهل اللغة في تثبيت عذاب القبر بقوله جل وعز:

(١) مجموع الفتاوى(٤/ ٢٦٢).

(٢) الروح(ص٢٠١).

(٣) السجدة: ٢١ .

(٤) معاني القرآن (٥/ ٣٠٩)، والأثر في تفسير الطبري(٢٠/ ١٩١).

(٥) الطور: ٤٧.

(٦) إعراب القرآن - (٤ / ٢٦٣)، والأثر في تفسير الطبري(٢٢/ ٤٨٧).

(٧) التكاثر: ١ – ٢.

(٨) إعراب القرآن - (٥ / ٢٨٣) .

M n o p q r L(١).

٥- ذكر قول الله تعالى:M b c d e f g h i j k l m n o p q L(٢) ثم قال في معنى الآية:(ليس في هذا ما ينفي عذاب القبر لأنه لا بد من خمدة قبل البعث)(٣).

٦- ويقول عند قول الله تعالى:M c d e f g h i j k l m n o L(٤): (وليس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي r من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه من ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال سمع r أم حبيبة تقول:" اللهم أمتعني بزوجي رسول الله r ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها النبي r : " **سألت الله في آجال مضروبة وأرزاق مقسومة، ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم أو عذاب القبر"**)(٥) في أحاديث مشهورة .

كما نقل قول الذهلي رحمه الله تعالى بقوله:(قال محمد بن يحيى: وأن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله ^ في رؤية الرب في القيامة، والقدر، والشفاعة، وعذاب القبر ..... ونحوها من الأحاديث والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم ولم يعرفوا تفسيرها فعليهم الإيمان بها والتسليم بلا كيف ولا تنقير ولا قياس لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد قال أبو جعفر فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)(٦).

---

(١) غافر: ٤٦، إعراب القرآن - (٤ / ٣٥).

(٢) المؤمنون: ١١٢ – ١١٣.

(٣) إعراب القرآن - (٣ / ١٢٤).

(٤) الروم: ٥٥.

(٥) أخرجه مسلم:كتاب القدر، باب بيان أن الأرزاق والآجال وغيرها لا تزيد ولا تنقص، وانظر: إعراب القرآن (٣ / ٣٧٨-٢٧٩).

(٦) إعراب القرآن - (٥ / ٨٨).

الدراسة: -

إن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه أحد الأصول التي دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على وجوب الإيمان بها:

فأما أدلة الكتاب والسنة فقد ذكر جملة منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وأكتفي بما ذكره.

وأما الأدلة من السنة على إثبات عذاب القبر فقد حكى غير واحد من أهل العلم تواتر الأحاديث في ثبوت عذاب القبر ونعيمه[(١)].

وأما الإجماع على ثبوته فقد قال الأشعري رحمه الله:(وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحييون فيها ويسألون فيثبت الله من أحب تثبيته)[(٢)]، ويقول الإمام أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله حاكيا مذهب أهل الحديث:(ويقولون إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفى عنه)[(٣)]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى(٤/٢٨٥)، الروح(ص١٥٩)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(٢/٥٧٨)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر(ص١٢٥-١٢٦)، تأليف: محمد بن جعفر الكتاني أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب السلفية - مصر، تحقيق: شرف حجازي.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر(ص٢٧٩)، تأليف: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - لبنان - ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله شاكر المصري.

(٣) اعتقاد أئمة الحديث(ص٦٩)، تأليف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، دار النشر: دار العاصمة - الرياض - ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، وانظر الروح لابن القيم(ص١٥٥).

ثالثا: السؤال في القبر: -

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة عند قول الله تعالى:M = > ? @ A B C D E F G I J K M N O P L[١].

وذلك بقوله:(روى معمر عن طاووس عن أبيه في:" يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا" قال: لا إله إلا الله:"وفي الآخرة" عند المساءلة في القبر.

وقال البراء بن عازب وأبو هريرة رضي الله عنهما "هذا عند المساءلة إذا صار في القبر")[٢].

وأسند حديث البراء بن عازب **t** عن النبي **r** في قول الله:M = > ? @ A B C D E F G L[٣] قال رسول الله **r** : **(في القبر إذا سئل)**[٤].

وروى معمر عن قتادة قال: بلغني أن هذه الأمة تبتلى في قبورها فيثبت الله الذين آمنوا .

ويروى أنه يقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؛ فمن ثبته الله قال: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي فهذا تثبيت في الآخرة)[٥].

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) معاني القرآن(٣/ ٥٣٠)وانظر في هذه الآثار:تفسير الطبري(١٦/ ٥٨٩-٦٠١).

(٣) إبراهيم: ٢٧.

(٤) معاني القرآن(٣/ ٥٣٠) والحديث أخرجه البخاري برقم:٤٦٩٩ (كتاب التفسير، باب [= > ? @ A B Z إبراهيم: ٢٧)(ص٨١١).

(٥) معاني القرآن(٣/ ٥٣٠-٥٣١)، والأثر: في تفسير الطبري(١٦/ ٦٠١).

الدراسة: -

ثبتت فتنة القبر بالأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف؛فأما أدلة الكتاب فقول الله تعالى:M = < > ? @ A B C D E F G I J K M N O P L[(١)] وقد جاء في تفسيرها ما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله من حديث البراء عن النبي r ، وتفسير الصحابة رضي الله تعالى عنهم بأن ذلك عذاب القبر.

وأما أدلة السنة؛ فمن مثل قول النبي r : **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في الرجل -لمحمد r - فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا ...... وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت، ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)**[(٢)] .

وقوله r :**(...... وأوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا من فتنة الدجال فأما المؤمن أو المسلم - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول محمد جاءنا بالبينات فأجبناه وآمنا فيقال نم صالحا علمنا أنك موقن وأما المنافق أو المرتاب ...... فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته)**[(٣)] .

يقول ابن عبد البر عند هذا الحديث:(وأما قوله: "أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم" فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد من ربك وما دينك ومن نبيك، والآثار في هذا متواترة وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري برقم:١٣٧٤(كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر)(ص٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم:٨٦(كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس)(ص٢٠).

ولا ينكره إلا أهل البدع)[١].

ويقول ابن أبي العز:(وقد تواترت الأخبار عن رسول الله r في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته)[٢].

رابعا: حقيقة الروح.

حكى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أقوال أهل العلم في معنى الروح التي ورد السؤال عنها في قول الله تعالى:M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا L[٣]فقال:(وقد تكلم العلماء في الروح:

فروى عطاء عن ابن عباس قال: الروح: ملك له أحد عشر ألف جناح، وألف وجه، يسبح الله إلى يوم القيامة.

وقال أبو صالح: الروح: خلق كخلق بني آدم وليسوا بني آدم لهم أيد وأرجل.

وقيل: الروح: جبريل عليه السلام .

وقيل: هو عيسى r أي: هو من أمر الله، وليس كما يقول النصارى.

وقيل: الروح القرآن[٤] لقوله تعالى:M ! " # $ % & L[٥].

والله أعلم بما أراد، غير أنه قد أخبرنا أنه من أمر الله جل وعز)[٦].

وقال عند آية النبأ:M G H I J K M N O P Q R S T

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - (٢٢ / ٢٤٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي(٢/٥٧٨).

(٣) الإسراء: ٨٥.

(٤) انظر في هذه الآثار: تفسير الطبري(١٧/٥٤١-٥٤٥)، تفسير البغوي(٥/١٢٤-١٢٦)، زاد المسير(٥/٨٢)تفسير ابن كثير(٥/١١٥-١١٦).

(٥) الشورى: ٥٢.

(٦) معاني القرآن (٤/١٨٩-١٩١) وانظر: (٤/٥٣)و(٦/٢٠٨-٢٠٩).

L U : (روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الروح ملك عظيم الخلق، وروى عنه غيره قال: الروح أرواح الناس تقوم مع الملائكة في ما بين النفختين من قبل أن ترد إلى الأبدان، وقال الشعبي والضحاك: الروح جبرئيل ^ ، وقال الحسن وقتادة: الروح بنو آدم، وقال ابن زيد: الروح القرآن، وقال مجاهد: الروح على صور بني آدم وليسوا منهم.

قال أبو جعفر: لا دليل نعلمه يدل على أصح هذه الأقوال يكون قاطعا من توقيف من الرسول أو دلالة بينة، وهو شيء لا يضر الجهل به، ولو قال قائل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ليست بمتناقضة ويجوز أن يكون هذا كلها لها لما عنف)[1].

الدراسة: -

الروح في اللغة مأخوذة من الريح، يقول ابن فارس رحمه الله:(الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مطّرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطّراد. وأصل [ذلك] كلِّه الرِّيح. وأصل الياء في الريح الواو، وإنّما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها. فالرُّوح رُوح الإِنسان، وإنّما هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كلّه)[2].

وقد تعددت مشارب أهل العلم في الكلام عن الروح؛ فمنهم من رأى التوقف في الكلام فيها والسكوت عن ذلك.

ومنهم من تكلم في بيان معناها، وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أنواعا مما ذكره أهل العلم في معناها، وفي آية الإسراء اختلف أهل العلم هل المراد بالروح المسئول عنها روح الآدمي أم غيرها؛ فمن رأى أنها روح الآدمي أمسك عن الكلام في الروح، ومن رأى أنها غير ذلك تكلم في حقيقتها، ثم اختار رحمه الله تعالى في آية الإسراء أن الله تعالى أعلم بما أراد، وفي آية الإسراء يقول البغوي رحمه الله

(١) إعراب القرآن (٥/ ١٣٧) وانظر: (٤/ ٣٤٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (٢ / ٤٥٤).

مؤيدا اختيار أبي جعفر النحاس رحمه الله:(وأولى الأقاويل: أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة. قال عبد الله بن بريدة: إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا)[١].

وفيما أورد من أقوال لأهل العلم في بيان معنى قول الله تعالى:GM H I J L[٢] وقوله بعدها:(ولو قال قائل هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ليست بمتناقضة ويجوز أن يكون هذا كلها لها لما عنف) دليل على تحريه لأقوال الصحابة والتابعين وعدم الخروج عنها، وقد اختار ابن جرير رحمه الله قبله هذا المعنى في آية النبأ بقوله:(والصواب من القول أن يقال: ....والرُّوح خَلْق من خَلْقِه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أيّ ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره يجب التسليم له، ولاحجة تدلّ عليه، وغير ضائر الجهل به)[٣].

والذي ارتضاه ابن القيم رحمه الله وتبعه جماعة من أهل العلم أن المراد بالروح:(جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم، نوراني، علوي، خفيف، حي، متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم؛ فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية)[٤]، يقول ابن القيم رحمه الله عن هذا التعريف:(وهذا القول هو الصواب في المسألة هو الذي لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٢٦).

(٢) النبأ: ٣٨.

(٣) تفسير الطبري (٢٤ / ١٧٧).

(٤) الروح (ص٤٢٢).

والفطرة)[١]، ثم ساق الأدلة على رجحانه، والكلام على المسألة يحتمل مزيد بسط وبيان مذكور في مواضعه من كتب أهل العلم[٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) الروح(ص٤٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى(١٧/٣٤٠-٣٤٢)، درء التعارض(٨/٥٢)، شرح العقيدة الطحاوية(٢/٥٦٥)، لوامع الأنوار البهية(٢/٢٩).

المطلب الثالث: الحياة الآخرة

١ -النفخ في الصور:

أولا: إثباته:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى النفخ في الصور وذلك في شرحه وتفسيره لقول الله تعالى:M وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ L[1] وقول الله تعالى:M ! " # $ %& ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[2].

كما أورد رحمه الله تعالى الأحاديث الواردة في ذلك ومنها:

١ -حديث أبي سعيد الخدري عن النبي r قال:**(كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر)** قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول قال: **(قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلنا)**[3].

٢ - حديث أبي هريرة t فيما بين النفختين فقال:(روى أبو هريرة عن النبي قال: **(إن بين النفختين أربعين)**[4] وذكر قول الحسن:(لا أدري أهي أربعون سنة أم أربعون شهرا أم أربعون ليلة أم أربعون ساعة)[5].

---

(١) النمل: ٨٧.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) أخرجه أحمد (١٧/ ٨٩) برقم ١١٠٣٩، والترمذي (٤/ ٦٢٠)برقم٢٤٣١كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ^ ، باب ما جاء في شأن الصور، وابن حبان(١٠٥/٣)، والحاكم (٦٠٣/٤) كتاب الأهوال، وغيرهم.والحديث صححه الألباني السلسلة الصحيحة(٦٦/٣) برقم١٠٧٩ وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

(٤) أخرجه البخاري برقم٤٨١٤(كتاب التفسير، باب سورة الزمر)(ص٨٤٨)، ومسلم برقم٧٤١٤(كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين)(ص١٢٨١).

(٥) أثر الحسن لم أجده، وهو ثابت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر صحيح =

٣- أورد قول عكرمة في قوله جل وعز:M إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ L[١] قال:(هي النفخة الأولى في الصور)[٢].

الدراسة: -

إن من الأمور الثابتة مما يجب الإيمان به من أمر اليوم الآخر: "النفخ في الصور"، وقد جاءت بذلك الأدلة من الكتاب والسنة .

فأدلة الكتاب: قول الله تعالى:M وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ L[٣] وقال تعالى:M ! " # $ %& ' ( ) * + , - . 0 1 2 3 4 5 6 7 L[٤] وغير ذلك من الآيات.

ومن أدلة السنة: قوله r : (**....لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام، آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي...الحديث)**[٥] .

وكذا ما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من حديث أبي سعيد وغيره.

= البخاري(ص٨٤٨)، مسلم(ص١٢٨١).

(١) يس: ٥٣ .

(٢) إعراب القرآن (٣٩٨/٣)وانظر:(٤٠٠/٣)(٤٢١/٤)(١٤١/٥، ١٥٣)، معاني القرآن(٢٦/٤).

(٣) النمل: ٨٧.

(٤) الزمر: ٦٨.

(٥) أخرجه مسلم برقم:٦١٥١(كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى u)(ص١٠٤٣).

ثانيا: معناه:-

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما ورد في معنى الصور فقال:(في معناه قولان:

أحدهما: أنه روي عن النبي r أنه سئل عن الصور فقال: **"هو قرن ينفخ فيه")**[١] .

ثم ذكر الثاني بقوله:(وروى معمر عن قتادة في قوله "ونفخ في الصور" قال: في صور الناس أجمعين)[٢] .

وأعقب ذلك بالرد على هذا القول بقوله:(هذا ليس بمعروف والمستعمل في جمع صورة صور ولم يقرأ أحد ونفخ في الصور)[٣].

كما رد رحمه الله تعالى على أبي عبيدة وذلك فيما نقل عنه بقوله:(قال أبو عبيدة: هو جمع صورة؛ يذهب إلى أن المعنى ونفخ في الأجسام واحتج بقول الشاعر:-

لما أتى خبر الزبير تواضعت   سور المدينة والجبال الخشع[٤]

وأعقب ذلك بأن هذا القول (مما رد عليه)، وبين أسباب ذلك بما يلي:

أولا: ورود تفسير الصور وكيفيته في السنة ومن ذلك قوله r في حديث أبي سعيد الخدري:(كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر. قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: قولوا: "حسبنا الله ونعم الوكيل عليه توكلنا")[٥].

ثانيا: روى أبو الزعراء عن عبد الله بن مسعود "فإذا نفخ في الصور" قال: في

---

(١) معاني القرآن (٦ / ١٩٢).

(٢) معاني القرآن (٦ / ١٩٢).

(٣) معاني القرآن (٦ / ١٩٢).

(٤) البيت لجرير بن عطية، وهو في ديوانه(٢ /٩١٣).

(٥) سبق تخريجه(ص٢٧٢).

القرن.

ثالثا:أن(هذا غلط عند أهل التفسير واللغة........ولا يعرف أهل اللغة في جمع صورة إلا صورا ولو كان جمع صورة لكان ثم نفخ فيها إلا على بعد من الكلام)[١]

ثم قال:(فالصحيح فيه أنه القرن جاء بذلك الحديث والتوقيف عن رسول الله ^ وذلك معروف في كلام العرب أنشد أهل اللغة:

نحن نطحناهم غداةالغورين بالضابحات في غبار النقعين

نطحاً شديداً لا كنطح الصورين ....[٢]

الدراسة: -

الصور في كلام أهل اللغة[٣]، وعامة أئمة السلف هو: القرن[٤].

وقد جاء منصوصا على معناه في قول النبي r : **(الصور قرن ينفخ فيه)**[٥]،

---

(١) معاني القرآن (٤/ ٤٨٦).

(٢) البيتان أوردهما القالي في الأمالي، انظر: اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ١٥١) لعبد الله بن عبد العزيز البكري، ت: عبد العزيز الميمني. ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ-الأولى.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠)، لسان العرب(٤/ ٤٧١)، مختار الصحاح(ص٣٧٥)تاج العروس للزبيدي(١٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٩/ ٥٠٢-٥٠٤)، تفسير البغوي(٦/ ١٨١)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٦)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة(٣/ ٢٥٤-٢٦٠).

(٥) خرجه أبوداود في كتاب السنة، باب في ذكر البعث والصور ٤/ ٣٧٨ح٤٧٤٤، والترمذي - واللفظ له - في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور ٤/ ٦٢٠ح٢٤٣٠، وكتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر ٥/ ٣٧٠ح٣٢٣٦، والدارمي في كتاب الرقاق، باب في نفخ الصور ٢/ ٤١٨ح٢٧٩٨، وأحمد ١١/ ٥٣ح٦٥٠٧ و ١١/ ٤١٠ح٦٨٠٥ كلهم من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاص، والحديث قال فيه الترمذي(هذا حديث حسن)، وحكم عليه الألباني بالصحة، انظر: السلسلة الصحيحة(٣/ ٦٨).

وبذلك قال عامة السلف، وخالف في ذلك: أبو عبيدة[١]، والكلبي، وروي عن الحسن أنه قرأ(الصُوَر)، جمع صورة[٢]، وتأوله على أن المراد النفخ في الأجساد لتعاد إليها الأرواح .ونقل عن أبي عبيدة والكلبي أن (الصُّوْر) بسكون الواو جمع صورة، كما يقال: سور المدينة جمع سورة، والصوف جمع صوفة، وبسر جمع بسرة .

وقالوا: المراد النفخ في الصور وهي الأجساد، لتعاد فيها الأرواح، وقد تبع المعتزلة هؤلاء واحتجوا لباطلهم بما ورد عن أبي عبيدة وغيره.والذي جاء عن أكثر المفسرين رد هذا القول لمخالفته صريح السنة في تفسيره، ولمخالفته اللغة، وقد ساق أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أوجه في الرد على هذا القول ومما يورد هنا ما ذكره الطبري رحمه الله تعالى بقوله:(والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله r أنه قال:"إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر فينفخ"، وأنه قال r :**"الصور قرن ينفخ فيه"**)[٣] .

وقد نقل الأزهري في تهذيب اللغة عن أبي الهيثم[٤] تخطئة هذا القول فقال:(قال أبو الهيثم: وهذا خطأ فاحش، وتحريف لكلم الله عن مواضعها، لأن الله جل وعز قال:M p q r L[٥] بفتح الواو، ولا نعلم أحداً من

(١) هو:أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، كان عالما باللغة والغريب والأدب والأشعار، ألف كتابه(مجاز القرآن) وقد اعتمد عليه أهل العلم، اتهم برأي الخوارج، توفي سنة٢٠٩هـ.انظر: طبقات النحويين(ص١٧٧)سيرأعلام النبلاء(٩/٤٤٥)، شذرات الذهب(٢/٢٣-٢٤)، مناهج اللغويين(٨٠٦-٨١٨).

(٢) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(٣٧٤)

(٣) تفسير الطبري - (١١ / ٤٦٣)

(٤) هو أبو الهيثم الرازي، مشهور بكنيته، ولا يعرف له اسم غير كنيته، وكان نحويا لغويا أديبا، تصدر بالري للإفتاء وإفادة الناس،وقد عد من أهل السنة توفي سنة (٢٧٦هـ): انظر: نزهة الألباء (ص١٤٧)، بغية الوعاة (٢/٣٢٩)،مناهج اللغويين(ص٢٦٩).

(٥) غافر: ٦٤.

القراء قرأها: فأحسن صُورَكم، وكذلك قال الله:M ; < = L[(١)] فمن قرأها ونُفخ في الصُّوَر أو قرأ: (فأحسَنَ صُورَكم) فقد افترى الكذب وبدّل كتاب الله، وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب، ولم يكن له معرفة بالنحو........

وأما الصُّورُ القرن فهو واحد لا يجوز أن يقال واحدته صورة، وإنما تُجمع صورة الإنسان صُوَرَاً، لأنه واحدته سبقت جمعه.

......قلت: قد احتجَّ أبو الهيثم فأحسنَ الاحتجاج، ولا يجوز عندي غير ما ذهب اليه، وهو قول أهل السنة والجماعة)[(٢)]

٢ - الحشر:

أ - اختار أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن قول الله تعالى:Mلِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ L[(٣)] هو في أرض المحشر فقال:(أصح ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود قال: "يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله جل وعز عليها فيؤمر مناد أن ينادي لمن الملك اليوم" .

فهذا قول بيِّن، فأما أن يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد؛ لأنه لا فائدة فيه والقول الأول صحيح عن ابن مسعود t ، وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل والمعنى على قوله فينادي مناد يوم القيامة ليقرر الناس لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: لله الواحد القهار. فيقول المؤمنون هذا سرورا وتلذاذا، ويقول الكافرون هذا رغما وانقيادا وخضوعا)[(٤)].

(١) الكهف: ٩٩.

(٢) تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠).

(٣) غافر: ١٦.

(٤) إعراب القرآن(٤/٢٨-٢٩)معاني القرآن (٦ /٢١٠)وانظر:(٢ / ٣٩١)و(٢ /٤٢٢-٤٢١).

الدراسة: -

اختلف أهل التفسير في قول الله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[(١)] متى يكون ذلك القول[(٢)]:

فقيل بعد نفخة الصعق، وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي.

وقيل: في أرض المحشر يوم القيامة، وحجة أصحاب هذا القول أثر ابن مسعود رضي الله عنه الذي أورده أبو جعفر النحاس، وهذا قول ابن مسعود رضي الله عنه، واختاره أبوجعفر النحاس .

والذي يظهر والله أعلم أن القول الأول هو الصواب لدلالة الأدلة عليه، يقول القرطبي رحمه الله بعد أن أورد كلام أبي جعفر النحاس رحمه الله في هذه المسألة: (قلت: والقول الأول -أي: كونه بعد نفخة الصعق- ظاهر جدا، لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم، ودل على هذا قوله الحق عند قبض الأرض والأرواح وطي السماء: " أنا الملك أين ملوك الأرض " كما تقدم في حديث أبي هريرة، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهم)[(٣)].

والذي يعنيه القرطبي رحمه الله ما ثبت من الأحاديث المتقدمة ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(يقبض اللهّ الأرض يوم القيامة ويطوي**

---

(١) غافر: ١٦.

(٢) انظر في المسألة: النكت والعيون للماوردي(٥/ ١٤٨)، زاد المسير لابن الجوزي(٧/ ٢١٢)، تفسير القرطبي(١٥/ ٣٠١)، التذكرة(٢٠١-٢٠٣)، تفسير ابن كثير(٧/ ١٣٦)، تفسير الرازي (٢٧/ ٤١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي(١٧/ ٢٧)ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -الطبعة: الأولى، روح المعاني (٢٤/ ٥٨).

(٣) تفسير القرطبي - (١٥ / ٣٠١)

السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض)[١] .

وحديث ابن عمر قال: قال رسول اللهّ r : **(يطوي اللهّ عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟)**[٢] .

وبهذا يظهر أن الذي اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من أن هذا القول هو في المحشر يوم القيامة خلاف الراجح، وأن الصواب في ذلك كونه بعد نفخة الصعق.

ب: حشر البهائم:-

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الحشر حاصل للبهائم والطير فقال عند قول الله تعالى:L N M L K J I H G F E DCM[٣]: (وأكثر أهل التفسير يذهب إلى أن المعنى أنهم يخلقون كما يخلقون ويبعثون كما يبعثون، وكذلك قال أبو هريرة:" يحشر الله جل وعز يوم القيامة الطير والبهائم فيبلغ من عدله أن يأخذ من القرناء للجماء ثم يقول:كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا"[٤])[٥].

وقال عند قول الله تعالى:L Z Y XWM[٦]: (فدل بهذا على أن البهائم تحشر يوم القيامة)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري برقم٧٣٨٢ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى "ملك الناس")(ص١٢٧٠) .

(٢) أخرجه مسلم برقم٧٠٥١(كتاب صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار)(ص١٢١٥).

(٣) الأنعام: ٣٨ .

(٤) تفسير الطبري(٢٤/ ١٨٠).

(٥) معاني القرآن(٢/ ٤٢١-٤٢٢).

(٦) الأنعام: ٣٨.

(٧) إعراب القرآن (٢ /٦٦)و(٤ /١٩)و(٣ /٢٥).

الدراسة: -

دلت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه r على أن الحشر يعم البهائم، وهذا هو قول أكثر أهل العلم[(١)] وهو الصواب، يقول القرطبي رحمه الله تعالى: (واختلف الناس في حشر البهائم، وفي قصاص بعضها من بعض، فروي عن ابن عباس أن حشر البهائم موتها، وقاله الضحاك، وروي عن ابن عباس في رواية أخرى أن البهائم تحشر وتبعث، وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص، والحسن البصري وغيرهم، وهو الصحيح، لقوله تعالى: M 1 2 3 L[(٢)] وM X Y Z L[(٣)].

قال أبو هريرة t : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة: البهائم، والطير، والدواب، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار M l m n o p L[(٤)]"[(٥)])

بل وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة t أَنَّ رَسُولَ الله ^ قَالَ: **(لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)**[(٦)].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة . قال تعالى: M C D E F G H I J K L M N P Q R S T U W X Y Z L[(٧)] وقال تعالى:

---

(١) انظر: التذكرة(١/٣١١-٣١٥)، جامع المسائل لابن تيمية(٣/٢٣٢)، القيامة الكبرى(ص٥٦-٥٨)، الحياة الآخرة(١/٢٢٣-٢٢٧).

(٢) التكوير: ٥.

(٣) الأنعام: ٣٨.

(٤) النبأ: ٤٠

(٥) انظر في الآثار الواردة عن الصحابة في هذه الآية: تفسير الطبري(٢٤/١٨٠-١٨٢)، تفسير البغوي(٨/٣١٨-٣١٩).

(٦) أخرجه مسلم (برقم٦٥٨٠)(كتاب البر والآداب والصلة، باب تحريم الظلم)(ص١١٣٠).

(٧) الأنعام: ٣٨.

M 1 2 3 L[١] وقال تعالى:M وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ L[٢] وحرف "إذا" إنما يكون لما يأتي لا محالة . والأحاديث في ذلك مشهورة فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها: كوني ترابا . فتصير ترابا . فيقول الكافر حينئذ M n o p L[٣]، ومن قال إنها لا تحيا فهو مخطئ في ذلك أقبح خطأ؛ بل هو ضال أو كافر والله أعلم)[٤] ويقول الشيخ الألباني رحمه الله بعد ذكره لأحاديث عدة في إثبات حشر البهائم:(وبالجملة، فالقول بحشر البهائم و الاقتصاص لبعضها من بعض هو الصواب الذي لا يجوز غيره)[٥].

ج - معنى الورود في آية سورة مريم:-

اختار أبو جعفر النحاس أن ورود المؤمنين في قول الله تعالى:M ` a b c e f g h i L[٦] إنما هو لأرض المحشر فقال:(قد ذكرنا فيه أقوالا قال خالد بن معدان:"إذا دخل أهل الجنة قالوا يا ربنا إنك وعدتنا أن نرد النار فيقال لهم إنكم وردتموها وهي خامدة" قال أبو جعفر: ومن أحسن ما قيل فيه أعني في الآية أن المعنى وإن منكم إلا وارد القيامة لأن الله جل وعز قال في المؤمنين M ! " # L[٧] وقال جل ثناؤه M - . / 0 1 2 L[٨] ودل على

(١) التكوير: ٥.

(٢) الشورى: ٢٩ .

(٣) النبأ: ٤٠ .

(٤) مجموع الفتاوى(٤/ ٢٤٨).

(٥) السلسلة الصحيحة (٤ / ٤٦٦).

(٦) مريم: ٧١.

(٧) الأنبياء: ١٠٢.

(٨) البقرة: ٣٨.

أن المضمر للقيامة "فوربك لنحشرنهم" فالحشر إنما هو في القيامة)[١].

ويقول عند هذه الآية في معاني القرآن:(في هذه الآية خمسة أقوال:

قيل ورودها "دخولها" لأن بعده: "ونذر الظالمين فيها"، وإنما يقال نذر لما حصل فينجي الله الذين اتقوا، ويصيرون إلى رحمته، فيعرفون مقدار ما خلصوا منه لأنهم قد دخلوا النار وخلصوا منها وهذا قول ابن عباس وإسناده جيد .

وقيل: يردها المؤمنون وهي جامدة، وروى سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: يا رب ألم توعدنا أنا نرد النار؟ فيقول: قد وردتموها وهي جامدة".

قيل: يعني القيامة.

وقيل: "وإن منكم إلا واردها" يراد به المشركون، واستدل صاحب هذا القول بأن عمر بن الوليد روى عن عكرمة أنه قرأ"وإن منكم إلا واردها".

والقول الخامس: أن ورودها بلاغها والممر بها روى معمر عن قتادة "وإن منكم إلا واردها" قال: الممر بها، وروى الحسن بن مسلم عن عبيد الله بن عمير: "وإن منكم إلا واردها" قال:(حضورها).

فهذه خمسة أقوال والله أعلم بما أراد إلا أنه معروف في كلام العرب أن يقال وردت كذا أي بلغته ولم أدخله ....

قال أبو جعفر: وأبين ما في هذه الأقوال قول من قال "وإن منكم إلا واردها" إنها القيامة، وقوله تعالى: "فوربك لنحشرنهم" يدل على ذكر القيامة، فكنى عنها بهذا، وكذلك ذكر جهنم يدل على القيامة؛ لأنها فيها والله جل وعز يقول:"لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" فيبعد أن يكون مع هذا دخول النار)[٢].

---

(١) إعراب القرآن(٣/ ٢٥).

(٢) معاني القرآن(٤/ ٣٤٧-٣٥١).

الدراسة: -

اختلف أهل العلم من أهل السنة والجماعة وغيرهم في المراد بالورود المذكور في قول الله تعالى:M ` a b c e f g h i L[١] على أقوال متعددة، وقد أوردها أبو جعفر النحاس رحمه الله عند هذه الآية، وأقوى هذه الأقوال: أن المراد بالمرور المذكور في الآية هو المرور على الصراط، وهذا القول هو الذي تدل عليه الأدلة، يقول شيخ الإسلام:(وكذلك في الحديث الصحيح أنه قال: **(والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة)** قالت حفصة: فقلت يا رسول الله: أليس الله يقول: M ` a b c L[٢] فقال: ألم تسمعيه قال: M k l m n o p q r L[٣])[٤].

وقد بين في الحديث الصحيح الذي رواه جابر وغيره أن الورود هو المرور على الصراط ومعلوم أنه إذا كان قد أخبرهم أن جميع الخلق يعبرون الصراط ويردون النار بهذا الاعتبار لم يكن قوله لهم: فلان لا يدخل النار منافيا لهذا العبور ولهذا قال لها: ألم تسمعيه قال:(k l m n) فأخبرها أن هذا الورود لا ينافي عدم الدخول الذي أخبرت به فالذين نجاهم الله بعد الورود - الذي هو العبور - لم يدخلوا النار.

ولفظ الورود والدخول قد يكون فيه إجمال؛ فقد يقال لمن دخل سطح الدار: أنه دخلها ووردها، وقد يقال لمن مر على السطح ولم يثبت فيها: إنه لم يدخلها.

فإن قيل: فلان ورد هذا المكان الرديء ثم نجاه الله منه. وقيل فلان:لم يدخله الله إياه كان كلا الخبرين صدقا لا منافاة بينهما .

---

(١) مريم: ٧١.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) مريم: ٧٢.

(٤) أخرجه مسلم(ص١٠٩٩)كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان y برقم(٦٤٠٤).

وقولـه تعـالى: M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L(١) بيان فيه نعمة الله على المتقين: أنهم مع الـورود والعبـور عليها وسقوط غيرهم فيها نجوا منها والنجاة من الشر لا تستلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال: نجاه الله منهم)(٢)، ويقـول ابـن أبي العز الحنفـي بعـد ذكـره للخـلاف في المسألة:(والأظهـر والأقوى أنه المرور على الصراط)، -ثم ذكر حديث جابر السابق وقال بعده-: (أشـار ^ إلى أن ورود النـار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم ......، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا . فقد بين ^ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط)(٣)، ومما سبق بيانه يتبين أن ما اختاره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من كون الورود لأرض المحشر هو خلاف الراجح، وذلك لثبوت الأدلة الدالة على أن المراد به المرور على الصراط.

٣- الحساب:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله وقوع الحساب يوم القيامة وذلك من خلال بيانه لبعض معاني الآيات الواردة في ذلك فمن ذلك قوله في بيان معنى قول الله تعالى: Mوَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ L(٤): (أي: أعلم ما للمحاسب وما عليه قبل توقيفه على حسابه وهو يحاسبه بغير تذكر ولا روية وليس كالآدمي)(٥).

(١) مريم: ٧١ - ٧٢ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل(٧/٤٩-٥٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٦٠٦-٦٠٧).

(٤) البقرة: ٢٠٢.

(٥) معاني القرآن(١/١٤٤).

وعند قول الله تعالى:Mفِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ L[١] بين ما فيها بقوله:(قد ذكرنا فيه أقوالا، وأعلى ما قيل فيه عن ابن عباس أنه قال: "هو يوم القيامة" وأن المعنى: مقدار محاسبة الله جل وعز الخلق فيه، وإثابته ومعاقبته إياهم مقدار ذلك خمسون ألف سنة لو كان غيره المحاسب)[٢].

ولما ذكر حديث عائشة رضي الله عنها في الحساب وهو:(عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله r يقول:**(من حوسب هلك**: فقلت: يا نبي الله فأين قوله جل وعز: M P Q R S L[٣]قال: **إنما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك)**[٤] قال بعده:(وهذا إسناد صحيح، وشرحه أن الكافر يكافأ على أعماله، ويحاسب عليها، ويحبط ما عمل من خير، ويبين لك هذا قوله جل وعز في الأول "ذلك جزيناهم بما كفروا" وفي الثاني "وهل يجازى" فمعنى يجازى: يكافأ بما عمل، ومعنى جزيناهم: وفيناهم، فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جزى مجازا)[٥]، كما أثبت الحساب للكفار فقال:(فدل بهذا على أن الكفار يحاسبون)[٦].

الدراسة: -

الحساب في اللغة: يطلق على معان عدة منها: العد، والإحصاء، والكفاية[٧].

وفي الشرع هو: توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا

---

(١) المعارج: ٤.

(٢) إعراب القرآن (٥ / ٢٨)، وانظر: تفسير الطبري(٢٣/٦٠١-٦٠٢)، تفسير البغوي(٨/٢٢٠).

(٣) الانشقاق: ٨

(٤) أخرجه البخاري برقم٦٥٣٦(كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب)(ص١١٣٢).

(٥) إعراب القرآن(٣/٣٤١).

(٦) إعراب القرآن(٢/١١٥).

(٧) العين(٣/١٤٩)تهذيب اللغة (٤/١٩١)المصباح المنير (١/١٣٤)ط. العلمية، تاج العروس (٢/٢٦٨).

كانت أو شرا[١].

وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

فأدلـــة الكتـــاب: قـــول الله تعـــالى: M & ' ( ) * +

, L[٢]، وقوله تعالى: Mأُوْلَتِيِكَ ç è é L[٣]، وقولـه تعـالى: M W X

Y Z [\ ] ^ _ ` a b c L[٤].

ومـن السـنة: قولـه ^ (**مـن حوسـب عـذب**)، قالـت عائشـة رضي الله عنهـا فقلـت: أولـيس يقـول الله تعـالى M P Q R S L[٥] قالـت فقـال: (**إنـما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك**)[٦] ، وغيرها من الأحاديث.

وأمـا الإجمـاع فقـد حكـاه السـفاريني بقولـه: (......الحسـاب الثابـت بالسـنة والكتاب وإجماع أهل الحق بلا ارتياب)[٧] .

وأما وصف الله تعالى نفسه بأنه سريع الحساب، فقد ذكر أهل العلم في معناهـا أقوالا ذكرها ابن الجوزي بقوله: (وفي معنى سرعة الحساب خمسة أقوال:

أحدها: أنه قلته، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل.

والثالث: أنه لما علم ما للمحاسب وما عليه قبل حسابه كـان سريـع الحسـاب لذلك.

---

(١) لوامع الأنوار البهية(٢/ ١٧١-١٧٢).

(٢) الحجر: ٩٢ – ٩٣.

(٣) الرعد: ١٨.

(٤) الزلزلة: ٧ – ٨.

(٥) الانشقاق: ٨.

(٦) أخرجه البخاري(١٠٣)كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه(ص٢٣) واللفظ له، ومسلم (٧٢٢٥)كتاب الجنة ونعيمها، باب إثبات الحساب(ص١٢٤٥).

(٧) لوامع الأنوار البهية (٢ / ١٧١).

والرابع: أن المعنى والله سريع المجازاة ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج.

والخامس: أنه لا يحتاج إلى فكر وروية كالعاجزين)[١].

وقد اختلف أهل العلم في محاسبة الكفار على أعمالهم يوم القيامة[٢]

فقيل: يحاسبون، واستدلوا بالأدلة الدالة على عموم المحاسبة لجميع المكلفين كقول الله تعالى: M Y Z [\ ] ^ L[٣] وكقول الله تعالى: M = > ? @ A B D E F G I J K M N O P Q R L[٤] وقول الله تعالى: M & ' (L[٥] وقوله تعالى: M r s t u v w L[٦].

وقيل: لا يحاسبون، وهو قول الجمهور[٧]، ومن أدلتهم قول الله تعالى: M فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ L[٨] وقوله تعالى: M : ; < = > L[٩] وقوله تعالى: M وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا ´ µ ¶ ¸ L[١٠].

وقد جمع بين أدلة هذين القولين التي ظاهرها التعارض بعض المحققين من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: (وفصل الخطاب أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات

---

(١) زاد المسير (١ / ٢١٦).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٢/ ١٥)، مجموع الفتاوى(٤/ ٣٠٥-٣٠٦)، لوامع الأنوار البهية(٢/ ١٧٥-١٧٦)، الحياة الآخرة لغالب عواجي(٢/ ٩٥٩-٩٦٤).

(٣) الأعراف: ٦.

(٤) الأنعام: ٣٠.

(٥) الحجر: ٩٢.

(٦) القصص: ٦٥.

(٧) البحر المحيط لأبي حيان(٢/ ١١٥).

(٨) الرحمن: ٣٩.

(٩) القصص: ٧٨.

(١٠) البقرة: ١٧٤.

بالسيئات؛ فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر، وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب، وقال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - L[1] وقال تعالى: M ! " # $ % L[2] والنار دركات؛ فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته - كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة)[3].

ويقول كذلك: (وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها)[4].

والذي يظهر لي أن هذا القول هو الصواب لإعماله أدلة كلا الرأيين وتوفيقه بينها.

---

(١) النحل: ٨٨ .

(٢) التوبة: ٣٧ .

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦).

٤ -الشفاعة:

أ - الشفاعة الكبرى: -

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شفاعة نبينا محمد r في الموقف، فعند قول الله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 9 : ; L[(١)] ذكر بعض الأقوال ومنها: (ويروى عن الحسن وقتادة قال: "القدم" محمد يشفع لهم)[(٢)]. ثم قال: (وهذه الأقوال متقاربة والمعنى منزلة رفيعة)[(٣)] .

كما أورد قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: (وقال جابر بن عبد الله في قوله عز وجل: M S T U V W X L[(٤)] "إنه الشفاعة")[(٥)].

الدراسة: -

إن من خصائص نبينا محمد e الشفاعة العظمى .

وقد دلت الأدلة على إثباتها؛ فمن الكتاب قول الله تعالى: M S T U V W X L[(٦)].

وأما أدلة السنة في إثبات الشفاعة العظمى فهي متظافرة ومتواترة، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيحين أحاديث متعددة وفي السنن والمساند مما يكثر عدده)[(٧)] وكذا أثبت التواتر لها جمع من أهل

---

(١) يونس: ٢.

(٢) معاني القرآن(٣/ ٢٧٦).

(٣) معاني القرآن(٣/ ٢٧٧)وانظر: معاني القرآن - النحاس - (١ / ٥٢٦).

(٤) الإسراء: ٧٩ .

(٥) معاني القرآن(٣/ ٣٨٢-٣٨٣)، وأثر جابر هذا لم أجد من أخرجه، وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت عن النبي ^ وعن عدد من الصحابة، انظر: (تفسير الطبري(١٧/ ٥٢٦-٥٣٢)، تفسير البغوي(٥/ ١١٧-١٢١)، تفسير ابن كثير(٥/ ١٠٣-١١٠).

(٦) الإسراء: ٧٩.

(٧) مجموع الفتاوى - (١/ ٣١٤).

العلم[١].

ومن تلكم الأحاديث قوله r : **(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي.. وأعطيت الشفاعة...)**[٢].

وقوله r : **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة....وأول شافع وأول مشفع)**[٣].

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد؛ يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن نبينا ^ هو الشافع المشفع وأنه سيد ولد آدم وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة وأن الناس يستشفعون به فيطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم فيشفع لهم)[٤].

ب - الشفاعة في أهل الكبائر:-

مما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى:شفاعته r فيمن دخل النار من أمته أن يخرج منها، فقد أثبت رحمه الله تعالى ذلك في قوله:(قد صح عن النبي r أن يشفع لأمته حتى يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان).وعند قول الله تعالى:M فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ ´ µ ¶ ¸ زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ L[٥] أسند رحمه الله تعالى حديث أنس بن مالك في الآية وفيه:(يخرج قوم من النار..... قال قتادة:" لا نقول كما يقول أهل حروراء")[٦] وقد ذكر ذلك في ضمن ما ذكر من الأقوال في الآية.

وأسند كذلك ما ورد عن الضحاك:(أنه تلا حديث الشفاعة، فقال له رجل:

---

(١) انظر:السنة لابن أبي عاصم(٢/٣٩٩)، شرح صحيح مسلم(٣/٣٥)، لوامع الأنوار البهية(٢/٢٠٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم٣٣٥(كتاب التيمم، باب)(ص٨٥)، ومسلم(برقم١١٦٣)كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة).

(٣) أخرجه مسلم برقم٥٩٤٠ (كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا r على جميع الخلائق)(ص١٠٠٨).

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢ / ٦٢٢) ت:محمد عجال ط.الغرباء الأثرية-الأولى-١٤١٧هـ.

(٥) هود: ١٠٦ – ١٠٧.

(٦) معاني القرآن (٣ / ٣٨٣)، والأثر في تفسير الطبري(٢٢/٤٨٢).

إنك من تدخل النار فقد أخزيته. قال: ذلك لهم خزي؛ فمن ادخل النار فقد خزي وإن أخرج منها)[١].

كما نص رحمه الله تعالى على أن المؤمنين يشفعون وذلك بقوله:(وصح عنه أن المؤمنين يشفعون)[٢]، وفي قول الله تعالى:M : ; < = > ? @ L[٣] ذكر قول الحسن البصري رحمه الله تعالى:(استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه، وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا "فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم")[٤]، وعند قول الله تعالى:M ! " # $ L[٥] يقول في بيان معناها:(أي ليس يشفع فيهم الشافعون، ودل بهذا على أن الشفاعة تنفع غيرهم)[٦].

الدراسة: -

إن الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين هي التي وقع فيها النزاع بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم فقد أثبتها أهل السنة للأدلة الواردة في ذلك ومنها: -

قوله r : **(إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد r فيأتوني فأقول: أنا لها فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني**

---

(١) معاني القرآن (١ / ٥٢٦)، والأثر في تفسير الطبري(٢٢ / ٤٨٤).

(٢) إعراب القرآن(٤ / ١٣٤).

(٣) غافر: ١٨.

(٤) معاني القرآن(٦ / ٢١٢) وانظر:(٥ / ٤١٥).

(٥) المدثر: ٤٨.

(٦) إعراب القرآن(٥ / ٧٤).

محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع ....الحديث)[(١)] .

وقوله r : **(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**[(٢)] .

وقد خالف في هذا النوع من الشفاعة الخوارج والمعتزلة بناء على قولهم في حكم مرتكب الكبيرة، فخالفوا بذلك النصوص المتضافرة في إثبات الشفاعة له r في أهل الكبائر.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(وأما الخوارج والمعتزلة: فإنهم أنكروا شفاعة نبينا r في أهل الكبائر من أمته، وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ^)[(٣)].

وقد أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في هذا النوع من الشفاعة أن المؤمنين يشفعون وبذلك صحت الأخبار عن رسول الله r فمن ذلك قوله r :**(إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)**[(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٧٥١٠):(كتاب التوحيد، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (ص١٢٩٣)، ومسلم برقم(٤٧٩):(كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة)(ص١٠٢-١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد(٢٠/٤٣٩)برقم(١٣٢٢٢) و أبو داود في السنة " باب في الشفاعة" رقم ٤٧٣٩، والترمذي (٤/٦٢٥)في صفة القيامة "باب ما جاء في الشفاعة" رقم ٢٤٣٥، وقال: حسن صحيح،، والحاكم ١/١٣٩-١٤٠، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وابن حبان (١٤/٣٨٦) برقم (٦٤٦٧)، وغيرهم، بطرق عن أنس رضي الله عنه، والحديث صحيح، وقد صححه غير واحد، قال الحافظ ابن كثير عن أحد طرقه: (إسناده صحيح على شرط الشيخين) التفسير (٢/٢٨٤)، وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/٢١٦)رقم ٥٥٩٨، وله طرق أخرى عن جابر وابن عباس، وابن عمر وكعب بن عجرة رضي الله عنهم، انظر الشفاعة لمقبل الوادعي ٩٠-٩٤.

(٣) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣ / ٤٨) ت:حسنين مخلوف.ط.دار المعرفة –بيروت- الأولى-١٣٨٦هـ .

(٤) أخرجه مسلم برقم(٦٦١٢):(كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها) (ص١١٣٤).

وفي حديث الشفاعة الطويل:(......**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين)**[١] .

وتفاصيل أنواع الشفاعة، وأدلة كل نوع، وأنواع الشفعاء مذكورة في الكتب المستقلة في بيان ذلك[٢].

٥ - الحوض:

أ - إثباته: -

نقل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عن محمد بن يحي الذهلي مما يجب الإيمان به:(....والحوض... والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم، ولم يعرفوا تفسيرها، فعليهم الإيمان بها والتسليم، بلا كيف، ولا تنقير، ولا قياس، لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[٣].

الدراسة: -

الحوض في اللغة: مجتمع الماء، وجمعه أحواض وحياض[٤].

وشرعا: هو الحوض الذي أعطيه النبي ﷺ في عرصات القيامة مما ثبتت به

---

(١) أخرجه مسلم برقم(٤٥٤):(كتاب الإيمان، باب معرفة طرق الرؤية)(ص٩٤-٩٥).

(٢) انظر: الشفاعة عند المثبتين والنافين –دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة-د.عفاف بنت حمد الونيس وهي رسالة دكتوراة مقدمة لكلية التربية بجامعة الملك سعود ط.دار التوحيد-الأولى -١٤٢٩هـ،الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ط.دارالأرقم-الكويت –الثانية-١٤٠٣هـ، الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها د.ناصر بن عبدالرحمن الجديع ط.دار أطلس-الأولى-١٤١٧هـ.

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ٨٨).

(٤) لسان العرب (١٤١/٧)، مقاييس اللغة(١٢٠/٢)، تاج العروس(٣٠٨/١٨).

النصوص في الكتاب والسنة.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة المتواترة والإجماع على إثبات الحوض لنبينا r .

فمن الكتاب: قول الله تعالى:M V W X L[1] .

ومن السنة: قوله r : **(لما عرج به إلى السماء....قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت:ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)**[2] .

وقوله r : **(حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدا)**[3] .

وقد تواترت الأحاديث بذكر الحوض، يقول السيوطي رحمه الله:(وورد ذكر الحوض في رواية بضع وخمسين صحابيا وهم الخلفاء الراشدون...)[4]، ثم عد الباقين وساق حديث كل واحد منهم.

وأما الإجماع: فقد ذكره عدد من أهل العلم، يقول الأشعري رحمه الله تعالى: (وأجمعوا..... على أن لرسول الله حوضا يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه)[5]، ويقول شيخ الإسلام رحمه الله:(والجنة، والنار، والبعث...والحوض ....فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة)[6].

ب - معنى الكوثر:-

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى اختلاف العلماء في معنى قول الله تعالى:

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) أخرجه البخاري برقم٤٩٦٤(كتاب التفسير، سورة الكوثر)(ص٨٩٠).

(٣) أخرجه البخاري برقم٦٥٧٩(كتاب الرقاق، باب في الحوض)(ص١١٣٨).

(٤) البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي(ص٢١٥)ط.مؤسسة الكتب الثقافية-الأولى-١٤١١هـ.

(٥) رسالة إلى أهل الثغر(ص٢٨٩).

(٦) مجموع الفتاوى(٤٨٦/١١)، وانظر:لوامع الأنوار البهية(١٩٥/٢).

VM W X L[١] فقال:(وقد اختلف العلماء في معناه فعن النبي ^ : إنه الحوض، ولما قال سعيد بن جبير: الكوثر: الخير الكثير، قيل له: فقد قيل إنه الحوض فقال: الحوض من الخير الكثير، وقال الحسن وقتادة: الكوثر: القرآن... وعن عكرمة قال: النبوة والقرآن)[٢].

كما بين معنى الفرط في قول النبي r : **(أنا فرطكم على الحوض)**[٣] "أي: متقدمكم إليه حتى تردوا علي وأفرطته إذا قدمته"[٤].

الدراسة: -

الكوثر لغة: يطلق على عدة معان، يقول الأزهري رحمه الله:(والكوثرُ فوعلٌ من الكثرةِ، ومعناهُ الخَيرُ الكثيرُ)[٥] ومن معانيه: (الكثير من كل شيء، والكثير الملتف من الغبار، والإسلام، والنبوة، ...والرجل الخير المعطاء كالكثير كصيقل، والسيد، والنهر، ونهر في الجنة تتفجر منه جميع أنهارها)[٦].

وقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان معنى الكوثر الذي أعطاه الله تعال لنبيه محمد r ، وقد ذكر جملة من تلكم الأقوال أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، والصواب أنه لا تعارض بين الأقوال في تفسير الكوثر وأنها من باب التفسير ببعض المعنى المراد، يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:(والمقصود أن الكوثر نهر في الجنة وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله رسوله r في الدنيا والآخرة)[٧]، ويقول ابن

---

(١) الكوثر: ١.

(٢) إعراب القرآن(٥/ ٢٩٨)، وانظر في هذه الآثار:تفسير الطبري(٢٤/ ٦٤٢-٦٥٢)، تفسير البغوي (٨/ ٥٥٧-٥٥٩)

(٣) أخرجه البخاري برقم٦٥٧٥ :كتاب الرقاق، باب في الحوض(ص١١٣٨)، ومسلم برقم٥٩٧٨ :كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا r (ص١٠١٦).

(٤) معاني القرآن(٤/ ٧٩).

(٥) تهذيب اللغة(١٠/ ١٠٢).

(٦) القاموس المحيط(ص٤٣٦).

(٧) مجموع الفتاوى(١٦ / ٥٣١).

كثير رحمه الله عن تفسيره بالخير الكثير:(وهذا التفسير يعم النهر وغيره؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحارب بن دِثَار، والحسن بن أبي الحسن البصري. حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن، وثواب الآخرة، وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا)[(١)]

وما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من معنى الفرط مطابق لما جاء في كتب العربية؛ فقد جاء في مختار الصحاح:(والفَرَطُ بفتحتين الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأرسان والدلاء ويمدر الحياض ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع يقال رجل فَرَطٌ وقوم فرط أيضا وفي الحديث: (**"أنا فرطكم على الحوض"**)[(٢)].

٦ - الميزان:

أ - إثباته: -

نقل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عن محمد بن يحي الذهلي مما يجب الإيمان به:(....والميزان....والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم ولم يعرفوا تفسيرها فعليهم الإيمان بها والتسليم بلا كيف ولا تنقير ولا قياس لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ٥٠١).

(٢) مختار الصحاح(ص٥١٧)، وانظر:القاموس المحيط(ص٦٢٦).

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ٨٨).

الدراسة: -

الميزان لغة: يقول ابن فارس في بيان معناه اللغوي:(الواو والزاء والنون: بناءٌ يدلُّ على تعديلٍ واستقامة: ووزَنْتُ الشّيءَ وزْناً)[١].

فالميزان في اللغة يطلق على معان عدة منها: بيان قدر الشيء وقيمته، ويراد به العدل، وغير ذلك[٢].

والوزن شرعا: هو ميزان حقيقي له كفتان يضعه الله عز وجل يوم القيامة لوزن أعمال العباد[٣]، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على إثباته:

فمن الكتاب: قول الله تعالى:M h i j l m n o p q r s t u v w x y z { | } L[٤].

وقوله تعالى: M : ; < = > ? @ A B D E F G H I J K M N O L[٥].

ومن السنة: قوله r : **(كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان)**[٦].

وقوله r : **(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان....)**[٧].

وأما الإجماع: فقد ذكره غير واحد من أهل العلم:يقول الأشعري رحمه الله تعالى: (وأجمعوا على ....أن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد)[٨]، وفي

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦ / ١٠٧).

(٢) لسان العرب(١٣/٤٤٦).

(٣) انظر:لوامع الأنوار البهية(٢/١٨٤)، معارج القبول(٢/٨٤٤-٨٤٦).

(٤) الأعراف: ٨ – ٩.

(٥) الأنبياء: ٤٧.

(٦) أخرجه البخاري برقم٦٤٠٦:كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح(ص١١٢)، ومسلم برقم: ٦٨٤٦كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء(ص١١٧٢).

(٧) أخرجه مسلم برقم٥٣٤: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء(ص١١٤).

(٨) رسالة إلى أهل الثغر(ص٢٨٣).

عقيدة أبي زرعة وأبي حاتم الرازيان:(أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم .... والميزان حق له كفتان)[١].

ب - بيان من يوزن:-

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله ما يدل على أن الوزن للعامل عند قول الله تعالى:M { ~ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا L[٢] وذلك بقوله:(روى أبو هريرة عن النبي r قال: **"يؤتى يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضه اقرءوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا"[٣])[٤].**

وعند قول الله تعالى:M h i j l m n o p q r s t u v w x y z { | } L[٥] يقول:(قال عبيد بن عمير: يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة، قال عمرو بن دينار: إن الميزان له كفتان)[٦].

الدراسة: -

اختلف أهل العلم فيمن يوزن يوم القيامة؛فقيل يوزن العمل، وقيل يوزن العامل، وقيل يوزن صحائف الأعمال، وقيل:إنه يعم ذلك كله، وكل قول من هذه الأقوال قال به طائفة وله أدلته، والذي يظهر أن الذي يوزن العمل وصاحبه

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١ / ١٧٦-١٧٧)، وانظر:فتح الباري(١٣/ ٥٣٨) .

(٢) الكهف: ١٠٥.

(٣) أخرجه البخاري برقم٤٧٢٩(كتاب التفسير، باب سورة الكهف)ص٨٢٢ومسلم برقم٧٠٤٥(كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار)(ص١٢١٥).

(٤) معاني القرآن (٤ / ٢٩٩).

(٥) الأعراف: ٨ – ٩.

(٦) معاني القرآن (٣ / ١١) .

وصحائف الأعمال، وذلك جمعا بين النصوص وإعمالا لها، يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:(فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ^ ، من غير زيادة ولا نقصان)[1]، ويقول ابن كثير رحمه الله:(وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم)[2] ويقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:(والذي أستظهر من النصوص والله أعلم أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينهما، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال قال رسول الله ^ : **(توضع الموازين يوم القيامة؛ فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصى عليه، فيمايل به الميزان قال فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز و جل يقول: لا تعجلوا؛ فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان)**[3] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الاخرى وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة)[4].

وأما كون الميزان له كفتان:فقد دل عليه حديث صاحب البطاقة السابق.

وبه يعلم أن ظاهر اختيار أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى من أن الوزن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٦١٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٠).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ:أحمد في المسند(١١/٦٣٧)برقم(٧٠٦٦)، والحديث حسن؛فقد قال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/٢٥)":رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح"، وحسن إسناده شعيب الأرناؤط في تعليقه على المسند.

(٤) معارج القبول (٢ / ٨٤٨).

للعامل هو أحد الأقوال في المسألة،وأن الصواب هو أن الوزن يعم العمل والعامل وصحائف الأعمال.

٧- الرؤية:

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الرؤية في الآخرة:فقال فيما حكاه عن الإمام الذهلي رحمه الله في قوله:(السنة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس، وأبي عبد الرحمن بن عمر، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأحمد بن حنبل، وعليه عهدنا أهل العلم، أن الله جل وعز يرى في الآخرة بالأبصار يراه أهل الجنة فأما سواهم من بني آدم فلا، قال: والحجة في ذلك أحاديث مأثورة عن النبي ^ أنه قيل له: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة.... وذكر الحديث.

قال محمد بن يحيى: وأن الإيمان بهذه الأحاديث المأثورة عن رسول الله r في رؤية الرب في القيامة .... والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم، ولم يعرفوا تفسيرها، فعليهم الإيمان بها والتسليم بلا كيف، ولا تنقير، ولا قياس، لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[1].

وقد ذكر ذلك كله عند قول الله تعالى:M (* + , - . / L[2].

كما نقل الأقوال في الآية فقال:(وفي "ناظرة" ثلاثة أقوال منها: أن المعنى منتظرة، ومنها: أن المعنى إلى ثواب ربها، ومنها: أنها تنظر إلى الله جل وعز) ثم أوضح خطأ القولين الأولين من جهة الشرع واللغة فقال:(قال أبو جعفر: أما قول من قال معناه منتظرة فخطأ؛ سمعت علي بن سليمان يقول: نظرت إليه بمعنى انتظرته، وإنما يقال نظرته، وهو قول إبراهيم بن محمد بن عرفة وغيره ممن يوثق

---

(١) إعراب القرآن - (٥ / ٨٨).

(٢) القيامة: ٢٢ - ٢٣ .

بعلمه، وأما من قال: إن المعنى إلى ثواب ربها فخطأ أيضا على قول النحويين الرؤساء؛ لأنه لا يجوز عندهم ولا عند أحد علمته نظرت زيدا أي نظرت ثوابه)[١]، وقال:(ونحن نذكر الاحتجاج في ذلك من قول الأئمة والعلماء وأهل اللغة إذ كان أصلا من أصول السنة، ونذكر ما عارض به أهل الأهواء ونبدأ بالأحاديث الصحيحة عن الرسول r إذا كان المبين عن الله جل وعز)[٢]ثم ساق بالإسناد ثمانية أحاديث في إثبات الرؤية، ومنها:

قوله r : **(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل ثناؤه إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)**[٣] .

وقوله r : **(إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فما شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة)**[٤] .

وأسند عن يزيد يعني ابن هارون لما حدث بهذا الحديث قال:(من كذب بهذا الحديث فهو زنديق أو كافر)[٥].

وأسند حديث جرير البجلي t قال: خرج علينا رسول الله r فقال: **(إنكم**

---

(١) إعراب القرآن - (٥ / ٨٤).

(٢) إعراب القرآن - (٥ / ٨٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم(٤٨٧٨)(كتاب التفسير، باب قوله:ومن دونهما جنتان)(ص٨٦٤)، ومسلم برقم (٤٤٨) (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى)(ص٩٢).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ:أحمد(٣١/ ٢٧٠)برقم١٨٩٤١ وابن ماجه(كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية)(١/ ٦٧)برقم(١٨٧) وابن خزيمة في التوحيد(١/ ٢٧٧-٢٧٨)برقم٢٥٩ وغيرهم، والحديث صحيح وقد صححه الألباني، انظر:ظلال الجنة(١/ ٢٣٨)، وشعيب الأرناؤط في تعليقه على المسند(٣١/ ٢٧٠).

(٥) السنة لعبدالله (١/ ٢٣٢)، صريح السنة(ص٢٠).

ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته يعني القمر) .

ثم ذكر عقيبه قول حسين الجعفي: (على رغم أنف جهيم والمريسي)[(١)].

كما أورد رحمه الله تعالى كلام ابن جرير الطبري في مسألة الرؤية وذكر استدلالات المخالفين ونقضها، وسأنقله بشيء من الاختصار والتصرف اليسير لطوله:

يقول أبو جعفر:(فأما قوله جل وعز: Mقَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ © إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي L[(٢)] فمما لا يحتاج إلى حجة لأن فيه دليلا على النظر إذ كان موسى ^ مع محله لا يجوز أن يسأل ما لا يكون فدل على أن هذا جائز أن يكون وكان الوقت الذي سأله في الدنيا فالجواب أنه لا يراه في الدنيا أحد)[(٣)].

كما نقل قول عطية العوفي رحمه الله قال:(هم ينظرون إلى الله عز وجل لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله:] 5 6 7 Z.

ثم عقب ذلك بذكر شيء مما استدل به منكروا الرؤية فقال:(قال-يعني ابن جرير- واعتل قائلو هذه المقالة بقوله جل وعز M 8 9 : ; L[(٤)]والغرق غير موصوف بأنه رآه، قالوا: فمعنى لا تدركه الأبصار من معنى لا تراه بعيدا؛ لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه مثل حتى إذا أدركه الغرق فكذا قد يرى الشيء الشيء ولا يدركه، ومثله M $ % & ' ( ) L[(٥)] وقد كان أصحاب فرعون رأوهم ولم يدركوهم، وقد قال جل ثناؤه M . / 0 L[(٦)] فإذا كان الشيء قد يرى الشيء لا يدركه ويدركه ولا يراه علم أن لا تدركه الأبصار من معنى لا تراه

---

(١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد(٢/ ٥٢٨)، شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين(ص٨٥).

(٢) الأعراف: ١٤٣.

(٣) إعراب القرآن - (٥ /٨٩).

(٤) يونس: ٩٠.

(٥) الشعراء: ٦١ .

(٦) طه: ٧٧ .

الأبصار بمعزل وأن معنى ذلك لا تحيط به الأبصار لأن الإحاطة به غير جائزة والمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم جل وعز ولا تدركه أبصارهم بمعنى لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يكون يوصف الله بأن شيئا يحيط به...... إذ كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية؛ لأن معنى الإدراك "الإحاطة" كما قال ابن عباس:"لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها")[1].

ثم ذكر استشكالا من منكري الرؤية وجوابه فقال:(فإن قيل: وما أنكرتم أن يكون معنى "لا تدركه الأبصار" لا تراه، قلنا له: أنكرنا ذلك؛ لأن الله أخبر في كتابه أن وجوها في القيامة إلى الله سبحانه ناظرة، وأخبر النبي r أنهم سيرون ربهم جل وعز يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس ليس دونها سحابة، فكتاب الله يصدق بعضه بعضا، فعلم أن معنى "لا تدركه الأبصار" غير معنى "إلى ربها ناظرة"...)[2] .

ثم نقل عن ابن جرير رحمه الله قوله:(قال محمد بن جرير: وإنما ذكرنا هذا ليعرف من نظر، نعني فيه أنهم لا يرجعون من قولهم إلَّا إلى ما لبس عليهم الشيطان مما يسهل على أهل الحق البيان عن فساده ولا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل ولا رواية عن الرسول صحيحة ولا سقيمة فهم في الظلماء يخبطون وفي العمياء يترددون نعوذ بالله من الحيرة والضلالة)[3].

الدراسة: -

ثبتت رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة بدليل الكتاب والسنة والإجماع.

فأدلة الكتاب: قول الله تعالى:M (* + , - . / L[4].

---

(١) إعراب القرآن(٥/ ٩١) .

(٢) إعراب القرآن(٥/ ٩٠).

(٣) إعراب القرآن(٥/ ٩١).

(٤) القيامة: ٢٢ – ٢٣.

وجه الدلالة من الآية: (إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بإلى خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين وإخلاء الكلام من قرينه تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بإلى خلاف حقيقة وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله)[١]وفي تفسير الآية بأنها النظر إلى وجه الله تعالى يقول ابن القيم رحمه الله:(وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث)[٢].

وقـــول الله تعـــالى:M " # $ % ' ( ) * + , .
/ 0 2 3 4 L[٣] فقد ذكر البيهقي رحمه الله عند هذه الآية ما يبين دلالتها بقوله: (وقد فسر رسول الله r المبين عن الله عز و جل فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن الزيادة في هذه الآية النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى وانتشر عنه وعنهم إثبات رؤية الله عز و جل في الآخرة بالأبصار)[٤]، وقد نقل غير واحد الإجماع على تفسير الزيادة بالنظر إلى الله تعالى.

وأما أدلة السنة: فقد تواترت الأحاديث عن النبي r بإثباتها[٥]، وقد ساق جملة منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، وجمعها غير واحد من أهل العلم في مصنف

---

(١) حادي الأرواح(ص٣٧٢) .

(٢) حادي الأرواح(ص٣٧٣) .

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) الاعتقاد(ص١٢٠).

(٥) ممن نص على تواتر أحاديث الرؤية:الأشعري في الإبانة(ص٤٨)، الآجري في الشريعة(١/ ٩٨١)، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة(٣/ ٤٧٠)، ابن القيم في حادي الأرواح (ص٣٧٣) وغيرهم.

مستقل[١]، يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:(وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها)[٢]

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة على إثباتها، وقد حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم[٣]، يقول ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر أحاديث الرؤية:(وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهُدَاة الأنام)[٤].

وأما ما ذكر عن مجاهد رحمه الله من تفسيره لقوله تعالى"ناظرة"بأنها:تنظر إلى ثواب ربها فيقول الإمام الدارمي رحمه الله تعالى:(واحتج محتج منهم بقول مجاهد M (* + , - . / L[٥] قال: تنتظر ثواب ربها.

قلنا: نعم تنتظر ثواب ربها ولا ثواب أعظم من النظر إلى وجهه تبارك وتعالى)[٦].

ثم إن أثر مجاهد لا تعارض به النصوص الصريحة الثابتة في إثبات الرؤية، يقول ابن عبدالبر رحمه الله:(قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابته عن النبي r، وأقاويل الصحابة، وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه

(١) ومن هذه الكتب: التصديق بالنظر إلى لآخرة للآجري، رؤية الله للدارقطني، رؤية الله لابن النحاس.

(٢) تفسير ابن كثير (٨ /٢٧٩)

(٣) انظر: الرد على بشر المريسي للدارمي(٢/٧٢٢)، الإبانة للأشعري(ص٤٨)، شرح أصول اعتقادأهل السنة والجماعة للالكائي(١/١٨٥)، الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي(ص١٢٥)ت:أحمد عطية الغامدي، ط.مكتبة العلوم والحكم-المدينة النبوية-الأولى-١٤١٤هـ، شرح صحيح مسلم للنووي(١٥/٣)، مجموع الفتاوى(٦/٥١٠، ٥١٢) وغيرها.

(٤) تفسير ابن كثير (٨ /٢٨٠).

(٥) القيامة: ٢٢ – ٢٣.

(٦) الرد على الجهمية للدارمي (١ / ١٢٨)، وانظر:الرد على الجهمية لابن منده(ص٥٥)ت:علي الفقيهي ط.المكتبة الأثرية، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية(٣/٧٣-٧٤)ت:عثمان الأثيوبي ط.مكتبة الراية.

جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم r ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله r)[١].

وما أورده أبو جعفر النحاس عن ابن جرير الطبري رحمهما الله تعالى من أن منكري الرؤية قد استدلوا ببعض الآيات ثم عقب ذلك بالرد عليهم كاف في بيان بطلان ما استدلوا به، وفي بيان موافقته لعقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

٨ - الجنة والنار:-

أ - خلق الجنة والنار ووجودهما الآن:-

قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وجوب الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان غير فانيتين فقال فيما نقله عن الإمام الذهلي رحمه الله:(......والنار والجنة أنهما مخلوقتان.... والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها وإن لم تبلغه عقولهم ..... قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[٢].

الدراسة: -

دلت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على خلق الجنة والنار، وعلى وجودهما الآن.

فأما أدلة الكتاب: قول الله تعالى عن الجنة:M " # $ % & ' ( ) * + , L[٣]، وقوله تعالى:M h i j k l m n o p q L[٤] وقوله سبحانه عن النار:Mأُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ L[٥]، في آيات كثيرة.

---

(١) التمهيد - (٧ / ١٥٧).

(٢) إعراب القرآن (٥ /٨٨) .

(٣) آل عمران: ١٣٣ .

(٤) الحديد: ٢١.

(٥) البقرة: ٢٤.

وأما أدلة السنة: فعن ابن عمر y أن رسول الله r قال: **(إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة)**[١] .

وأما الإجماع: فقد حكى إجماع السلف على المسألة غير واحد يقول الصابوني رحمه الله: (ويشهد أهل السنة: أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان، لا يفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون منها أبداً)[٢] .

ويقول ابن أبي العز رحمه الله:(اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن...)[٣].

ب - بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما:-

حكى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول الذهلي: (السنة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس، وأبي عبد الرحمن بن عمر، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأحمد بن حنبل، وعليه عهدنا أهل العلم.......
والنار والجنة أنهما مخلوقتان غير فانيتين......

قال أبو جعفر: فهذا كلام العلماء في كل عصر المعروفين بالسنة)[٤].

كما ذكر كلام أهل العلم في الاستثناء الوارد في قول الله تعالى:M فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم١٣٧٩كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي(ص٢٢١)، ومسلم برقم٧٢١١كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه(ص١٢٤٢).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٣٦٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٦١٤).

(٤) إعراب القرآن (٥ / ٨٨).

´ µ ¶ ¸ زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ à L[1] فقال: (في هذا أجوبة؛ منها: أن العرب خوطبت على ما تعرف وتستعمل وهم يقولون: لا أكلمك ما اختلف الليل والنهار، وما دامت السماوات والأرض يريدون بذلك الأبد، ويكون معنى "إلا ما شاء ربك" سوى ما شاء ربك من زيادة أهل النار في العذاب، وأهل الجنة في النعيم، وقد صح أنهم يزادون، وقيل معنى إلا معنى سوى أيضا إلا أن المعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة في الخلود، وهذان قولان حسنان لأنه معروف في اللغة أن يقال لك عندي كذا وكذا إلا كذا وسوى كذا وغير كذا)[2]، ثم ساق الأقوال الأخرى في الآية.

وفي قول الله تعالى: Mلَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا L[3] يقول:(وفي هذه الآية إشكال لقوله جل وعز Mلَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا L وهم لا يخرجون منها فمن أحسن ما قيل فيها أن قتادة قال: لابثين فيها أحقابا لا انقطاع لها ...... فأما أهل اللغة فقولهم إن الحقب والحقبة يقعان للقليل من الدهر والكثير، ..... قال أبو جعفر: فسألت أبا إسحاق عنها فقال: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول: المعنى لابثين فيها أحقابا هذه صفتها أي: يعذبون بهذا العذاب في هذه الأحقاب، لا يذوقون فيها إلا الحميم والغساق، ويعذبون بعد هذا العذاب بأصناف من العذاب غير هذا، وهذا جواب نظري بين، وهو قول ابن كيسان)[4].

---

(١) هود: ١٠٦ – ١٠٨.

(٢) معاني القرآن(٣/٣٨١-٣٨٣).

(٣) النبأ: ٢٣.

(٤) إعراب القرآن(١٣٠-١٣١).

الدراسة: -

دلت النصوص من كتاب الله وسنة نبيه r وأقوال السلف على بقاء الجنة والنار وأنهما غير فانيتين.

فدليل الكتاب عن الجنة: قوله تعالى: M z { | } ~ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ L[1] وقوله تعالى: M p q r s t u v w x y z { | ~ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا L[2].

وقال سبحانه وتعالى عن النار: M وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا ´ µ ¶ ¸ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ L[3] وقال تعالى: M إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L[4]، والآيات في بيان الخلود لأهل الدارين كثيرة.

وأما الأدلة من السنة: فقوله r: (**يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال. يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال: يا أهل النار: هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت...**)[5].

وقال r: (**يُدخل الله أهل الجنة الجنة، ويُدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن**

---

(١) البقرة: ٨٢.

(٢) النساء: ٥٧.

(٣) الأعراف: ٣٦.

(٤) النساء: ١٦٩.

(٥) أخرجه البخاري: برقم(٤٧٣٠) كتاب التفسير، باب قوله عز وجل چ ٱ ٻ ٻ چ مريم: ٣٩ (ص٨٢٣) و مسلم(برقم ٧١٨١) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء(ص١٢٣٦) واللفظ له.

بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه)[(١)] .

وقال عليه الصلاة والسلام: (**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أُتي بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)**[(٢)] .

وأما أقوال سلف الأمة وعلمائها في تقرير عقيدة خلود الجنة والنار وأبديتهما، وأنهما لا تفنيان، فهي متكاثرة ومشتهرة ومنها:-

١ - قال الإمام أحمد رحمه الله: (وإن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلاً، ونعيمها دائم، ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر، وخلق النار قبل خلقه الخلق، وخلق لها أهلاً وعذابها دائم)[(٣)] .

٢ - وقال أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي - رحمهما الله -: (والجنة حق، والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبداً، والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله عزّ وجل)[(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري (برقم٦٥٤٩) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار(ص١١٣٤)، ومسلم (برقم٧١٨٣)كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء(ص١٢٣٧)واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (برقم٦٥٤٤) كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار(ص١١٣٣)، ومسلم (برقم٧١٨٤) كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، واللفظ له (ص١٢٣٧).

(٣) انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/٣٤٤)ت:محمد الفقي، ط.دار المعرفة-بيروت.، الرد على الزنادقة للإمام أحمد (ضمن عقائد السلف جمع النشار وطالبي ص١٠١)، المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل للأحمدي ٢/٢٢٥ - ٢٢٦.

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/١٧٧، عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي للحداد ص٢٠١.

٣- وقال الطحاوي رحمه الله: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان)[١]

٤-وقال الإمام البربهاري رحمه الله: (وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار، والعرش والكرسي، والصور، والقلم، واللوح ليس يفنى شيء من هذا أبداً)[٢] .

٥- وقال ابن أبي زمنين رحمه الله: (وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان، ولا يموت أهلوها... ولو لم يذكر الله - تبارك وتعالى - الخلود إلا في آية واحدة لكانت كافية لمن شرح الله صدره للإسلام، ولكن ردد ذلك ليكون له الحجة البالغة)[٣]

وأما الإجماع: فقد حكى الإجماع على أبدية الجنة وعدم فنائها ودوام نعيمها جماعة من أهل العلم ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة، وأما النار فقد اختلف أهل العلم في بقائها ودوامها وخلود أصحابها على أقوال متعددة، وقول جمهور أهل السنة من السلف والخلف على أنها باقية غير فانية، وأن عذابها دائم، وقد حكى بعضهم إجماع السلف على ذلك[٤].

وقد نسب إلى بعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى القول بفناء النار، وانقسم الناس في فهم ما ورد عنهما إلى مذاهب عدة، وقد ألف في ذلك عدة مؤلفات [٥].

---

(١) العقيدة الطحاوية ص١٢، وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية ٢/ ٦٢٠: (هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف).

(٢) شرح السنة ص٣٣.

(٣) أصول السنة ص١٣٩ – ١٤٠، وانظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث(ص٣٦٤).

(٤) انظر: الشرح والإبانة(٢٢٧)، وممن حكى الإجماع على عدم فناء النار:ابن حزم في مراتب الإجماع(ص١٧٣)ط.دار زاهد القدسي، وشيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية(١/ ٥٨١)ومرعي الحنبلي في توقيف الفريقين(ص٧٦)، جلاء العينين(٤٧٩-٤٨٧)، لوامع الأنوار البهية(٢/ ٢٣٤).

(٥) انظر في المسألة: الرد على من قال بفناء النار لشيخ الإسلام، تحقيق:أ.د.محمد السمهري، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني، ت:الشخ الألباني ط.المكتب الإسلامي-الأولى١٤٠٥هـ، =

ومما سبق ذكره يتبين موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لعقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الجنة والنار، وأنهما لاتفنيان.

❖ ❖ ❖

= كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار د.علي الحربي اليماني ط.طيبة-مكة-الأولى، دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام(٦٠٨-٦٢٤)د.عبدالله بن صالح الغصن، ط.دار ابن الجوزي-الأولى-١٤٢٤هـ.

المبحث الثاني:
آراؤه في الإيمان بالقدر

وفيه ستة مطالب: -

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر .

المطلب الثاني: مراتب الإيمان بالقدر .

المطلب الثالث: الهدى والضلال .

المطلب الرابع: أفعال العباد .

المطلب الخامس: الاحتجاج بالقدر على المعاصي .

المطلب السادس: الأسباب وعلاقتها بالقضاء والقدر.

المطلب الأول: معنى القضاء والقدر

لم أجد بعد التتبع لأبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى كلاما مستقلا في بيان معنى القضاء أو القدر، غير أنه ذكر في مواضع متفرقة من كتبه ما يدل على ذلك؛فعند قول الله تعالى: Mلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ L[١] يقول في معناها:(أي لكل أمة كتاب مكتوب وأمر مقدر مقضي تقف عليه الملائكة ليعلم بذلك قدرة الله جل وعز)[٢] .

وفي بيان معنى قول الله تعالى:M< ? @ A B L[٣] يقول:(ألف وصل من قضى يقضي، قال الأخفش، والكسائي: هو مثل وقضينا إليه ذلك الأمر؛ أي: أنهيناه إليه، وأبلغناه إياه، وروي عن ابن عباس قال: امضوا إلي ولا تؤخرون.

قال أبو جعفر: هذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى الميت أي مضى)[٤].

ولما ذكر قول الله تعالى:Mمِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ L[٥]بين ما في الآية من أقوال ثم قال:(وقال بعض العلماء هذا معنى قضاء الله وقدره أنه كتب كل ما يكون ليعلم الملائكة عظيم قدرته جل وعز)[٦].

الدراسة: -

القضاء في اللغة: يقول ابن فارس رحمه الله تعالى:(القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه)[٧] .

---

(١) الرعد: ٣٨.

(٢) إعراب القرآن - (٢ / ٣٥٩).

(٣) يونس: ٧١ .

(٤) إعراب القرآن - (٢ / ٢٦٢) .

(٥) الحديد: ٢٢.

(٦) إعراب القرآن - (٤ / ٣٦٥).

(٧) معجم مقاييس اللغة(٥/ ٩٩)

ويطلق القضاء على عدة معان: الأمر، والأداء، والحكم، والفراغ، والإعلام، والموت.

والقدر في اللغة: مصدر قدَر يَقدر قَدَراً[١].

يقول ابن فارس رحمه الله (القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته)[٢].

ويطلق القدر على عدة معان منها: الحكم، والقضاء، والطاقة، والتضييق، والتقدير[٣].

والمراد بالقضاء والقدر في الشرع: علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه لوقوعها، وخلقه جل وعز لها على ما سبق به علمه وكتابته ومشيئته[٤].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٦٩-١٧١)، لسان العرب (١٥/ ١٨٦-١٨٧)، القاموس المحيط (١٧٠٨).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)

(٣) انظر: العين (٥/ ١١٢)، لسان العرب (٥/ ٧٤-٧٥)، القاموس المحيط (٥٩١).

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ١٤٢)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨-١٤٩).

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر.

دلت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه r على أن الإيمان بالقضاء والقدر يتضمن أمورا عدة، اصطلح أهل العلم على تسميتها بمراتب القضاء والقدر، وهي على التفصيل أربع مراتب، وبتتبع ما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى منها فإني سأجمع كلامه حول كل مرتبة، وأعقبه بدراسة ما يورده: -

المرتبة الأولى: العلم.

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما يدل على إثبات هذه المرتبة في مواطن كثيرةمن كتبه، ومن ذلك قوله: (هو أعلم بما تعملون، وما أنتم صائرون إليه حين ابتدأ خلق أبيكم من تراب، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم منكم لما إن كبرتم)(١) وقوله: (الله أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ولله الحكمة التامة)(٢)

وفي بيان معنى قول الله تعالى: M O P Q R S T U V W X Y Z L(٣) يقول: (أي: إلى طريق الحق وهو الإسلام وذلك في سابق علمه)(٤) وقوله مبينا شيئا من علم الله: (لأنه علم قبل أن يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والأرض من شيء، وعلم ما فيه من مثاقيل الذر، وعلم الأجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو، وما في الشجرة من ورقة، وما فيها من ضروب الخلق، وما يتصرف فيه من ضروب الطعم واللون، فلو سمى كل دابة وحدها وسمى أجزائها على ما يعلم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه في الأحوال وما زاد فيها في كل زمان وبين

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٢٧٥).

(٢) معاني القرآن (٥ / ١٨٩).

(٣) النجم: ٣٠.

(٤) إعراب القرآن (٤ / ٢٧٤).

كل شجرة وحدها وما تفرعت عليه وقدر ما ييبس من ذلك في كل زمان)[١].

وعنـد قـول الله تعـالى:M ! " # $ % & ' ( ) (* + , -

. / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 L[٢] يقول:(وأولى ما قيل في الآية ما رواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما:(& ') ( )قال: في سابق علمه.

قال سعيد بن جبير:(& ') ( )أي: على علم قد علمه منه)[٣].

الدراسة: -

المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم، ومعناها:(الإيمان بعلم الله عزوجل المحيط بكل شيء من الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم، وآجالهم، وأحوالهم، وأعمالهم، في جميع حركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك، وجليله، وكثيره، وقليله، وظاهره، وباطنه، وسره، وعلانيته، ومبدأه، ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته)[٤].

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على هذه المرتبة:

فأدلة الكتاب قول الله تعالى: Mوَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ

---

(١) معاني القرآن(٥/ ٢٩١)وانظر: (١/ ٨٧، ٢٦٢، ٢٩٧) (٥/ ٤١٤)(٦/ ١٦٤) .

(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) إعراب القرآن (٤ /١٤٨)وانظر: (٢ /٣٣٩)و(٣ /٣٣، ٤١، ١٣١)و(٤/ ٣٧٥) و(٤/ ٤٥٧) و(٥/ ٢٠٦).

(٤) معارج القبول (٣ / ٩٢٠).

مُّبِينٍ L[(١)] وقوله تعالى:M , - . / 0 1 2 L[(٢)] وقوله تعالى:M q r s t u v w x y { | } ~ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ L[(٣)].

ومن السنة: قوله r في أطفال المشركين: **(الله أعلم بما كانوا عاملين)**[(٤)]، وفي حديث عمران بن حصين:(....إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله r فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم r وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: لا، بل شيء قضي عليهم، ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: M 8 9 : ; < = > L[(٥)])[(٦)]، وغير ذلك من الأحاديث.

وأما الإجماع فيقول ابن القيم رحمه الله:(فأما المرتبة الأولى: وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة...)[(٧)].

المرتبة الثانية: الكتابة: -

أثبت هذه المرتبة أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتبه،

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) الملك: ١٤.

(٣) الحج: ٧٠.

(٤) سبق تخريجه(ص ٦٩).

(٥) الشمس: ٧ – ٨.

(٦) أخرجه مسلم (برقم ٦٧٣٩)(كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته)(ص١١٥٤) .

(٧) شفاء العليل(١/ ١٣٣) .

ومن ذلك: قوله في معنى قول الله تعالى:M Y [\ ] L[1]: (التوقيف جاء أنه القلم الذي كتب به في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة)[2]، ويقول أيضا عند قول الله تعالى:Mكَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورًا L[3]: (مسطورا: أي مكتوبا يقال سطر إذا كتب)[4].

وعند قول الله تعالى:Mمَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمۡ © فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L[5] بين رحمه الله تعالى الأقوال في الآية ثم قال:(وقال بعض العلماء هذا معنى قضاء الله وقدره أنه كتب كل ما يكون ليعلم الملائكة عظيم قدرته جل وعز Mإِنَّ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L لأنه جل وعز إنما يقول للشيء كن فيكون)[6].

الدراسة: -

المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر: مرتبة الكتابة، وهي:(الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء)[7].

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على هذه المرتبة فأدلة الكتاب قول الله تعالى:MC D E F G H I J K L M N P Q R S T U W X Y Z L[8] وقوله تعالى:M إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ ´ µ ¶

---

(١) القلم: ١.

(٢) إعراب القرآن(٥/ ٥) .

(٣) الإسراء:٥٨.

(٤) معاني القرآن (٤ / ١٦٦).

(٥) الحديد: ٢٢.

(٦) إعراب القرآن(٤/ ٣٦٠)وانظر: معاني القرآن (٢/ ٤٣٧)(٣/ ٣٨٥)، وإعراب القرآن: (١/ ٤١٣) (٢/، ٦٩، ٣٥٩)(٣/ ٤١، ١١٨) (٤/ ٣٦٥، ٣٦٦)(٤/ ٣٨٢) (٥/ ٥) .

(٧) انظر:معارج القبول(١/ ١٥٤).

(٨) الأنعام: ٣٨ .

وقولـــه تعـــالى:M q r s t u vw x y { | } ~ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ L[٢]، والآيـات في إثبـات هــذه المرتبــة كثيرة. وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ L[١]

ومـن السـنة: قولـه r : **(كتـب الله مقـادير الخلائـق قبـل أن يخلـق السـماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)**[٣] وقوله r : **(... ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعـالى مكانها مـن الجنـة والنـار وإلا وقـد كتبت شقية أو سعيدة....)**[٤] .

المرتبة الثالثة: المشيئة: -

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى هذه المرتبة، وتحدث عنهـا في أكثـر مـن موطن، ومن ذلك أنه لما أورد قوله تعالى:M A B C D E F G H I J K L M L[٥] قال في معناها:(أي: فمن شاء اتخذ إلى رضاء ربـه طريقـا بطاعـة الله عز وجل والانتهاء عن معاصيه (**وَمَا تَشَآءُونَ**) اتخاذ السبيل إلا بأن يشاء الله ذلك لأن المشيئة إليه)[٦].

وعنـــد قـــول الله تعـــالى:Mلِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ

---

(١) يس: ١٢.

(٢) الحج: ٧٠.

(٣) أخرجـه مسـلم:بـرقم(٦٧٤٨)(كتـاب القـدر، بـاب حجـاج آدم وموسـى صـلى الله علـيهما وسـلم)(ص١١٥٦).

(٤) أخرجه البخاري:برقم(١٣٦٢)(كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حولـه)، ومسلم بر قم(٦٧٣١)(كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه....)(ص١١٥٣).

(٥) الإنسان: ٢٩-٣٠.

(٦) إعراب القرآن (٥ / ١٠٩).

ﭐلۡعَٰلَمِينَ L[١] يقول: (في معناه قولان: أحدهما: وما تشاءون أن تستقيموا أي: تتبعوا الحق (إلا أن يشاء الله).

والقول الآخر: أنه منهم؛ أي: ما تشاءون يشاء من الطاعة والمعصية] إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ Z ذلك منكم ولولم يشأ لحال بينكم وبينه)[٢].

الدراسة: -

المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر مرتبة المشيئة، ومعناها:(الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن . فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة . وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه)[٣].

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة عليها.

فمن نصوص الكتاب قول الله تعالى:M H I J K L M L[٤] وقوله تعالى:M f g h i j L[٥].

ومن السنة قوله r : **(لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إن الله يفعل ما يشاء لا مكره له)**[٦] .

---

(١) التكوير: ٢٨-٢٩.

(٢) إعراب القرآن (٥ / ١٦٥)، وانظر: إعراب القرآن(٢/ ١٣٩) (٤/ ٧٢)ومعاني القرآن (٢/ ٤٢٠) (٣/ ٥٥) (٤/ ٥٨).

(٣) بحث:وسطية أهل السنة في القدر د.عواد المعتق ضمن مجلة البحوث الإسلامية (٣٤ / ٢٢٣-٢٢٤)، وانظر:معارج القبول(٣/ ٩٤٠)،الإيمان بالقضاء والقدر د.محمد الحمد(ص٧٢)ط.دار ابن خزيمة-الثانية-١٤٢٨هـ.

(٤) الإنسان: ٣٠.

(٥) الحج: ١٨.

(٦) أخرجه البخاري: (برقم٧٤٧٧)كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (ص١٢٨٨).

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم[١]، يقول أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله حاكيا مذهب أهل السنة والجماعة:(ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم ما شاء الله كان وما لايشاء لا يكون)[٢]، وقال ابن بطة العكبري رحمه الله (أهل التوحيد مجمعون على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السماوات ولا في الأرض إلا ما أراده الله U وشاءه وقضاه)[٣]، ويقول ابن القيم رحمه الله عن هذه المرتبة:(هذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وأن كان منهم في موضع آخر)[٤].

المرتبة الرابعة: الخلق:-

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى هذه المرتبة وذلك في مواطن عديدة من كتبه، ومن ذلك ما نقله عند قول الله تعالى: M وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ L[٥] بقوله:(قال أبو عبيد: أي وما تعملون منه الأصنام وتنحتونه وهو الخشب والحجارة وغيرهما .قال قتادة:وما تعملون بأيديكم.

(١) انظر:تأويل مختلف الحديث(ص١٦)، عقيدة السلف للصابوني(ص٢٨٥)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني(٢/ ٤٣٤)، معارج القبول(٣/ ٩٤٠).
(٢) اعتقاد أئمة الحديث(ص٥٧).
(٣) الشرح والإبانة(ص١٩٤).
(٤) شفاء العليل(١/ ١٧١).
(٥) الصافات: ٩٦.

ويجوز أن يكون ما نفيا أي وما تعملونه ولكن الله خالقه، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي: وعملكم)(١).

كما نقل قول الحسن البصري رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(٢) بقوله: (وقال حماد بن سلمة حدثنا حميد الطويل قال: قلت للحسن من خلق الشر؟ فقال: سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز؟ الله خلق الخير والشر)(٣).

ويقول أيضا: (علم قبل أن يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والأرض من شيء)(٤).

الدراسة: -

المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر (الخلق)، ومعناها: (الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه)(٥).

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على هذه المرتبة.

فمن أدلة الكتاب: قول الله تعالى: M _ ` a b d e f g g

---

(١) معاني القرآن(٦/ ٤٥).

(٢) فاطر: ٣.

(٣) إعراب القرآن(٣/ ٣٦٠)، والأثر أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة(٢/ ٤٢٧)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة(٢/ ٧٦)وغيرهما.

(٤) معاني القرآن(٥/ ٢٩١) وانظر في كلام أبي جعفر النحاس عن هذه المسألة: معاني القرآن (٥/ ٢٦٢، ٢٩١) و(٦/ ٤٥، ١٨٩)، إعراب القرآن (١/ ٣٤٠) و(٢/ ١٠١، ٨٨) و(٣/ ٣٦٠) و(٤/ ٢٢).

(٥) معارج القبول (٣ / ٩٤٠).

h L[١]، وقوله تعالى:Mوَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا L[٢]، وقوله تعالى:M وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ L[٣].

ومن السنة:قوله r : **(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)**[٤]، وقوله r : **(اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّها، أنت وليها ومولاها)**[٥].

وقد حكى الإمام ابن القيم رحمه الله الإجماع على هذه المرتبة بقوله:(وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم، وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار)[٦].

---

(١) الزمر: ٦٢.

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) الصافات: ٩٦.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد(٢/ ٦٦)(برقم١٢٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٦) برقم(٣٦٧)، والحاكم في المستدرك(١/ ٨٥)برقم(٨٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٦٤) برقم(٨٢٥) كلهم من طريق أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة، والحديث صحيح وقد صححه الهيتمي(٧/ ١١٧)، ومحقق كتاب السنة لابن أبي عاصم الدكتور باسم الجوابرة(١/ ٢٥٦).

(٥) أخرجه مسلم برقم(٦٨٧٣)(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره) (ص١١٧٦)

(٦) شفاء العليل (١/ ١٩٣) ومنهاج السنة(٣/ ١٢٨)

المطلب الثالث: الهدى والضلال

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الهدى والضلال بيد الله تعالى فهو الذي يهدي ويضل، وأن للعبد فعلا للطاعة والمعصية على الحقيقة ليس يفعل ذلك أحد غيره، ومن ذلك ما أورده عند قول الله تعالى:M N O P Q R S T U V W L[1] بقوله:(أهل التفسير مجمعون فيما علمته على أن المعنى ما أنتم بمضلين أحدا إلا من قدر الله جل وعز عليه أن يضل؛ فروى فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم قال:" ليس بتابعكم على عبادة آلهتكم وعبادتكم إلا من كتب الله جل وعز عليه أن يصلى الجحيم"، وروى عمر بن ذر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "ما أنتم بمضلين إلا من هو صال الجحيم"، وعن ابن عباس:"ما أنتم بمضلين إلا من قدر عليه أن يضل"، وروى أبو الأشهب جعفر بن حيان عن الحسن قال: "يا بني إبليس ما أنتم بمضلين أحدا من الناس إلا من قدر الله عليه أن يضل"، قال أبو جعفر: ففي هذه الآية رد على القدرية من كتاب الله جل وعز، وفيها من المعاني: أن الشياطين لا يصلون إلى إضلال أحد إلا من كتب الله جل وعز عليه أنه لا يهتدي، ولو علم الله جل وعز أنه يهتدي لحال بينه وبينهم، وعلى هذا قوله جل وعز: Mوَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ L[2] أي: لست تصل منهم إلى شيء إلا إلى ما في علمي)[3].

ويقول في بيان معنى قول الله تعالى:M F G H I J K L M N O P L[4] M F G L سلك سبيل الحق، M H I J L أي:

(١) الصافات: ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) الإسراء: ٦٤.

(٣) إعراب القرآن (٣ / ٤٤٥)وانظر: (٢/ ٢١٤).

(٤) يونس: ١٠٨.

فإنما يستقيم على الهدى لخير نفسه، L M L M أي: عدل عن الحق الذي أتاه L P O N M أي: فإنما يجني به على نفسه لا على غيرها)[١]، ويقول مبينا معنى قول الله تعالى:M / 0 1 L[٢] أي: كنا في فعلنا ضالين عن الهدى وليس هذا اعتذارا منهم إنما هو إقرار، ويدل على ذلك M 3 4 5 6 7 8 8 9 L[٣])[٤].

وعند قول الله تعالى:M لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ L[٥] يقول في معناها:(أي: أن يتبع الحق M وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L[٦] في معناه قولان:

أحدهما: وما تشاءون أن تستقيموا أي تتبعوا الحق] إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ Z.

والقول الآخر: أنه منهم أي ما تشاءون يشاء من الطاعة والمعصية] إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ Z ذلك منكم ولو لم يشأ لحال بينكم وبينه)[٧].

كما أورد قول أبي عمروا بن العلاء عند قول الله تعالى:M ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r L[٨] فقال:(قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله أي يحتج عليهم بامره كما قال تعالى :M وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا L[٩])[١٠].

---

(١) معاني القرآن (٣ / ٣٢٣)وانظر(٢/ ٤٢٠)(٣/ ٤٩٨).

(٢) المؤمنون: ١٠٦.

(٣) المؤمنون:١٠٧ .

(٤) إعراب القرآن (٣ / ١٢٣).

(٥) التكوير: ٢٨.

(٦) التكوير: ٢٩.

(٧) إعراب القرآن (٥ / ١٦٥)، وانظر: معاني القرآن(٦/ ٢٥٦).

(٨)التوبة: ١١٥.

(٩) الإسراء: ١٦.

(١٠)معاني القرآن للنحاس - (٣ / ٢٦٢).

الدراسة: -

وردت النصوص بإثبات الهداية لمن شاء الله هدايته والإضلال لمن شاء إضلاله ومن ذلك قول الله تعالى:M i j k l m n p q r s t L[(١)] وقوله تعالى:Mكَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن © وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا ´ ¶ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ L[(٢)].

ووردت نصوص أيضا في بإضافة الهدى والضلال إلى العباد، قال تعالى:M F G H I J L M N O P R S T U L[(٣)]، وقال تعالى: M O P Q R S T U V W X Y Z L[(٤)].

والذي عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن (العباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم؛ والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم؛ وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة؛ والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى:Mلِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L[(٥)])[(٦)]. وهذا الذي أثبته أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من أن الهداية والضلال بيد الله تعالى وأن العبد هو المهتدي والضال هو ما عليه أهل السنة، يقول ابن القيم رحمه الله:(وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى أخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي،

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) المدثر: ٣١.

(٣) يونس: ١٠٨، النمل٩٢، الزمر٤١.

(٤) النجم: ٣٠.

(٥) التكوير: ٢٨ - ٢٩ .

(٦) مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٠).

فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه)[١].

ويقول مفصلا هذه العقيدة: (ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلما، والكافر كافرا، والمصلي مصليا .... وهو المقيم، والعبد القائم، وهو الهادي، والعبد المهتدي، وأنه المطعم والعبد الطاعم، وهو المحي المميت، والعبد الذي يحيى ويموت، ويثبتون مع ذلك قدرة العبد، وإرادته، واختياره، وفعله حقيقة لا مجازا، وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوي وغيره فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب عز و جل علمه، وقدرته، ومشيئته، وتكوينه، والذي قام بهم هو فعلهم، وكسبهم، وحركاتهم، وسكناتهم، فهم المسلمون، المصلون، القائمون، القاعدون حقيقة، وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيئته وفعله بعد مشيئته فما يشاؤن إلا أن يشاء الله وما يفعلون إلا أن يشاء الله)[٢].

---

(١) شفاء العليل(١/ ٢٢٩).

(٢) شفاء العليل(١/ ٢٠٠-٢٠١)

المطلب الرابع: أفعال العباد

أ - أفعال العباد: -

أثبت أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن جميع مايفعله العباد مخلوق لله تعالى، كما استنتج من بعض الآيات الرد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعل نفسه، وفي آيات أخر أورد أن للعبد مشيئة وقدرة على أفعاله وفي ضمن ذلك الرد على الجبرية؛ولبيان ذلك يقول رحمه الله عند قول الله تعالى:M J K L M N O P Q R S T U V W L[1]: (ففي هذه الآية رد على القدرية من كتاب الله جل وعز)[2].

وفي قول الله تعالى:M وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ L[3] نقل الأقوال عن السلف في الآية ثم أوضح بأن كلا منها لايخالف الآخر وهذا في كتابه معاني القرآن[4]، أما في كتابه الإعراب فقد لخص ذلك بقوله:("ما" في موضع نصب، أي: وخلق ما تعملون، ويجوز أن يكون في موضع نصب بيعملون، أي: وأي شيء تعملون)[5].

وعند قول الله تعالى:M K L M N O P Q R L[6] أورد رحمه الله تعالى قصة عمر t مع الجاثليق فقال (عن عمر أنه قال في خطبته: **(من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له)** وكان الجاثليق حاضرا فأومأ بالإنكار فقال عمر: ما يقول؟ فقالوا: يقول" إن الله لا يهدي ولا يضل" فقال له

(١) الصافات: ١٦١ – ١٦٣.

(٢) إعراب القرآن (٣ / ٤٤٥).

(٣) الصافات: ٩٦.

(٤) معاني القرآن (٦ / ٤٥) .

(٥) إعراب القرآن (٣ / ٤٣٠).

(٦) البقرة: ٢٧٢.

عمر: كذبت يا عدو الله، بل الذي خلقك وهو يضلك ويدخلك النار إن شاء الله. إن الله خلق أهل الجنة وما هم عاملون، وخلق أهل النار وما هم عاملون، فقال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه فما برح الناس يختلفون في القدر قال أبو عبيد: قال الله تعالى M وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ L)[١].

كما أورد قول الحسن رحمه الله عند قول الله تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ L[٢] فقال:(وقال حماد بن سلمة: حدثنا حميد الطويل قال: قلت للحسن: من خلق الشر؟ فقال: سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز؟ الله خلق الخير والشر)[٣].

ومع إثبات أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الله تعالى خالق لأفعال العباد، فقد ذكر عند الآيات التي أثبتت للعبد مشيئة وإرادة ما يدل على ذلك فعند قول الله تعالى: Mإِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا L[٤] يقول في معناها:(أي فمن شاء اتخذ إلى رضاء ربه طريقا بطاعة الله عز وجل والانتهاء عن معاصيه)[٥].

وعند قول الله تعالى: Mلِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ L[٦] يقول مبينا معناها:(لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ)أي: أن يتبع الحق .

(وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) في معناه قولان؛ أحدهما: وما تشاءون أن تستقيموا أي:تتبعوا الحق(إلا أن يشاء الله) والقول الآخر "أنه منهم" أي: ما تشاءون يشاء من الطاعة والمعصية (إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) ذلك منكم ولو لم يشأ

(١) إعراب القرآن (١ /٣٤٠)، والأثر:أورده اللالكائي(٤/ ٦٥٩)، والأصبهاني في الحجة(٢/ ٦١).
(٢) فاطر: ٣.
(٣) إعراب القرآن (٣/ ٣٦٠)، والأثر أخرجه أبوداود:كتاب السنة، باب لزوم السنة(٤/ ٣٦٦)وغيره.
(٤) المزمل: ١٩.
(٥) إعراب القرآن (٥ / ١٠٩)(٥/ ١٣٧).
(٦) التكوير: ٢٨ – ٢٩.

لحال بينكم وبينه)[١].

ومن جانب آخر فإن أبا جعفر النحاس قد رد على القدرية القائلين بـأن أفعـال العباد مخلوقة لهم في مواطن كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قولـه:(العلـماء مـن أهل السنة يقولون معنى M P Q R L[٢]: وفقكم له، وفعل أفاعيـل تحبـون معها الإيمان، وتستحسنونه، فلما أحبوه واستحسنوه نسب الفعل إليه، وكـذا فعـل أفاعيل كرهوا معها الكفر، والفسق، والعصيان، فأما أن يكون معنى حبب: "أمركم أن تحبوه" فخطأ من كل جهة؛ منها: أنه إنما يقال حبب فلان إليك نفسه أي: إنه فعل أفعالا أحببته من أجلها. ومنها: أنه قول مبتدع مخالف صاحبه لـنص القـرآن، قـال جل وعز: Mوَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ L[٣]، ومنه قوله "اهدنا" من هذا بعينه ومنها: أن نص الآية يدل على خلاف ما قال جل وعز:M \ [^ L[٤] فـلا اخـتلاف في هذا أنه يرجع إلى الـذين حبب إلـيهم الإيـمان وزينـه في قلـوبهم وكـره إلـيهم الكفـر والفسـوق والعصـيان فلـو كـان معنـى حبـب أمـرهم أن يحبـوه كـان الكفـار وأهـل المعاصي داخلين في هذا وهـذا خـارج مـن الملـة و الراشـدون الـذين رشـدوا للإيـمان وتركوا المعاصي)[٥].

كما أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ما نصـه:(وأسـند النحـاس: ..... عن أنس قال: قال رسول الله ^ : **(القدرية الذين يقولون: الخير والشر بأيدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم مني)**[٦] .

---

(١) إعراب القرآن (٥ / ١٦٥).

(٢)الحجرات: ٧ .

(٣) هود: ٨٨ .

(٤)الحجرات: ٧ .

(٥) إعراب القرآن (٤ / ٢١١).

(٦) لم أجده في كتب النحاس المطبوعة، وإنما نقله عنه القرطبي في تفسيره(١٧/ ١٤٨)، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء لابن عدي(٣/ ١٢٢٤)ط.دار الفكر-١٤٠٤هـ، وأورده ابن الجوزي =

الدراسة: -

دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى طاعاتها ومعاصيها، كما قال الله تعالى:M _ ` a b d e f g h L[(١)] وقال تعالى: M وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ L[(٢)].

وقال r في حديث حذيفة t : **(إن الله يصنع كل صانع وصنعته)**[(٣)].

وأما إجماع سلف الأمة فقد حكاه غير واحد؛يقول الإمام اللالكائي رحمه الله: **(..ما نقل من إجماع الصحابة والتابعين.....أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها.....وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفا عن سلف من لدن رسول الله r بلا شك ولا ريب)**[(٤)]ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله**(أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها)**[(٥)].

ومع أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله خلق العباد وأفعالهم، فهم يعتقدون أيضا بأن العباد لهم قدرة ومشيئة على أعمالهم والله عز وجل هو الذي خلق قدرتهم ومشيئتهم وأفعالهم.

وذلك للأدلة الوردة في ذلك ومنها:

قول الله تعالى:Mلِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ L[(٦)] وقوله تعالى:M= > ? A B C D E F L[(٧)] وقول الله

= في العلل المتناهية(١/١٦١-١٦٢)ط.دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى-١٤٠٣هـ، وقال بعده: (هذا حديث لا يصح وقال ابن حبان: سعيد بن ميسرة يروي الموضوعات).

(١) الزمر: ٦٢.

(٢) الصافات: ٩٦ .

(٣) سبق تخريجه(ص٣٢٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٣/٥٨٩-٥٩٤).

(٥) مجموع الفتاوى(٨/٤٠٦).

(٦) التكوير: ٢٨ – ٢٩.

(٧) الإنسان: ٢٩.

تعالى: M B C D E G H I J K L L[(١)].

يقول ابن عبد البر رحمه الله: (...فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن تنفذ مشيئة الله تعالى)[(٢)]، ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر....أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم إن العباد لايشاؤون إلا أن يشاء الله)[(٣)].

وفيما ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من الرد على القدرية في أكثر من موطن دلالة على عنايته بالرد على أهل البدع المختلفة، وسيأتي لذلك مزيد بيان وتوضيح.

ب - مسألة الاستطاعة: -

عرض أبو جعفر النحاس رحمه الله لهذه المسألة عند بيانه لمعنى ما ورد من آيات تبين عدم الاستطاعة من قبل الكفار مثل قول الله تعالى: M 4 5 6 7 8 9 : L[(٤)]، فقد ذكر رحمه الله في بيان معناها عدة أقوال ثم قال: (ومن أحسن ما قيل فيه؛ وهو معنى قول ابن عباس "إن المعنى: لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ولا يبصرونه بصر مهتد لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين")[(٥)].وفي كتاب إعراب القرآن ذكر الأقوال في الآية واختار أحدها بقوله: (والجواب الرابع عن أبي إسحاق قال: لبغضهم النبي r وعداوتهم له لا يستطيعون أن يستمعوا منه ولا يتفهموا الحجج قال أبو جعفر: وهذا معروف في كلام العرب

(١) الكهف: ٢٩.
(٢) التمهيد(٦/ ١٣).
(٣) مجموع الفتاوى(٨/ ٤٥٩).
(٤) هود: ٢٠.
(٥) معاني القرآن (٣ / ٣٤٠).

أن يقال فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان إذا كان ذلك ثقيلا عليه)[١].

وفي بيان معنى قول الله تعالى:M G H I J K L M N 0 P Q L[٢] يقول:(أي لعداوتهم النبي r لا يستطيعون أن يسمعوا منه شيئا، أي: يثقل ذلك عليهم كما تقول أنا لا أستطيع أن أكلمك)[٣].

الدراسة: -

وردت النصوص من كتاب الله وسنة نبيه r بإثبات الاستطاعة في مواضع ونفيها في أخرى؛ ومن ثم اختلف الناس في مسألة الاستطاعة من جهة ماهيتها وأنواعها ووقتها على أقوال عدة[٤]؛ فقد اختلفوا في أنواعها على أقوال أبرزها: -

القول الأول: أن الاستطاعة إنما تكون قبل الفعل، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم[٥] .يقول ابن أبي العز عن هذا القول:(وما قالته القدرية - بناء على أصلهم الفاسد-، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفا، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق .

---

(١) إعراب القرآن - (٢ / ٢٧٧).

(٢) الكهف: ١٠١.

(٣) معاني القرآن(٤/ ٢٩٧).

(٤) انظر: مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة د.خالد بن عبد اللطيف محمد نور(١/ ٥٢٦-٥٣٠) ط.عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-الأولى-١٤٢٦هـ، الاستطاعة بين أهل السنة ومخالفيهم أ.د.يوسف بن محمد السعيد: بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية(٥٣/ ٩٣-١٥٢) (العدد الثالث والخمسون-محرم ١٤٢٧هـ).

(٥) مقالات الإسلاميين(ص٢٣٠)شرح الأصول الخمسة(٣٩٨)، متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار (١٥٢-١٥٤)، الإيضاح في أصول الدين لابن الزاغوني(٣٩٦-٤٠١).

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: M N O P Q R S T U V W X Y Z L[(١)].....فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء - امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للتارك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى . وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلهذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل ! وهذا باطل قطعا، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجودا عند الفعل . فنقيض قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة)[(٢)].

القول الثاني: -أن الاستطاعة مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدم عليه ولا تتأخر بل تنتهي بانتهائه:وهذا قول الأشاعرة، ومن وافقهم[(٣)]، يقول الباقلاني:(ويجب أن يعلم: أن الاستطاعة للعبد تكون مع الفعل لا يجوز تقديمها عليه ولا تأخيرها عنه، كعلم الخلق وإدراكهم، لا يجوز تقديم العلم على المعلوم، ولا الإدراك، على المدرك. والدليل على ذلك: قوله تعالى: M N O P Q L[(٤)] يعني قبولاً عند الدعوة. يعني: أنه لم يكن لهم استطاعة عند مفارقة الدعوة، فيحصل معها القبول)[(٥)].

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية:(٢/٦٣٥-٦٣٦).

(٣) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري(١٣٢-١٣٣)، الإرشاد لأبي المعالي الجويني(ص١٩٨)، المواقف للإيجي(ص١٥١).

(٤) الكهف: ١٠١.

(٥) الإنصاف للباقلاني(ص٤٦).

ويقول الأشعري رحمه الله عن هذه الآية:(أمروا أن يسمعوا الحق وكلفوه، فدل ذلك على جواز تكليف ما لايطاق، وأن من لم يقبل الحق ولم يسمعه على طريق القبول لم يكن مستطيعا)[١] والجواب عن دليلهم هذا:أن هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بهذا الوصف لم يكونوا فاقدي الالآت التي يسمعون ويبصرون بها، وإنما كانوا معرضين بأنفسهم كارهين للسماع من أنفسهم يقول ابن جرير رحمه الله:(والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحقّ سماع منتفع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسماعٌ وأبصارٌ)[٢].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله مبينا معاني هذه الآيات على فهم السلف:(وأما على تفسير السلف والجمهور فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم، فنفوسهم لا تستطيع إرادته؛ وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه وهذه حال من صده هواه ورأيه الفاسد عن استماع كتب الله المنزلة واتباعها: فقد أخبر أنه لا يستطيع ذلك وهذه " الاستطاعة " هي المقارنة للفعل الموجبة له)[٣].

وفيما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من تفسيره للآيات التي تتضمن عدم الاستطاعة رد على الأشاعرة فيما استدلوا به على قولهم.

القول الثالث: قول أهل السنة والجماعة[٤] أن الاستطاعة على نوعين: -

الأول: الاستطاعة المشترطة للفعل وهي مناط الأمر والنهي كقوله تعالى:

---

(١) اللمع (ص١٣٦).

(٢) تفسير الطبري - (١٥ / ٢٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى(٣/٣١٩).

(٤) مجموع الفتاوى(٨/٢٩٠-٢٩٤، ٣٧١-٣٧٦، ٤٤١)، منهاج السنة النبوية(٣/٤٢-٥١)، شرح العقيدة الطحاوية (٢/٦٣٣-٦٣٧) الاستطاعة بين أهل السنة ومخالفيهم(٥٣/١٢٣-١٢٧).

M | { ~ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ L[١] وقولـه:M w xy z L[٢].
وقول النبي r لعمران بن حصين: **(صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب)**[٣] فإن الاستطاعة في هذه النصوص لو كانت لا توجد إلا مع الفعل لوجب ألا يجب الحج إلا على من حج، ولا يجب صيام شهرين إلا على من صام ولا القيام في الصلاة إلا على من قام وكان المعنى: على الذين يصومون الشهر طعام مسكين والآية إنما أنزلت لما كانوا مخيرين بين الصيام والإطعام في شهر رمضان .

النوع الثاني: الاستطاعة التي يكون معها الفعل وهي المقترنة بالفعل الموجبة له وقد جاء هذا النوع في قوله تعالى: M G H I J K L M N O P Q L[٤] وقولـــه تعـــالى: M 0 1 2 4 5 6 7 8 9 : L[٥] ...... فإن الاستطاعة المنفية هنا - سواء كان نفيها خبرا أو ابتداء - ليست هي الاستطاعة المشروطة في الأمر والنهي فإن تلك إذا انتفت انتفى الأمر والنهي والوعد والوعيد والحمد والذم والثواب والعقاب ومعلوم أن هؤلاء في هذه الحال مأمورون منهيون موعودون متوعدون؛ فعلم أن المنفية هنا ليست المشروطة في الأمر والنهي المذكورة في قوله: M w xy z L[٦].

وبهذا يتضح إعمال أهل السنة والجماعة فيما ذكروه لنصوص الكتاب والسنة جميعها وعدم الأخذ ببعضها وترك البعض الآخر.

---

(١) آل عمران: ٩٧.
(٢) التغابن: ١٦.
(٣) أخرجه البخاري برقم١١١٧ (كتاب التقصير، باب إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب)(ص١٧٩).
(٤) الكهف: ١٠١
(٥) هود: ٢٠
(٦) التغابن: ١٦.

المطلب الخامس: الاحتجاج بالقدر على المعاصي

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن المعاصي لا يحتج على فعلها بالقدر، وذلك عند قول الله تعالى: : 9 8 7 6 54 3 2 1 0 / M

M L K J I HG E D C B A @ ? > < ;

.[١]L V U T S R Q P O

فقال في بيان معناها: (ليس لهم أن يحتجوا بأنه من كان على معصية قد شاء الله أن تكون فهو له عذر؛ لأنه لو كان هكذا لكان لمن خالفهم في دينهم عذر؛ لأن الله لو شاء أن يهديه هداه)[٢].

الدراسة: -

أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين فأبانوا للناس حدود ما أنزل الله تعالى، ولم يبق للناس حجة بعدها كما قال تعالى: R Q P O N M

[٣]L] \ [Z X W V U T S، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على عدم جواز الاحتجاج بالمعاصي على القدر، ومن ذلك قول الله تعالى:

? > < ; : 9 8 7 6 54 3 2 1 0 / M

[٤]L E D C B A @ وقوله تعالى: M وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ´ µ لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ L[٥].

يقول الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله مبينا عقيدة السلف: (ويشهدون أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه، ويضل من يشاء عنه، لا حجة لمن أضله الله عليه،

---

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) معاني القرآن (٢ / ٥١٤).

(٣) النساء: ١٦٥.

(٤) الأنعام: ١٤٨.

(٥) الزخرف: ٢٠.

ولاعذر له لديه)[١]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:(وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر . ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول)[٢].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث(ص٢٨٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ١٧٩)، وانظر:التمهيد لابن عبدالبر(١٨/ ١٥).

المطلب السادس: الأسباب وعلاقتها بالقضاء والقدر

أ - زيادة العمر بالطاعة: -

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما يتعلق بهذه المسألة عند قول الله تعالى:M à يُعَمَّرُ â مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ ç è é ê إِنَّ ذَٰلِكَ î ï يَسِيرٌ L[1] فقال: (في معنى هذه الآية أقوال:

فمن أحسنها وأشبهها بظاهر التنزيل قول الضحاك رحمه الله قال: من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الهرم أو يعمر دون ذلك فكل ذلك بقضاء وكل في كتاب.

قال أبو جعفر: والمعنى على هذا وما يعمر من معمر أي هرم وفلان معمر أي كبير، ولا ينقص آخر من عمره من عمر الهرم إلا بقضاء من الله عز و جل.

وروى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله جل وعز: M à يُعَمَّرُ â مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ ç è é ê L قال: يكتب عمره كذا وكذا سنة وكذا وكذا شهر وكذا وكذا يوما ثم يكتب نقص من عمره يوم ونقص من عمره شهر ونقص من عمره سنة في كتاب آخر إلى أن يستوفي أجله فيموت .

قال سعيد بن جبير: فيما مضى من عمره فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمر.

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار رحمه الله أنه قال لما طعن عمر بن الخطاب: لو دعا الله لزاد في أجله فأنكر ذلك عليه المسلمون وقالوا إن الله عز وجل يقول:M r s t u v w y z L[2] فقال: وإن الله

(١) فاطر: ١١.

(٢) الأعراف: ٣٤.

تعالى يقول: M à يُعَمَّرُ â مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ ç è é ê L(١) قال الزهري: نرى أنه يؤخر ما لم يحضر الأجل فإذا حضر الأجل لم يزد في العمر ولم يقع تأخير.

قال أبو جعفر: وقيل في معنى الآية إنه يكون أن يحكم أن عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع وتسعون إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب)(٢).

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في زيادة العمر ونقصانه الوارد في بعض النصوص على قولين(٣):

أحدهما: القول بأن العمر لايزيد ولاينقص، واستدل هؤلاء بعموم النصوص الدالة على كون الآجال مقدرة، كقول الله تعالى: M n o p | r s t u v w | y z L(٤) وقوله تعالى: M u v w x y z { | } ~ تَعۡلَمُونَ L(٥) ونحوها من الآيات.

القول الثاني: القول بزيادة العمر ونقصه، وهو قول جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، واستدلوا بقول الله تعالى: M يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ © L(٦) وقوله

---

(١) فاطر: ١١.

(٢) معاني القرآن (٥/٤٤٣-٤٤٦)، وانظر في كلام النحاس حول هذه المسألة: إعراب القرآن (٢/٢٧٦) (٣/٢١٤) (٤/٢٨٩-٣٩٠)(٥/١٧).

(٣) انظر: إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي-ت:عبدالحميد منير-ط.مكتبة دار الوفاء-جدة-السعودية-الأولى بدون تاريخ، إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان لمرعي الكرمي(ص٤١)، ت:مشهور سلمان-ط.دار عمار-الأردن-الطبعة الأولى-١٤٠٨هـ، تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني(ص١٢، ٢٠)، ت: مشهور بن حسن سلمان، ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن حزم، بيروت، جمع جهود الحفاظ النقلة بتواتر روايات زيادة العمر بالبر والصلة (ص١٢١-١٣٠) جمع:لطفي الصغير-ط.أضواء السلف-الأولى-١٤١٨هـ

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) نوح: ٤.

(٦) الرعد: ٣٩.

تعالى:M à يُعَمَّرُ â مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ ç è é ê L[١].

وقد اختلف أهل العلم القائلين بزيادة العمر ونقصانه هل الزيادة والنقصان حقيقية أم مجازية والصواب أنها حقيقية وهو ما عليه المحققون من أهل العلم؛يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(والجواب المحقق: أن الله يكتب للعبد أجلا في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب . وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب)[٢].

وقد اتفق أصحاب كلا القولين على أن ما في علم الله تعالى لايزاد فيه ولاينقص يقول ابن حجر:(والحق أن النزاع لفظي، وأن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا اثبات)[٣]والذي رجحه المحققون من أهل العلم في آية الرعد أن المحو والإثبات هو في صحف الملائكة دون اللوح المحفوظ، وأما ما في سابق علم الله تعالى فلا يقع فيه محو ولا إثبات، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر، والسفاريني، والسعدي[٤]، رحمهم الله تعالى.

---

(١) فاطر: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ٤٩٠-٤٩١).

(٣) فتح الباري(١١ /٤٨٨)، وانظر:إرشاد ذوي العرفان(٦٤-٦٥)، حاشية تنبيه الأفاضل للشيخ مشهور سلمان(ص٣٢-٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى(١٤/٤٩١-٤٩٢)، شرح العقيدة الطحاويةلابن أبي العز(١/١٣١-١٣٢)، فتح الباري(١١ /٤٨٨)، لوامع الأنوار البهية(١/٣٤٩)، إرشاد ذوي العرفان(٦٤-٦٥)، تفسير السعدي (ص٤١٩)، وللاستزادة:رسالة المحو والإثبات في المقادير د.عيسى بن عبدالله السعدي (١٢٤-١٢٥)ط.دار ابن الجوزي-السعودية-الطبعة الأولى-١٤٢٧هـ، منهج الإمام الشوكاني في العقيدة د.عبدالله نومسوك(ص٢٣٤-٢٤٨)ط.مكتبة دار القلم-الأولى-١٤١٤هـ.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله (والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به فلا محو فيه ولا إثبات)[1].

ب - موت المقتول بأجله:-

رد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى على المعتزلة القائلين بأن المقتول قد قطع عليه أجله وذلك عند قول الله تعالى: M b c d e f g h i j k L[2] فقال: (....ودل بهذه الآية على أن كل إنسان مقتول أو غير مقتول قد بلغ أجله وأن الخلق لا بد أن يبلغوا آجالهم آجالا واحدة كتبها الله عليهم لأن معنى مؤجلا إلى أجل)[3]، وعند قول الله تعالى: M n o p r s t u v w y z L[4] يقول مبينا ما تدل عليه: (فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله)[5].

الدراسة: -

ذهب أهل السنة والجماعة ومن وافقهم إلى أن الميت أو المقتول إنما مات أوقتل بأجله، وقد استوفى رزقه وعمره[6].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/٤٩١-٤٩٢).

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) إعراب القرآن - (١ / ٤١٠).

(٤) الأعراف: ٣٤.

(٥) إعراب القرآن - (٢ / ١٢٤).

(٦) مقالات الإسلاميين(١/٢٥٦-٢٥٧)، اعتقاد أئمة الحديث (ص ٧٧)، لوامع الأنوار البهية (١/٣٤٩-٣٥٠).

ويرى بعض المعتزلة أن المقتول قد قطع عليه أجله، وأنه لو لم يقتل لعاش وجعلها بعضهم من قبيل البدهيات[١]، وقد رد على هذا القول الباطل بعض أئمة الاعتزال قبل غيرهم، كما أورد قولهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله فقال:(اختلفت المعتزلة في ذلك على قولين:-

فقال أكثر المعتزلة: الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل، فإذا قتل قتل بأجله، وإذا مات مات بأجله، وشذ قوم من جهالهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لولم يقتل لبقي إليه هو أجله دون الوقت الذي قتل فيه .

واختلف الذين زعموا أن الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه، أو يقتل، في المقتول الذي لو لم يقتل هل كان يموت أم لا؟ على ثلاثة أقاويل؛فقال بعضهم: أن الرجل لو لم يقتل مات في ذلك الوقت وهذا قول أبي الهذيل .

وقال بعضهم: يجوز لولم يقتله القاتل أن يموت، ويجوز أن يعيش، وأحال منهم محيلون هذا القول)[٢].

وقد رد أهل العلم هذا الرأي بأدلة عديدة[٣]، أبرزها:-

١-قول الله تعالى لإخوانهم: M Z Y] \ [ ] ^ _ ` a b c d L[٤].

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار(ص٧٨١)، شرح نهج البلاغة(٥/١٣٤-١٤٥) ت:محمدالنمري، ط.دار الكتب العلمية-لبنان-١٤١٨هـ، فلسفة القدر في فكر المعتزلة د.سميح دغيم(٣١٧-٣١٩)ط.دار الفكر اللبناني-بيروت-١٤١٢هـ، أصول الدين لأبي منصور للبغدادي(١٤٢-١٤٤)ط.دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٤٠٠هـ، لوامع الأنوار البهية (١/٣٤٩-٣٥٠).

(٢) مقالات الإسلاميين(١/٢٥٦-٢٥٧).

(٣) انظر في رد مقالتهم:الفصل(٣/٤٩)، لوامع الأنوار البهية(١/٣٤٩-٣٥٠).

(٤) آل عمران: ١٥٤.

٢-قــــول الله تعــــالى:M R S T U V W X Y [\ ] ^ _ ` a b L[١].

٣-قول الله تعالى -منكرا قول قـوم جـرت المعتزلـة في ميـدانهم-:M يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ ´ µ ¶ ¸ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِى قُلُوبِهِمۡ L[٢].

فدلت كل الآيات السابقة أن المقتول قتل بأجله، وقـد أورد ذلـك بعـض أهـل السنة والجماعة في عقائـدهم، يقـول أبـوبكر الإسـماعيلي رحمـه الله مبينـا عقيـدة أهـل السنة: (ويقولون إن الله عز و جل أجل لكل حي مخلوق أجـلا هـو بالغـه فـإذا جـاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وإن مات أو قتل فهو عند انتهـاء أجلـه المسمى له كما قال الله عز و جل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)[٣].

ج - دخول الجنة بالعمل:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في بيان معنى قـول الله تعـالى:M فَمَنَّ ٱللَّهُ ´ µ ¶ ¸ L[٤]: (من الله عليهم بغفران الصغائر وتـرك المحاسـبة لهم بالنعم المستغرقة للأعمال كما روي عن النبي ^ : **"لا يـدخل أحـد الجنـة بعملـه قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته)**[٥] .

ويقول عند قول الله تعـالى:M لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمۡ

---

(١) آل عمران: ١٦٨.

(٢) آل عمران: ١٥٦.

(٣) اعتقاد أئمة الحديث (ص ٧٧).

(٤) الطور: ٢٧.

(٥) إعراب القرآن - (٤ /٢٥٨).

عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L[(١)]: (قد قال جل وعز:] µ ¶

Z و] بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ Z فما معنى التفضل ههنا ففي هذا غير جواب منها أن تكليف الله جل وعز الأعمال ليس لحاجة منها إليها وإنما كلفهم ذلك ليعملوا فيدخلوا الجنة فالتكليف وإدخالهم الجنة تفضل منه جل وعز فأصح الأجوبة في هذا أن للمؤمنين ذنوبا لا يخلون منها وإن كانت لكثير منهم صغائر فلو أخذهم الله جل وعز بها لعذبهم غير ظالم لهم فلما غفرها لهم وأدخلهم الجنة كان ذلك تفضلا منه جل وعز وأيضا فإن لله جل وعز على عباده كلهم نعما في الدنيا فلو قوبل بتلك النعم أعمالهم لاستغرقها فقد صار دخولهم الجنة تفضلا كما قال ^ : **"ما أحد يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة"**)[(٢)].

الدراسة: -

تعددت مذاهب الناس في مسألة ترتب الجزاء على الأعمال بناء على أصولهم الاعتقادية في باب القضاء والقدر، ومن ذلك اختلافهم في الجمع بين ما دلت عليه الأدلة التي ترتب فيها دخول الجنة على العمل كقول الله تعالى: Mوَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ L[(٣)] ونحوها من الآيات، وبين الأدلة التي تدل على أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله ورحمته كقوله ^ : **(سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ)**[(٤)].

والذي عليه أهل السنة والجماعة هو العمل بموجب تلك الأدلة وإعمالها كلها

---

(١) الدخان: ٥٦ – ٥٧.

(٢) إعراب القرآن(٤/١٣٧-١٣٨)و(١/٤٧٠).

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) أخرجه البخاري برقم٦٤٦٧ كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل(ص١١٢٢)، ومسلم (٧١٢٢) كتاب صفات المنافقين، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى(ص١٢٢٧).

فالباء المنفية هي باء المعاوضة، والباء المثبتة هي باء السبب، يقول ابن أبي العز:(وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة؛ فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ^ : **(لا يدخل أحدكم الجنة بعمله)** باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى: M y z { | L[1] ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته)[2].

❋ ❋ ❋

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٦٤٢-٦٤٣)، وانظر: جامع الرسائل(١/١٤٥-١٥٢)، مدارج السالكين لابن القيم(١/٩٣-٩٥).

الفصل الخامس:
آراء أبي جعفر النحاس في الأسماء والأحكام، والصحابة والإمامة

وتحته مبحثان: -

المبحث الأول: آراؤه في الأسماء والأحكام.

المبحث الثاني: آراء أبي جعفر النحاس في الصحابة والإمامة.

المبحث الأول:
آراؤه في الأسماء والأحكام

وفيه خمسة مطالب: -

المطلب الأول: الإسلام .

المطلب الثاني: الإيمان .

المطلب الثالث: الكفر .

المطلب الرابع: النفاق .

المطلب الخامس: الكبائر .

المطلب الأول: الإسلام

أ: معنى الإسلام لغة وشرعا: -

قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن الإسلام لغة يتضمن الخضوع والذل والانقياد؛ يقول رحمه الله: (والإسلام في اللغة: الخضوع، والتذلل لأمر الله جل وعز والتسليم له)[١] ويقول كذلك: (الإسلام في اللغة: الخضوع والانقياد، ومنه: استسلم الرجل)[٢] .

كما أوضح أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى الإسلام في الشرع فقال: (فمعنى أسلم: خضع وقبل ما جاء به محمد r ، وروى ابن عمرو عن النبي r أنه قال: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان)[٣].

وفي موضع آخر نص أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى على أن الإسلام يتضمن القول والعمل؛ فعند قول الله تعالى: M K L M N O P Q R S T U L[٤] يقول: (فدل بهذا على أن الإيمان والإسلام أشياء كثيرة وهذا خلاف قول المرجئة)[٥].

ويقول عند قول الله تعالى: M h i j k l m n o p q

---

(١) إعراب القرآن (٤ / ٢١٦) وانظر: (١ /٣٨٥، ٣٩٢) .

(٢) معاني القرآن (١ / ٣٧١) .

(٣) معاني القرآن (١ / ٣٧١- ٣٧٢)، والحديث أخرجه البخاري برقم "٨" (كتاب الإيمان، باب قول النبي r "بني الإسلام على خمس") (ص٤)، ومسلم برقم ١١١ (كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام) (٢٩).

(٤) المائدة: ٣ .

(٥) إعراب القرآن (٢ / ٧).

r s t ׀ v w x L[١]: (وهـذا دليـل قـاطع عـلى أن الإسـلام قـول وعمل، قـال جـل وعـز: H M I J K L L[٢] ويبـين أن إقـام الصـلاة وإيتـاء الزكاة دين القيمة)[٣].

وعند قول الله تعـالى: M وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ L[٤] يقـول: (وأولى مـا قيـل في معنـى الآيـة بالصـواب: مـا دل عليـه عمومهـا؛ أي: وفى بكـل مـا افـترض عليـه بشرائـع الإسلام)[٥].

الدراسة: -

تـدور معـاني لفظـة "الإسـلام" في اللغـة عـلى: الخضـوع، والـذل، والانقيـاد، وكذلك الإخلاص، والاستسلام.

يقول ابن فارس رحمه الله: (....ومن الباب أيضاً الإسلام، وهو الانقيـاد؛ لأنَّـه يَسْلم من الإباء والامتناع)[٦] ويقول الأزهري رحمه الله: (وأما الإسلام فإن أبـا بكـر محمد بن بشار قال: يقال فلان مُسلم، وفيه قولان: أحدهما هـو المستسـلم لأمـر الله، والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم: سَلَّمَ الشيء لفلان أي خلصه، وسـلم لـه الشيء: أي خلَّص له....قلت-الأزهري-: فمعناه أنه دخل في باب السّـلامة حتـى يسلم المؤمنين من بوائقه)[٧]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والإسلام هو: الاستسلام لله، وهـو

---

(١) البينة: ٥.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) إعراب القرآن - (٥ / ٢٧٣).

(٤) النجم: ٣٧.

(٥) إعراب القرآن – (٤/ ٢٧٦).

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (٣ / ٩٠).

(٧) تهذيب اللغة - (٤ / ٢٩٤).

الخضوع له والعبودية له هكذا قال أهل اللغة)[١].

وأما في الشرع:فلإطلاقه حالتان:-

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاده وأقواله وأفعاله كقوله تعالى:M H I J K L L[٢] وقوله تعالى:M R S T U L[٣] وقوله:M ? @ A B C D E F L[٤] وقال تعالى:M { ~ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً L[٥] أي: في كافة شرائعه ونحو ذلك من الآيات.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترنا بالاعتقاد فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى:M] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L[٦] وقوله r لما قال له سعيد t مالك عن فلان: (فوالله إني لأراه مؤمنا فقال r :" أو مسلما")[٧]. يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه، من الأعمال الظاهرة، وفي رواية النسائي "لا تقل: "مؤمن"، وقل: "مسلم" وكحديث عمر هذا وغير ذلك من الآيات والأحاديث)[٨].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان معناه الشرعي:(والإسلام

---

(١) مجموع الفتاوى - (٧ /٢٦٣).

(٢) آل عمران: ١٩ .

(٣) المائدة: ٣.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) البقرة: ٢٠٨.

(٦) الحجرات: ١٤.

(٧) أخرجه البخاري برقم:٢٧(كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل)(ص٨)، ومسلم برقم:٣٧٨(كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه) (ص٧٥).

(٨) معارج القبول(٢/٥٩٥-٥٩٦).

هو: الاستسلام لله وحده وهو أصل عبادته وحده وذلك يجمع معرفته ومحبته والخضوع له)[١] ويقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله في تعريفه:(والإسلام هو الاستسلام لله والخضوع والانقياد له، وذلك يكون بالعمل وهو الدين)[٢].

ب: الاستثناء فيه:-

يرى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدم الاستثناء في الإسلام وذلك عند قول الله تعالى:M L M N O P Q R S T U V W X L[٣]

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله في معناها:(وقال بعض أهل النظر: دل هذا من قوله جل وعز أنه حسن أن يقول: "أنا مسلم" بلا استثناء، أي: قد استسلمت لله جل وعز، وقبلت أمره فحكم لي بأني مسلم)[٤].

الدراسة: -

يرى أهل السنة والجماعة في القول المشهور عندهم أنه لايستثنى في الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(والمشهور عند أهل الحديث أنه لايستثنى في الإسلام، وهو المشهور عن أحمد t)[٥]وسبب ذلك:

١- ورود ما يرشد إلى ذلك في نصوص الكتاب والسنة كما في قول الله تعالى: M U V W X L[٦] وقوله تعالى:M d e f L[٧]، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(وهذه الآية -أي: آية الحجرات- مما احتج بها أحمد بن حنبل

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١١٥).

(٢) لوامع الأنوار البهية - (١ / ٤٢٩).

(٣) فصلت: ٣٣.

(٤) إعراب القرآن - (٤ /٦٢).

(٥) الفتاوى(٧/٤٣).

(٦) فصلت: ٣٣.

(٧) الحجرات: ١٤.

وغيره على أنه يستثنى في الإيمان دون الإسلام)[١].

٢- أنه (لما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه)[٢].

وما سبق كله على القول بأن الإسلام يعنى به الشهادتان، أما إن قصد به الأعمال الظاهرة للإسلام فالاستثناء فيه كالاستثناء في الإيمان، والصواب في مسألة الاستثناء في الإيمان أنه يجوز باعتبار ويمنع باعتبار:(فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه. وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله:M 7 8 9 : ; < = > ?
@ A B C D E F G H I J K L M
N O P Q R S U V W X Y Z [L[٣].
فالاستثناء حينئذ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقا للأمر بمشيئة الله، لا شكا في إيمانه)[٤].

ولذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله:(فالإسلام الذي لا استثناء فيه: الشهادتان باللسان فقط، فإنها لا تزيد ولا تنقص فلا استثناء فيها)[٥].

وبناء عليه فما ذكر أبو جعفر النحاس من منع الاستثناء في الإسلام يحمل على القول الأول وأن المراد به الشهادتان.

---

(١) الفتاوى(٧/٢٥٣)، وانظر في قول الإمام أحمد:السنة للخلال(٣/٦٠٤).

(٢) الفتاوى(٧/٤١٥).

(٣) الأنفال: ٢ – ٤.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٤٩٨).

(٥) مجموع الفتاوى(٧/٢٥٩).

ج: العلاقة بينه وبين الإيمان.

يرى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى التفريق بين الإسلام والإيمان وذلك بقوله: (والإسلام في اللغة: الخضوع والتذلل لأمر الله جل وعز، والتسليم له، والإيمان، والتصديق بكل ما جاء من عند الله جل وعز، فإذا خضع لأمر الله سبحانه وتذلل له فهو مصدق، وإذا كان مصدقا فهو مؤمن، ومن كان على هذه الصفة فهو مسلم مؤمن، إلا أن للإسلام موضعا آخر وهو الاستسلام خوف القتل)[١].وفي نسخة أخرى:(وقد يكون الإسلام من إسلام من خوف القتل في موضع آخر).

ويقول أيضا:(معنى مسلم في اللغة: متذلل لأمر الله منطاع له، ومعنى مؤمن مصدق بما جاء من عند الله قابل له عامل به في كل الأوقات؛ فهذا ما لا يدفع أنه دين كل نبي وملك وصالح)[٢].

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في مسمى الإيمان والإسلام هل هما بمعنى واحد، أم بينهما اختلاف على قولين: -

القول الأول: أن مسماهما واحد، وبه قال البخاري، وابن منده، ومحمد بن نصر المروزي، وابن عبدالبر، والبغوي، وابن حزم -رحمهم الله-[٣] .

قال ابن عبد البر رحمه الله:(وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا، وغيرهم من الشافعيين، والمالكيين، وهو قول داود، وأصحابه، وأكثر أهل السنة والنظر، المتبعين للسلف والأثر)[٤]

وقد استدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

(١) إعراب القرآن - (٤ /٢١٦)وانظر: معاني القرآن(٤ /٧)(٣/١٨٩).

(٢) إعراب القرآن - (١ /٣٨٥).

(٣)الإيمان لابن منده(١ /٣٢١)، تعظيم قدر الصلاة(٢ /٥٠٦)، فتح الباري(١ /١١٤).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩ /٢٥٠) .

أ- قول الله تعالى:M { ~ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ L[١].

ب- حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي r أنه قال لوفد عبد القيس: **(آمركم بأربع: الإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس)**[٢] .

قال ابن منده رحمه الله عند هذا الحديث:(فدل على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل بالطاعات التي آمن بها)[٣].

القول الثاني: التفريق بينهما، وأن بينهما اجتماعا وافتراقا، وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الصحابة والتابعين، وهو قول جمهور أهل العلم[٤].

وأدلتهم:-

أ- قول الله تعالى:M] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L[٥].

ب- حديث سعد بن أبي وقاص t حين أعطى النبي r رهطاً وترك رجلاً هو أعجبهم إلى سعد.فقال سعد: يارسول الله مالك عن فلان إني لأراه مؤمنا، فقال:(أو مسلما)[٦].

ج- وحديث جبريل المشهور حين سأل النبي r عن الإسلام والإيمان ففرق بينهما.

---

(١) الزخرف: ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري برقم٣٠٩٥(كتاب فرض الخمس، باب أداء الخمس من الدين)(ص٥١٣)، ومسلم:برقم١١٥ كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله r (ص٢٩).

(٣) الإيمان (١/٣٢١-٣٢٣).

(٤) السنة للخلال(٣/٦٠٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٤/٨١٤)، الشرح والإبانة (ص١٨٢)، معالم السنن(٤/٢٩٠-٢٩١)، شرح صحيح مسلم(١/١٤٥)، الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية(٣٤٣، ٣٤٥)جامع العلوم والحكم(ص٢٩).

(٥) الحجرات:١٤ .

(٦) تقدم تخريجه (ص ٣٥٢).

يقول الخطابي رحمه الله:(والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا، ولا يطلق على أحد الوجهين؛ وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الأحوال ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمنا، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها، ولم يختلف عليك شيء منها، وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلما في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد الظاهر)[١]، ويقول الحافظ ابن رجب رحمه الله:(اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة)[٢].

---

(١) معالم السنن(٤/ ٢٩١)ط.الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى١٤١١هـ.

(٢) جامع العلوم والحكم - (١ /٢٨).

المطلب الثاني :الإيمان

أ: تعريفه لغة وشرعا: -

عرف أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الإيمان في اللغة بأنه التصديق، وجوز كونه مأخوذا من الأمان فقال:(أصل الإيمان التصديق؛ ومنه قوله تعالى:F E M G H L[١]، يقال: آمنت بكذا أي:صدقت به؛ فإذا قلت مؤمن فمعناه مصدق بالله تعالى لا غير.

ويجوز أن يكون مأخوذا من الأمان؛ أي: يؤمن نفسه بتصديقه وعمله، والله "المؤمن" أي: يؤمن مطيعه من عذابه)[٢].

وقال في موضع آخر:(آمن بكذا إذا صدق، ثم قيل مؤمن لمن صدق بمحمد وهو اسم دياني)[٣].

وأما تعريفه في الشرع فيقول فيه:(ومعنى مؤمن: مصدق بما جاء من عند الله، قابل له، عامل به في كل الأوقات، فهذا ما لا يدفع أنه دين كل نبي، وملك وصالح)[٤].

ويقول كذلك:("مؤمن" أصله من:آمن إذا صدق، ثم صار لا يقال "مؤمن" إلا لمن آمن بمحمد r ، ثم تبع ذلك العمل)[٥].وقد نقل في أحد المواضع قول: (مجاهد قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)[٦].

---

(١) يوسف: ١٧.

(٢) معاني القرآن (١ / ٨١-٨٢).

(٣) الناسخ والمنسوخ(٢/ ٤٣٠).

(٤) إعراب القرآن (١ / ٣٨٥) .

(٥) الناسخ والمنسوخ (٢/ ١٢).

(٦) إعراب القرآن (٢/ ٩).

الدراسة: -

الإيمان في اللغة: مصدر:آمن يؤمن إيمانا فهو مؤمن[١]، والصواب أنه بمعنى الإقرار في اللغة لا مجرد التصديق يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار يتضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد)[٢].

وقد دفع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق من وجوه عدة أبرزها:

١ - أن لفظة آمن لا تتعدى إلا بحرف؛ إما الباء، أو اللام فيقال:آمن به، و آمن له، وأما لفظة "صدق" فيصح تعديتها بنفسها.

٢ - أن الإيمان لايستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر، مثل الأمور الغيبية لأنه مشتق من الأمن، أما الأمور المشاهدة فإنما يقال فيها: صدق.وغير ذلك من الأوجه التي ذكرها[٣].

(فيكون معنى الإيمان في اللغة: الإقرار القلبي المشتمل على:

أ- اعتقاد القلب، وهو تصديقه بالأخبار.

ب- عمل القلب، وهو إذعانه وانقياده للأوامر)[٤].

وأما تعريفه شرعا: فهو متألف من اعتقاد القلب وقول اللسان والعمل بالجوارح، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب، واللسان، وعمل القلب، واللسان، والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية)[٥].

---

(١) تهذيب اللغة(١/ ٢٠٩)، معجم مقاييس اللغة(١/ ١٣٨)، لسان العرب(١٣/ ٢١).

(٢) الفتاوى(٦٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى:(٧/ ٢٩٠-٢٩٣، ٥٢٩، ٥٣٤).

(٤) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر(ص٣٧)ط.كنوز اشبيليا-الرياض-السعودية.

(٥) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى(٣/ ١٥١).

والإيمان في الشرع لإطلاقه حالتان:-

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله....كقوله تعالى:M 7 8 9 : ; < = > ? @
A B C D E F G H I J K L M
N O P Q R S U V W X Y Z [L[١]
M 5 6 7 8 : ; < = > ? @ A
B C D E F G H I J K L M N
O P Q R S T U V W X Y
Z [\ ] ^ _ ` a c d e f
g h i j k l n o p L[٢] ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله، وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا في قول الله عز و جل:M ` a b c d f g h i j L[٣]
يعني: صلاتكم.

وفسره النبي r بذلك كله في حديث وفد عبد القيس في الصحيحين وغيرهما فقال: آمركم بالإيمان بالله وحده قال أتدرون ما الإيمان بالله وحده قالوا الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدي من المغنم الخمس)[٤].

و قوله r : **(الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)**[٥] . وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة

---

(١) الأنفال: ٢ – ٤.

(٢) الأعراف: ١٥٦ – ١٥٧.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) سبق تخريجه(ص٣٥٦).

(٥) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه:برقم(١٥٣)كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان(ص٣٨).

في مواضع.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان.

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه)[١].

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على كون الإيمان يتضمن الاعتقاد والقول والعمل، يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:(وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر)[٢]وقد حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم[٣]والقول بذلك مشهور ومستفيض عن الأئمة.

ومما سبق يتبين موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله لمذهب أهل السنة والجماعة في أن مسمى الإيمان في اللغة ليس مجرد التصديق فحسب، وأنه في الشرع يتضمن الاعتقاد والقول والعمل، وأنه من الأسماء الديانية التي نقل معناها في الشرع .

ب: زيادته ونقصانه.

نقل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول مجاهد رحمه الله على سبيل التقرير: Mوَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ L[٤] قال: بالله، فمعناه: من كفر بالإيمان كفر بالله، وحبط عمله، والدليل على ذلك أن سفيان روى عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد

(١) معارج القبول(٢/٥٩٧-٦٠٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/ ١٤٩).

(٣) الإيمان للعدني(ص٩٦)، الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام(ص٦٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٥/ ٨٨٦)، شرح السنة للبغوي(١/ ٣٨-٣٩)، التمهيد(٩/ ٢٣٨).

(٤) المائدة: ٥.

قال:" الإيمان قول وعمل يزيد وينقص")[١].

ويقول أيضا:(وقوله جل وعز:M 3 4 5 6 7 8 9 : ;

< = L[٢] أي: فمن المنافقين من يقول أيكم زادته هذه إيمانا لأنه إذا آمن بها فقد ازداد إيمانه)[٣].

ويبين معنى قوله تعالى:M ? @ A B C D L[٤] فيقول في معناها: أي صدقوا بها فازدادوا إيمانا)[٥].

الدراسة: -

دلت النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الإيمان يزيد وينقص.

فمن أدلة الكتاب: قول الله تعالى:M l m n o L[٦]، وقوله تعالى:M > = < ? @ A B C D E F L[٧] وقوله تعالى: Mوَمَا â إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسۡلِيمًا L[٨] .

وأما أدلة السنة:

١ -فقوله r : **(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)**وهذا الحديث استدل به الإمام الترمذي على زيادة الإيمان ونقصانه فخرجه في:(كتاب الإيمان،

---

(١) إعراب القرآن (٢ / ٩).

(٢) التوبة: ١٢٤.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٢٦٨) .

(٤) الأنفال: ٢.

(٥) معاني القرآن (٣ / ١٣٠).

(٦) المدثر: ٣١.

(٧) الفتح: ٤.

(٨) الأحزاب: ٢٢.

باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه)[١].

٢-وقوله r : **(يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير)**[٢] وهذا الحديث استدل به البخاري فبوب عليه "باب في زيادة الإيمان ونقصانه".

وأما الإجماع على ذلك فقد حكاه غير واحد[٣]، يقول ابن عبد البر رحمه الله تعالى:(أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)[٥].

❋ ❋ ❋

(١) سنن الترمذي(٥/٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٤٤):كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه(ص١٠)، ومسلم:كتاب الإيمان، باب أنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) شرح السنة للبغوي (١/٣٨)، التمهيد(٩/٢٣٨)، مجموع الفتاوى(٧/٦٧٢)، مدارج السالكين (١/٤٢١).

(٤) التمهيد(٩/٢٣٨) ونقله عنه شيخ الإسلام في الفتاوى(٧/٣٣٠)، وانظر في كلام السلف في هذه المسألة:السنة لعبدالله(١/٣٠٧)ومابعدها، السنة للخلال(٣/٥٧٩-٦٠٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة(٤/٨٤٨)وغيرها.

(٥) مجموع الفتاوى(٧/٦٧٢).

المطلب الثالث: الكفر

أ: تعريف الكفر لغة وشرعا: -

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى الكفر لغة بأنه الستر والتغطية فقال: (الكفر: هو التغطية، والمعنى: فقد غطى وستر ما يجب أن يظهر من تعظيم الله جل وعز)(١).

كما بين عند قول الله تعالى: M ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم ´ µ ¶ ¸ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا L(٢) سبب التعبير بالظلم بدلا عن الكفر فقال: (أصل الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فلما كفروا بها جعلوا موضع ما يجب من الإيمان الكفر، فقيل ظلموا بها بمعنى كفروا بها)(٣).

ثم ذكر استشكالا وجوابه، وهو كيف يغفر للكافر ويتاب عليه؟ فقال: (الله - U - لا يغفر شيئا من الكفر فكيف قال: M i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | L(٤) **فالجواب**: إن الكافر إذا آمن غفر له كفره، فإذا رجع فكفرلم يغفر له الكفر الأول، ومعنى ثم ازدادوا كفرا أصروا على الكفر)(٥).

وعند قول الله تعالى: M X Y Z] [L(٦) يقول مبينا معنى الآية: (لأنهم لا ينفعهم إيمانهم بالله جل وعز إذا كفروا برسوله وإذا كفروا برسوله

---

(١) إعراب القرآن (٤/ ١٥٩).

(٢) الأعراف: ١٠٣.

(٣) معاني القرآن (٣ / ٦٠).

(٤) النساء: ١٣٧.

(٥) إعراب القرآن - (١ /٤٩٦).

(٦) النساء: ١٥١ .

فقد كفروا به جل وعز لأنه مرسل للرسول ومنزل عليه الكتاب وكفروا بكل رسول مبشر بذلك الرسول فلهذا صاروا الكافرين حقا)[١].

الدراسة : -

الكفر لغة: الستر والتغطية، يقول ابن فارس رحمه الله: (الكاف والفاء والراء أصل صحيحٌ يدلُّ على معنىً واحد، وهو السَّتْر والتّغطية)[٢].

وشرعا: ضد الإيمان، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسدا، أو كبرا، أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة)[٣].

ومما ذكر أبوجعفر النحاس رحمه الله تعالى: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي، وقد ذكر غير واحد من أهل اللغة هذه العلاقة؛ يقول الأزهري رحمه الله تعالى: وقال الليث: يقال: إنه سمي الكافر كافرا لأن الكفر غطى قلبه كله ..... (قلت): ومعنى قول الليث: قيل له كافر لأن الكفر غطى قلبه، يحتاج إلى بيان يدل عليه، وإيضاحه أن الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال للابس السلاح: كافر وهو الذي غطاه السلاح .

وفيه قول آخر: وهو أحسن مما ذهب إليه الليث . وذلك أن الكافر لما دعاه الله جل وعز إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها، فلما رد ما دعاه إليه من توحيده كان كافرا نعمة الله أي مغطيا لها بإبائه حاجبا لها عنه..... .

قال: وكل ما غطى شيئا فقد كفره، ومنه قيل لليل: كافر لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه، قال: ومنه سمي الكافر كافرا لأنه ستر نعم الله، (قلت): ونعم الله جل

---

(١) إعراب القرآن - (١ / ٥٠٠).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس(٥/ ١٩١)، وانظر:تهذيب اللغة(٣/ ٣٦٤)لسان العرب(٥/ ١٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى - (١٢ / ٣٣٥).

وعز: آياته الدالة على توحيده)[١] .

ب: أنواع الكفر الأكبر: -

تضمن شرح أبي جعفر النحاس للآيات ذكر أنواع من الكفر الأكبر وهي: -

١ - كفر الإعراض: -

فقد قال في بيان معنى قول الله تعالى: M u v w x y L[٢] أي: أعرضوا بعدما تبين لهم الحق من خلق الله عز و جل)[٣].وقال أيضا:(ومن كفر فلم يعرف الشيء على حقيقته فلا يخلو أمره من إحدى جهتين إما أن يكون معاندا وإما أن يكون قد ترك ما يجب عليه من الاستدلال وتعرف الحق وهو على أحد هذين يعاقب)[٤].

٢ - كفر الشك: -

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مبينا معنى قول الله تعالى: M ! " # $ % L[٥]: (وكل من كفر فقد ظلم نفسه لأنه يوجلها النار، ثم قال تعالى: M & ' ( ) * + , L فكفر بالبعث وبأن الدنيا تفنى)[٦]، وقال أيضا:(فالظن ههنا شك فكفر على الشك لأنه قد رأى من البراهين ما لا يخيل على ذي فطنة) [٧].

---

(١) تهذيب اللغة (١٠ / ١١٢)، معجم مقاييس اللغة(٥/ ١٩١).

(٢) الأحقاف: ٣ .

(٣) معاني القرآن - النحاس - (٦ /٤٣٧).

(٤) إعراب القرآن - (٣ /٢٥٦).

(٥) الكهف: ٣٥ .

(٦) معاني القرآن - النحاس - (٣ /١٤٣).

(٧) إعراب القرآن - (٣ /٢٣٨).

٣- كفر النفاق: -

أورد أبـو جعفـر النحـاس رحمـه الله تعـالى مـا دل عليـه قـول الله تعـالى:

M / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < =) ?

@ A B C D E F G L[1] فقـال:(دل عـلى أن المنـافقين كفـار وفي قوله: M ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ L[2] دليل قاطع)[3].

٤ - كفر الإباء والاستكبار: -

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: M فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ © ٱلْكَٰفِرِينَ L[4] قـول ابـن عبـاس رضي الله عنهما عند هذه الآية فقال:(قال الضحاك، قـال ابـن عبـاس رضي الله عنهما: كـان إبلـيس مـن أشراف الملائكة وكان خازن الجنان وكان أمينا على السماء الدنيا والأرض ومن فيهما فأعجبته نفسه ورأى أن له فضلا على الملائكة ولم يعلم بذلك أحد إلا الله جـل وعـز فلما أمر الله جل وعز الملائكة بالسجود لآدم امتنع وظهر تكبره)[5].

الدراسة: -

دلـت الأدلـة مـن الكتـاب والسـنة عـلى أن الكفـر ينقسـم إلى أقسـام متعـددة، وباعتبارات مختلفة، وقد استنبط أهل السنة والجماعة من نصوص الكتاب والسنة أن الكفر الأكبر ينقسم إلى أقسام متعددة[6] يجمعها خمسة أقسام هي: -

---

(١) التوبة: ٧٤.

(٢) المنافقون: ٣.

(٣) إعراب القرآن (٢/ ٢٢٨).

(٤) ص: ٧٣ - ٧٤ .

(٥) معاني القرآن (٦/ ١٣٨).

(٦) انظـر: تفسـير البغـوي(١/ ٦٤)، مـدارج السـالكين(١/ ٣٣٧)، الـدرر السـنية(٢/ ٧١)، معـارج القبول(٢/ ٥٩٣)، التكفير وضوابطه د.إبراهيم الرحيلي(ص٩٥ومابعدها)-ط.دار الإمام البخاري-

=

١ - كفر التكذيب والإنكار:

وهو اعتقاد كذب الرسول r أو شيء مما جاء به، مثل التكذيب فيما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من علم المغيبات، والدليل قوله تعالى:M [^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n L[(١)].

٢ - كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

مثل كفر إبليس، ومثل كفر من عرف صدق الرسول r وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له استكبارا، قال تعالى: M v w x y z } { | | { ~ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ L[(٢)].

٣ - كفر الشك:

وهو أن يشك في الرسول r أو في شيء مما جاء به، كأن يشك في البعث بعد الموت، والدليل قوله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J L[(٣)].

٤ - كفر الإعراض:

وهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول: لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى شيء مما جاء به، والدليل قوله تعالى:M u v w

---

= قطر-الأولى-١٤٢٦هـ، الكفر الأكبر د.عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين بحث منشور بجامعة أم القرى –العدد "٢٢"(١٤٨/٨ ومابعدها).

(١) العنكبوت: ٦٨.

(٢) البقرة: ٣٤.

(٣) الكهف: ٣٥ – ٣٧.

x y L[١].

٥ - كفر النفاق:-

والمراد به:النفاق الأكبر، وهو: إظهار دعوى الإيمان وإبطان التكذيب، قال تعالى:M ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ © فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ L[٢].

(١) الأحقاف:١٤.

(٢) المنافقون: ٣ .

المطلب الرابع: النفاق

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مبيناً معنى النفاق:(قال أهل اللغة: النفاق مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو جحر يخرج منه اليربوع، إذا أخذ عليه الجحر الذي يدخل فيه؛فقيل منافق لأنه يدخل الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد)[١].

كما بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن هذا اسم إسلامي فقال:(لهذا نظائر من أصول الدين يعرفها أهل اللغة، وتحتاج الناس جميعا إلى معرفتها، وهي الأسماء الديانية، وذلك أنه يقال آمن بكذا إذا صدق، ثم قيل مؤمن: لمن صدق بمحمد r ، وهو اسم دياني، وكذا منافق اسم وقع بعد الإسلام)[٢].

الدراسة: -

النفاق لغة: مصدر نافق ينافق نفاقا.

وهو: مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر، وقيل: من النافقاء وهو مخرج خفي لليربوع .

وسمي المنافق منافقا؛ لأنه يستر كفره، وله وجهان، وجه ظاهر أمام المؤمنين ووجه خفي أمام أعدائهم، فشبه بمن يدخل النفق يستتر به ويخلص إلى مكان آخر، أو باليربوع عندما يضع له بابين بابا ظاهرا وبابا خفيا[٣].

وشرعا: ينقسم النفاق إلى قسمين:

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:(وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين:

---

(١) معاني القرآن (١ / ٨٨).

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢/ ٤٣٠).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري(١ /١٢٠) ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.، العين(٥ /١٧٨)تهذيب اللغة (٩ /١٥٦) الصحاح (٥/ ٢٤٦).

أحدهما: النفاق الأكبر وهو:أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله، أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله r ، ونزل القرآن بذم أهله، وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر وهو: نفاق العمل.

وهو: أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك، وأصول هذا النفاق يرجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث)[١].ويقصد الحافظ ابن رجب رحمه الله بالأحاديث مثل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: عن النبي r قال: **(أربع من كن فيه كان منافقا، أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)**[٢] .

والنفاق من الأسماء التي لم تعرف إلا بعد الإسلام، ولذا أطلق عليه أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بأنه من الأسماء الديانية[٣].

وقد ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى طرفا من العلاقة بين المعنى اللغوي للنفاق والمعنى الشرعي له، كما بسط شيخه الأنباري ذلك بقوله:(قال أبو بكر: فيه ثلاثة أقوال:

قال أبو عبيد: إنما قيل له منافق لأنه نافق كاليربوع، يقال: قد نافق اليربوع ونفق، إذا دخل نافقاءه، قال: وله جحر آخر يقال له "القاصعاء" فإذا طلب من النافقاء قصع فخرج من القاصعاء، وإذا طلب من القاصعاء نفق، فخرج من النافقاء.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١ / ٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري برقم:٣٤(كتاب الإيمان، باب علامات المنافق)(ص٩) ومسلم برقم:٢١٠(كتاب الإيمان، باب خصال المنافق)(ص٤٧).

(٣) النهاية لابن الأثير(٥ / ٣٦٠)، لسان العرب (١٠ /٣٥٧)، تاج العروس(٢٦ /٤٣١).

قال: فقيل له منافق؛ لأنه يخرج من الإسلام من غير الوجه الذي دخل منه[١].

وقال آخرون: المنافق مأخوذ من النفق، وهو السرب؛ أي: يتستر بالإسلام كما يتستر الرجل في السرب قال الله عز وجل: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٢].

وقال قوم: المنافق مأخوذ من النافقاء، وهو جحر يخرقه اليربوع من داخل الأرض، فإذا بلغ إلى جلدة الأرض أرق التراب، حتى إذا رابه ريب دفع التراب برأسه وخرج، فقيل للمنافق منافق؛ لأنه يضمر غير ما يظهر، بمنزلة النافقاء؛ ظاهره غير بين، وباطنه حفر في الأرض)[٣].

* * *

(١) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد(١٣/٣).

(٢) الأنعام: ٣٥.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٢٠)، وانظر: تهذيب اللغة(١٥٦/٩).

المطلب الخامس: الكبائر

أ: تعريفها: -

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى الكبيرة لغة بقوله: (وحقيقة الكبيرة في اللغة: أنها ما كبر وعظم مما وعد الله جل وعز عليه النار، أو أمر بعقوبة فيه، فما كان على غير هذين جاز أن يكون كبيرة وأن يكون صغيرة)[١].

وفي موضع آخر يقول: (فأولى ما قيل في الكبائر وأجمعه .....سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر فقال: كل ما نهى الله جل وعز عنه فهو من الكبائر حتى ذكر الطرفة -وأسند- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكبائر كل ما ختمه الله جل وعز بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب قال أبو جعفر: فهذا قول حسن بين؛ لأن الله جل وعز قال M b c d e f g h i j k l

m L[٢] فعقل بهذا أن الصغائر لا يعذب عليها من اجتنب الكبائر، فإذا أعلم الله جل وعز أنه يدخل على ذنب النار علم أنه كبيرة، وكذا إذا أمر أن يعذب صاحبه في الدنيا بالحد، وكذا قال الضحاك: كل موجبة أوجب الله تعالى لأهلها العذاب فهي كبيرة، وكل ما يقام عليه الحد فهو كبيرة، فهذا المعنى الذي بينا بعد ذكر الأحاديث المسندة فهو شرح أيضا قول الله تعالى: M b c d e f g L وكل ما كان مثله)[٣].

كما ذكر قول الحسن في بيان الكبائر بقوله: (قال الحسن: "الكبائر" كل ما وعد الله جل وعز عليه النار .

وقيل: الكبائر كل ما وعد الله عليه النار، وأجمع المسلون على أنه من الكبائر؛

---

(١) معاني القرآن - (٢ / ٧٢).

(٢) النساء: ٣١.

(٣) إعراب القرآن - (٤ / ٨٨-٨٩).

فقد أجمعوا على أن الخمر من الكبائر)[١].

الدراسة: -

الكبيرة في اللغة: ضد الصغيرة، وهي ما كبر وعظم[٢].

وأما في الاصطلاح: فقد تنوعت أقوال أهل العلم وتعددت في حدها، يقول ابن القيم رحمه الله:(وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة)[٣].

وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عدة أنواع مما أورده السلف في بيان حد الكبيرة[٤]، والذي ارتضاه غير واحد من المحققين[٥] في ضابط الكبيرة هو ماورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بقوله:(كل ما ختمه الله جل وعز بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب)، وممن اختاره أبو جعفر النحاس وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله وقد بين شيخ الإسلام سبب اختيار هذا الضابط بقوله:(وإنما قلنا: إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف بغير دليل شرعي.

الثـــاني: أن الله قـــال: j i h g f e d c bM k l m L[٦] فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق

(١) معاني القرآن - النحاس - (٦ /٣١٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة(ص٩١٥)، لسان العرب(٥/ ١٢٥).

(٣) مدارج السالكين - (١ / ٣٢٠).

(٤) انظر:تفسير البغوي (٢/ ٢٠١-٢٠٤).

(٥) مجموع الفتاوى(١١ /٦٥٠)، مدارج السالكين(١ /٣٢٧)، شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٥٢٥)، فتح الباري(١٢ /١٨٨)، لوامع الأنوار البهية(١/ ٣٦٥).

(٦) النساء: ٣١.

الوعد الكريم، وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك؛ فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنبي الكبائر. وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر، إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه .

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب؛ فهو حد يتلقى من خطاب الشارع، وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله؛ بل هو قول رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي والرأي والذوق بدون دليل شرعي لا يجوز .

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر؛ لأن تلك الصفات لا دليل عليها، لأن الفرق بين ما اتفقت فيه الشرائع واختلفت لا يعلم إن لم يمكن وجود عالم بتلك الشرائع على وجهها وهذا غير معلوم لنا)[(١)].

ب: تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر: -

يقول أبو جعفر النحاس مبينا انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر:(وأجمع المسلمون على قولهم كبائر وصغائر)[(٢)].

وعند قول الله تعالى Mإِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ L[(٣)]: يقول:(قد قيل: يعني به الصلوات، ومما لا تنازع فيه أن التوبة تذهب السيئات، وإن اجتناب الكبائر يذهب

(١) مجموع الفتاوى(١١/ ٦٥٥-٦٥٦).

(٢) إعراب القرآن - (١ / ٣٠٩).

(٣) هود: ١١٤.

السيئات الصغائر)[١].

الدراسة: -

ذهب عامة أهل العلم من أهل السنة والجماعة إلى تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، بل قد حكى ابن القيم الإجماع على ذلك فقال:(والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار)[٢].

والأدلة على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر ثابتة بالكتاب والسنة.

فمن كتاب الله تعالى قول الله تعالى: M b c d e f g h i j k l m L[٣]. وقول الله تعالى: M m n o p q r s L[٤].

ومن السنة ما جاء في الصحيح عن النبي r : أنه قال: **(الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)**[٥] .

وقوله r : **(ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله)**[٦] .

وبهذا يتبين موافقة أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى لعقيدة أهل السنة والجماعة في انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر.

---

(١) إعراب القرآن - (٢ / ٣٠٧).

(٢) مدارج السالكين (١ / ٣١٥)، وانظر: مجموع الفتاوى(١١/ ٦٥٧)، الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي(١/ ٨-٩)ط.المكتبة العصرية-لبنان١٤٢٠هـ.

(٣) النساء: ٣١.

(٤) النجم: ٣٢.

(٥) أخرجه مسلم برقم:٥٥٠"كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ...مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر"(ص١١٧).

(٦) أخرجه مسلم:برقم"٥٤٣"كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه(ص١١٦).

ج:عدد الكبائر:-

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مبينا عدد الكبائر:(والأحاديث عن النبي r في الكبائر معروفة كثيرة، وعن الصحابة، وعن التابعين، ونحن نذكر من ذلك ما فيه كفاية لتبيين هذا، ونبين معنى الكبائر والاختلاف فيه إذا كان مما لا يسع أحدا جهله، ونبدأ بما صح فيها عن الرسول r مما لا مطعن في إسناده، وتوليه من قول الصحابة، والتابعين، وأهل النظر بما فيه كفاية إن شاء الله –ثم ساق بسنده عدة أحاديث- ثم قال:(فأما الحديث المجمل فالذي رواه أبو سعيد وأبو هريرة عن النبي r "أنها سبع" فليس بناقض لهذا لأن قذف المحصنة، واليمين الغموس، والسحر، داخلان في قول الزور، وحديث ابن مسعود الذي فيه أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك داخل في قتل النفس المحرمة، ولم يقل رسول الله r :لا تكون الكبائر إلا هذه، فيجب التسليم. وقد روى مسروق عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "الكبائر من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آيةM b c d e f g h i j k l m L[1])[2].

وعدد في موضع آخر أنواعا من الكبائر فذكر:(الإشراك، واليأس من روح الله، والأمن لمكر الله، ومنه عقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وأكل الربا، والسحر، والزنا، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، ومنع الزكاة المفروضة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وشرب الخمر، وترك الصلاة متعمدا، أو شيء مما افترض الله ونقض العهد، وقطيعة الرحم)[3].

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٨٦-٨٨).

(٣) معاني القرآن (٦ /٣٢٠)، وانظر(٢/ ٧١).

الدراسة: -

اختلف أهل العلم في تعداد الكبائر اختلافاً كثيراً، ومرد هذا الاختلاف إلى تتبع نصوص الكتاب والسنة، وما جاء فيها من كون هذا الفعل معدود في الكبائر، يقول القرطبي رحمه الله:(وقد اختلف الناس في تعدادها وحصرها لاختلاف الآثار فيها، والذي أقول: إنه قد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحاح وحسان لم يقصد بها الحصر، ولكن بعضها أكبر من بعض بالنسبة إلى ما يكثر ضرره، فالشرك أكبر ذلك كله....)[1] وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شيئا مما ذكره السلف في تعداد الكبائر،كما نبه على استشكال كون بعض النصوص قد جاءت بحصر الكبائر في عدد معين، وأجاب عنه بأن الحصر بذلك لا يقتضي أن تكون الكبائر تلك فحسب، بل قد جاءت نصوص أخرى ببيان كبائر غير المذكورة في الأحاديث التي ظاهرها الحصر، يقول السفاريني رحمه الله:(والحكمة في الاقتصار على السبع المذكورة في الحديث مع ورود ما يزيد على السبعين في أحاديث متفرقة أن هذه موصوفة بصفة زائدة على مجرد الكبيرة، وهي الموبقة، أي المهلكة، -ثم أورد عددا من الأحاديث التي ظاهرها الحصر لعدد الكبائر-وقال بعدها: ..... إلى غير ذلك من الأحاديث التي وصف فيها الذنوب بالكبر مما يزيد عن السبعين . الجواب: أن هذا مما يؤيد أن العدد لا مفهوم له، أو أنه ﷺ علم أولا بالسبع المذكورات، ثم علم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائدة، أو الاقتصار على السبع، وقع بحسب المقام بالنسبة للسائل، أو من وقعت له واقعة، والأقوى أن التنصيص على السبع في كل حديث لزيادة عظمها)[2]، والذي يظهر أن الأولى في بيان تحديد الكبيرة يرجع إلى الضابط الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ما ارتضاه أبو جعفر النحاس فيما سبق.

---

(١) تفسير القرطبي (٥ / ١٦٠).

(٢) لوامع الأنوار البهية(١ /٣٦٧)، وانظر:شرح النووي على مسلم(٢ /٨٤-٨٦)، تفسير القرطبي (٥/١٥٩-١٦٠).

د:حكم مرتكب الكبيرة: -

قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الرد على الخوارج الذي كفروا بالـذنوب فقال:(وقوله جل وعز M$ % & ' ( ) (L[١] الغلو: التجاوز، قال أبـو عبيد: كما فعلت الخوارج أخرجهم الغلو إلى أن كفروا أهل الذنوب قال: ويبين لك هـذا قـول النبـي r فـيهم" يمرقـون مـن الـدين كـما يمـرق السـهم مـن الرميـة"[٢] والمروق: هو الغلو بعينه لان السهم يتجاوز الرمية)[٣].

كـما رد عـلى "قطـرب" في قـول الله تعـالى:M J K L M O P Q R L[٤] فقال:(وفي الآية سؤال لا أعلم في السورة أشد منه، يقال: ما معنى وهل يجازى إلا الكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي غير الكفار؟ وقد تكلم العلماء في هـذا فقال قوم: ليس يجازى بمثل هذا الجزاء الذي هو الاصطلام والهلاك إلا مـن كفـر، فأما قطرب فجوابه على هـذه الآيـة عـلى خـلاف لأنـه جعلهـا في أهـل المعـاصي غـير الكفار، وجرى على مذهبه وقوله من كفـر بـالنعم فعمـل الكبـائر، وأولى مـا قيـل في هذه الآية وأجل ما روي فيها: أن الحسن قال: مثلاً بمثل)[٥].

كـــما أورد الأقـــوال في معنـــى قـــول الله تعـــالى:M y z { | } ~ L[٦] بقوله:("هذا"من المتشابه الذي قد تكلم فيه العلماء، فقال بعضهم: كان هذا متشابها حتى بين الله جل وعز ذلك بالوعيد، وقال محمد بن جرير:" قد أبانت هذه الآيـة أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله جل وعز إن شاء عفا عنه ذنبه وإن شاء عاقبه عليه

---

(١) المائدة: ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري رقم"٣٦١٠"(كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)(ص٦٠٥) ومسلم برقم"٢٤٥٢"(كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)(ص٤٣٠).

(٣) معاني القرآن - النحاس - (٢ /٣٤٥).

(٤) سبأ: ١٧.

(٥) إعراب القرآن(٣/٣٤٠-٣٤١).

(٦) النساء: ٤٨.

ما لم يكن كبيرته شركا بالله جل وعز" وقال بعضهم: قد بين الله جل وعز بقوله: M b c d e f g h i j L[(١)] فأعلم أنه يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر، ولا يغفرها لمن أتى الكبائر، وقول ثالث: أن المعنى في "لمن يشاء" لمن تاب، ويكون إخبارا بعد أخبار أنه يغفر الشرك وجميع الذنوب لمن تاب)[(٢)].

وعند هذه الآية في كتابه معاني القرآن يقول:(y z { | } ~) قال بعض أهل اللغة: معناه إلا الكبائر، وقيل: معناه بعد التوبة)[(٣)].

الدراسة: -

دلت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة والجماعة على أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأن حكمه في الدنيا حكم المسلمين، وهو في أحكام الآخرة مرد أمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، والأدلة على ذلك:

١-قول الله تعالى:M r s t u v w x y z { | } ~ L[(٤)]

(فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك، يعني إذا مات غير تائب منه لقوله:M s t u v w x y z { | L[(٥)] مع آيات غير هذه تدل على أن التائب من الشرك مغفور له شركه، فثبت بذلك أن الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفر: هو الشرك الذي لم يتب منه، وأن التائب مغفور له شركه، وأخبر أنه يغفر: ما دون الشرك لمن يشاء، يعني لمن أتى ما دون الشرك، فلقي الله غير تائب منه، لأنه لو أراد أن يغفر ما دون الشرك للتائب، دون من لم يتب لكان قد سوى بين الشرك، وما

---

(١) النساء: ٣١ .

(٢) إعراب القرآن - (١ /٤٦١- ٤٦٢).

(٣) معاني القرآن - النحاس - (٢ / ١٠٨).

(٤) النساء: ٤٨.

(٥) الأنفال: ٣٨ .

دونه، ولو كان كذلك لم يكن لفصله بين الشرك وما دونه معنى، ففصله بينهما دليل على أن الشرك لا يغفره لو مات وهو غير تائب منه، وأن يغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء ممن مات وهو غير تائب، ولا جائز أن يغفر له، ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن)[1].

٢- حديث معاذ المشهور وفيه قوله r : (**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**)[2] .

٣- حديث أبي ذر - t - عن النبي r أنه قال:(**أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق**)[3] .

قال النووي رحمه الله: (وأما قوله r "وإن زنى وإن سرق" فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود بالجنة)[4].

وأما إجماع سلف الأمة فقد حكاه غير واحد من أهل العلم[5]:-

قال الإمام ابن بطة رحمه الله: (وقد أجمعت العلماء - لا خلاف بينهم - أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيء)[6]وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: (ولا نكفر

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٦١٧)، وانظر الإيمان الأوسط (٣٦، ٣٧).

(٢) رواه البخاري اللباس برقم٥٩٦٧" باب إرداف الرجل خلف الرجل(ص١٠٤٤)، ومسلم: برقم (١٤٣) الإيمان: " باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً "(ص٣٦).

(٣) رواه البخاري:(١٢٣٧)كتاب الجنائز، باب ومن كان آخر كلامه:لاإله إلا الله (ص١٩٨)، ومسلم برقم"٢٧٢" كتاب الإيمان " باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة "(ص٥٥).

(٤) شرح صحيح مسلم(٢/٩٧).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر(ص٢٧٤)، الشرح والإبانة(ص٢٦٥)، شرح السنة للبغوي(١/١٠٣).

(٦) الشرح والإبانة(ص٢٦٥).

أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) [(١)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: (اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئاً منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته)[(٢)] .

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي في تعليقه على كلام الإمام الطحاوي (إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين ...)[(٣)].

وهذا القول الذي عليه أهل السنة والجماعة قد ارتضاه أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، فقد رد على الخوارج القائلين بتكفير أهل الكبائر، كما رد على المعتزلة كذلك، وأيضا فقد أثبت الشفاعة للموحدين من أهل الكبائر في الخروج من النار، إلا أن مما يؤخذ عليه ما ذكره عند قول الله تعالى:(y z { | } ~) بقوله:("قال بعض أهل اللغة: معناه إلا الكبائر)[(٤)]فهو لم يتعقب هذا القول عندما أورده، وهذا مما يؤخذ عليه رحمه الله.

❖ ❖ ❖

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٤٣٢).

(٢) شرح السنة (١/ ١٠٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية(٢/ ٤٤٢).

(٤) معاني القرآن - النحاس - (٢ /١٠٨)، وقد تعقب محقق الكتاب أبا جعفر النحاس عند هذا الموضع ورد عليه.

المبحث الثاني:
آراء أبي جعفر النحاس في الصحابة والإمامة

وفيه مطلبان: -

المطلب الأول: الصحابة .

المطلب الثاني: مسائل الإمامة .

المطلب الأول: الصحابة

أ: فضائلهم:

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شيئا من فضائل أصحاب رسول الله r عند بيانه لمعاني بعض آيات الله تعالى؛ فعند قول الله تعالى: M k l m n o p q r s t u v w x L[1] يقول في معناها: (u v w x) خبر كان، أي: أحق بها من غيرهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله r الذين اختارهم الله جل وعز له)[2].

وعند قول الله تعالى: M x y z { | } ~ مِّنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ L[3] يقول في بيان معناها: (فدل بهذا على فضل أصحاب رسول الله r، وعلى الرد على من يتنقصهم؛ لأنه جل وعز اختارهم لنصرة نبيه عليه السلام)[4].

ولما أورد قول الله تعالى: M C D E F G H I J L[5] قال في معناها: (روى الحكم بن ظهير عن السدي ووكيع وأبو عاصم عن سفيان (F G H I J) قالا: أصحاب محمد r اصطفاهم الله لنبيه r)[6].

وعند قول الله تعالى: M لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْ L[7] يقول بعد أن ذكر بعض الأقوال في الآية: (وقال

---

(١) الفتح: ٢٦.

(٢) إعراب القرآن (٤ / ٢٠٣).

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) إعراب القرآن (٣ / ١٠٦).

(٥) النمل: ٥٩.

(٦) معاني القرآن للنحاس (٥ / ١٤٣)، وانظر في الأثرين: تفسير الطبري(١٩/ ٤٨٢-٤٨٣)، تفسير ابن كثير(٦/ ٢٠٢).

(٧) الحديد: ١٠.

الشعبي: الذين أنفقوا قبل الحديبية وقاتلوا أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد فتح الحديبية وقاتلوا.

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بالصواب؛ لأن عطاء بن يسار روى عن أبي سعيد الخدري قال: قال لنا رسول الله r يوم فتح الحديبية: **"يأتون أقوام تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، قلنا: يا رسول الله: أمن قريش هم؟ قال: لا، هم أهل اليمن، أرق أفئدة، وألين قلوبا، قلنا: يا رسول الله: أهم خير منا؟ قال: لا، لو أن لأحدهم جبل ذهب ثم أنفقه ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه هذا فضل ما بيننا وبين الناس"**[(١)]، وفي كتاب الناسخ والمنسوخ عند هذا الموضع زاد على ما سبق تأكيدا بقوله:(وفي الحديث **"لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم ملء الأرض ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه"**[(٢)])[(٣)].

كما أوضح أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى شيئا من فضائل الخلفاء الراشدين المهديين وذلك في مواضع متفرقة من كتبه:

فيقول في فوائد قصة الحديبية:(وفيه تبيين فضل أبي بكر t وأنه أعلم الناس بعد رسول الله r بأحكام الله عز و جل وشرائع نبيه عليه السلام لأنه أجاب عمر رضي الله عنهما بمثل جواب رسول الله r وثبته، وإنما كان ذلك من عمر كراهة لإعطاء الدنية في الإسلام فهذا الذي شرع لكم لجميع الأنبياء صلوات الله عليهم أن يقيموا الدين الذي ارتضاه وهو الإسلام وأمة محمد r مقتدون بهم وفي الحديث عن النبي r **(اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)** أي: اعملوا كما يعملان من اتباع أمر

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير(٢٣/١٧٦)، والطحاوي في مشكل الآثار(٢/١٨٣)، وانظر:الأحكام الكبرى لعبدالحق الإشبيلي(٤/٤٦٢-٤٦٣)ط.مكتبة الرشد-الرياض-ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) أخرجه البخاري:برقم"٣٦٧٣"كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ^ "لوكنت متخذا من أمتي خليلا"(٦١٧)، ومسلم برقم"٦٤٨٧" كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة (ص١١١٣).

(٣) الناسخ والمنسوخ(٣/١٨).

الله جل وعز، وترك خلاف ما أمروا به وليس معناه في كل مسألة)[١].

كما أسند قول ابن مسعود t في فضيلة عمر t فقال:(قال عبد الله بن مسعود: "لو وضع علم عمر t في كفة ووضع علم أحياء العرب في كفة لرجح علم عمر ولقد كنا نقول ذهب عمر بتسعة أعشار العلم")[٢].

وقول ابن عباس رضي الله عنهما: (كنت فيمن يزدحم على عمر t حين وضع على سريره، فجاء رجل من خلفي فوضع يده على منكبي فترحم وقال: ما من أحد لقي الله في عز و جل بعلمه أحب إلي من هذا؛ أن كنت أظن ليجمعنه الله عز و جل مع صاحبيه، كنت أسمع رسول الله r يقول: كنت أنا وأبو بكر وعمر، وقلت أنا وأبو بكر وعمر، وكنت أظن ليجمعنك الله معهما، فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب t)[٣]، وفي بيان فضيلة عثمان يقول:(وفيه أن عبد الله بن عمر خَبَّر أن عثمان خير وأعلم من كل من ولي عليه)[٤]، وعند قول الله تعالى:M q r s t u v x y z { L[٥] يقول:(والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو: عثمان بن عفان رحمة الله عليه، كان عثمان يكفل مولاه، فعثمان الذي ينفق وهو على صراط مستقيم)[٦].

كما ذكر الحديث في فضل علي t وبين معناه وذلك بقوله:(وفي الحديث عن النبي r **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[٧] في معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن يكون

---

(١) إعراب القرآن(٤/٧٤-٧٥).

(٢) الناسخ والمنسوخ(٢/٤١٩) والأثر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٣٣٦) والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٦٣) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٢٨٣).

(٣) الناسخ والمنسوخ(٢/٤٢٠)، والأثر:أخرجه البخاري في صحيحه برقم٣٦٧٧ (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي r :"لوكنت متخذا خليلا") (ص٦١٨).

(٤) الناسخ والمنسوخ للنحاس(٢/٥٧).

(٥) النحل: ٧٦.

(٦) معاني القرآن (٤ / ٩٣) .

(٧) روي الحديث عن عدد من الصحابة، وقد أخرجه أحمد في مواضع متعددة (٢/٧١، ٢٦٢، ٢٦٩، =

المعنى من كنت أتولاه فعلي يتولاه.

والقول الثاني: من كان يتولاني تولاه. والقول الثالث: أنه يروى أن أسامة بن زيد قال لعلي عليه السلام لست مولاي إنما مولاي رسول الله r فقال عليه السلام: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[1].

الدراسة: -

جاءت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة بإثبات فضائل صحابة رسول الله r وأنهم أفضل ممن بعدهم[2]، وقد ذكر شيئا منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فيما أوردته عنه، وأما أدلة السنة فهي كثيرة متواترة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر شيئا منها:(وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة")[3].

وأما الإجماع على فضائلهم فقد ذكره غير واحد؛يقول النووي:(اتفق العلماء

= ٤٣٤) (٥/ ١٨٠) (٣٠/ ٤٣٠)، والترمذي برقم٣٧١٣ (كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)(٥/ ٦٣٣)، وابن ماجه برقم١٢١في (المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله r (١/ ٤٥) والحاكم (٣/١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٤٣، ٤١٩، ٦١٣)، والحديث قد اختلف أهل العلم في صحته؛فقد صححه جمع وضعفه آخرون.

قال شيخ الإسلام: "وأما قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فليس هو في الصّحاح، لكن هو ممّا رواه أهل العلم وتنازع النّاس في صحّته (منهاج السنة: ٤/ ٨٦)، والحديث قال عنه الترمذي(هذا حديث حسن صحيح)، وصححه الألباني بعد أن ساق عددا من طرق الحديث في الصحيحه (٤/ ٣٣٠) برقم١٧٥٠، والحديث قال عنه ابن حزم(وأما من كنت مولاه فعلى مولاه فلا يصح من طريق الثقات أصلا) الفصل في الملل (٤ / ١١٦).

(١) معاني القرآن (٦ / ٤١٠-٤١١).

(٢) انظر:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١/ ١٦٠)، شرح صحيح مسلم(٢/ ١٤١)، منهاج السنة (٤/ ٦٠٠)، مجموع الفتاوى(٤/ ٥٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى(٤/ ٤٣٠).

على أن خير القرون قرنه r والمراد أصحابه)[١].

وقد تكاثرت أقوال أهل العلم في بيان فضائل الصحابة، وسطرها أهل السنة والجماعة في عقائدهم التي كتبوها، يقول عبد الله بن مسعود t :(من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم)[٢].

وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قول ابن مسعود ثم قال عقيبه:(فقول عبد الله بن مسعود t :"كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً" كلام جامع بيَّن فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب، وبيَّن فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف)[٣]، وقال الإمام الشافعي رحمة الله عليه:(وقد أثنى الله ـ تبارك وتعالى ـ على أصحاب رسول الله r في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسان رسول الله r من الفضل ما ليس لأحد بعدهم فرحمهم الله، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين، والشهداء، والصالحين، أدوا إلينا سنن رسول الله r عاماً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكى لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله r فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول

---

(١) شرح صحيح مسلم(١٦/ ٨٤).

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله(٢/ ١٩٧-١٩٨)، و أبونعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).

(٣) منهاج السنة(٢/ ٧٩).

بعضـهم إن تفرقـوا، وهكـذا نقـول ولم نخـرج مـن أقـاويلهم، وإن قـال أحـدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله)[١].

ويقول الطحـاوي رحمـه الله:(ونحـب أصـحاب رسـول الله ^ ، ولا نفـرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[٢]

وقـال السـفاريني رحمـه الله تعـالى:(ولا يرتـاب أحـد مـن ذوي الألبـاب أن الصحابة الكرام هم الذين حازوا قصبات السبق واستولوا على معـالي الأمـور مـن الفضل والمعروف والصدق، فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفـى مـنهجهم القويم، والتعيس من عدل عن طريقهم، ولم يتحقـق بتحقـيقهم فـأي خطـة رشـد لم يستولوا عليها، وأي خطـة خـير لم يسـبقوا إليهـا تـالله لقـد وردوا ينبـوع الحيـاة عـذباً صافياً زلالاً ووطدوا قواعد الدين، والمعروف فلم يدعوا لأحد بعدهم مقالاً فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والإيمان، والقرى بالسيف والسنان، وبذل النفوس النفيسة في مرضـاة الـرحيم الـرحمن، فـلا معـروف إلا مـا عـنهم عـرف، ولا برهـان إلا مـا بعلـومهم كشـف، ولا سـبيل نجـاة إلا مـا سـلكوا، ولا خـير سـعادة إلا مـا حققـوه وحكوه فرضوان الله تعالى عليهم أجمعين)[٣].

ب:الرد على من يتنقصهم:-

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى خطورة تنقص صحابة رسول الله r من خلال حكاية قـول الإمـام مالـك رحمـه الله:(قـال مالـك: لـيس لمـن شـتم أصـحاب

---

(١) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي(١/٤٤٢-٤٤٣) تحقيق: أحمد صقر، نشر: مكتبة دار التراث، طبع: دار النصر طبعة أولى ١٣٩١هـ.

(٢) الطحاوية مع شرحها(٢/٦٨٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية(٢/٣٧٩-٣٨٠)

الرسول r في الفيء نصيب؛ لأن الله تعالى قال:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[١] وقال قتادة:"لم تؤمروا بسب أصحاب النبي")[٢].

وعند قول الله تعالى:M x y z { | } ~ مِّنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ L[٣] يقول في معناها:(فدل بهذا على فضل أصحاب رسول الله r، وعلى الرد على من يتنقصهم، لأنه جل وعز اختارهم لنصرة نبيه عليه السلام)[٤].

وقد ذكر عنه القرطبي قصة علي بن الحسين عند قول الله تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , L[٥] وذلك بقوله:(وقد قيل: إن محمد ابن علي بن الحسين[٦]، رضي الله عنهم، روى عن أبيه: أن نفرا من أهل العراق جاءوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم عثمان t فأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا لا.فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ؟ فقالوا لا. فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين ! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6

---

(١) الحشر: ١٠ .

(٢) إعراب القرآن (٤ / ٣٩٧).

(٣) الحج: ٧٨.

(٤) إعراب القرآن (٣ / ١٠٦).

(٥) الحشر: ١٠ .

(٦) هو:محمد بن علي بن الحسين بن علي العلوي، الفاطمي، المدني، ولد زين العابدين، ولد: سنة ست وخمسين، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد والشرف، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين انظر:سير أعلام النبلاء (٧ / ٤٥٢-٤٦٠).

7 L[1] قوموا، فعل الله بكم وفعل، ذكره النحاس)[2].

الدراسة:

من أصول أهل السنة والجماعة الترضي عن جميع الصحابة واعتقاد أنهم خير الأمة بعد رسولها **r** وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة:

فمن أدلة الكتاب:

١-قـول الله تعـالى:M Q R S T U V W X Y Z [\
] ^ _ ` a b c d e f g h i
j k L[3].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:(ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم)[4].

٢-وقـول الله تعـالى:M ! " # $ % & ' ( )
* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[5].

ومن أدلة السنة:

حديث أبي سعيد الخدري **t** قال:قال رسول الله **r** : **"لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا**

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) تفسير القرطبي (١٨ / ٣١-٣٢)، والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية(٣/١٣٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق(٤١/٣٨٩-٣٩٠).

(٣) الأحزاب: ٥٧ – ٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير(٦/ ٤٨٠).

(٥) الحشر: ١٠.

نصيفه"[١] .

وأما أقوال سلف الأمة وأئمتها في بيان فضائلهم والرد على من يتنقصهم فكثيرة متعددة، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:(ومن السنة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله r أجمعين، والكف عن ذكر ما شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله r أو أحداً منهم أو تنقصه أو طعن عليهم، أو عرّض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير هذه الأمة بعد النبي r أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله r بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا ينقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفوا عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه وإن ثبت أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يراجع)[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ^ كما وصفهم الله به في قوله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * +

, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[٣] وطاعة للنبي r في قوله: **"لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "**.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٨٥).

(٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى(١ / ٣٠).

(٣) الحشر: ١٠.

الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم، لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما لا يكون لمن بعدهم. وقد ثبت بقول رسول الله r أنهم خير القرون، وأن المدّ من أحدهم إذا تصدق به كان من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له، بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد r الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل، نزر، مغفور في جنب فضائل القوم، ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم آخر الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله)[(١)].

وقد بين أهل العلم حكم الساب والمتنقص لصحابة رسول الله، يقول شيخ الإسلام رحمه الله ملخصا ذلك: (من سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم و لا في دينهم ـ مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، و نحو ذلك ـ فهذا هو الذي يستحق التأديب، و التعزير، و لا نحكم بكفره بمجرد ذلك، و على هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن و قبح مطلقا فهذا محل

---

(١) مجموع الفتاوى(٣/١٥٢-١٥٣).

الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ و لعن الاعتقاد.

و أما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة و السلام إلا نفرا قليلا يبلغون بضعة عشر نفسا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم و الثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب و السنة كفار أو فساق و أن هذه الآية التي هي M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 L[1] وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم و أن سابقي هذه الأمة هم شرارهم و كفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام)[2].

ويقول السفاريني رحمه الله تعالى:(والذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة، بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم، فقد أثنى الله سبحانه عليهم في عدة آيات من كتابه العزيز، على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الدين، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع بتعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم، هذا مذهب كافة الأمة، ومن عليه المعول من الأئمة، وأما من شذ من أهل الزيغ والابتداع، ممن ضل وأضل فلا التفات إليهم ولا معول عليهم)[3].

❖ ❖ ❖

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الصارم المسلول (٣/١١١٠-١١١١).

(٣) لوامع الأنوار البهية - (٢ / ٣٨٨-٣٨٩)، وأثر "أبي زرعة في الكفاية للخطيب البغدادي(ص٤٩) المكتبة العلمية - المدينة المنورة، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني.

المطلب الثاني: الإمامة

أ: إمامة الخلفاء الراشدين:-

استنبط أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من عدة آيات إمامة الخلفاء الراشدين ؛فعند قول الله تعالى:M l m n o p q r s t u v w x y z { | } { ~ ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ L[(١)] يقول:(فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي y لأنهم الذين جاهدوا في الله في حياة رسول الله r وبعد موته)[(٢)].

ولما أورد قول الله تعالى:M T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a L[(٣)] استنبط منها إمامة الخلفاء الراشدين فقال:(يكون "الذين إن مكناهم في الأرض" لأربعة من أصحاب رسول الله r لم يمكن في الأرض غيرهم من الذين قيل فيهم أذن للذين يقاتلون وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي y وبهذه الآية يحتج في إمامة أبي بكر وعمر، وغيرها من الآي)[(٤)].

كما استنبط من قول الله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 L[(٥)]: ما نصه (قال أبو جعفر: فكانت في هذه الآية دلالة على إمامة أبي بكر وعمر وفضلهما رضي الله عنهما وأنهما أخذا الإمامة باستحقاق لقول الله جل وعز (/ 0 1 2 3 4) ولا يجوز أن يعطي الله

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) إعراب القرآن - (٢ / ٢٧).

(٣) الحج: ٤١.

(٤) إعراب القرآن - (٣ / ١٠١).

(٥) الفتح: ١٦.

جل وعز أجرا حسنا إلا لمن قاتل على حق مع إمام عادل)[١]، وعند هذه الآية يقول في المعاني:(وكان هذا مما يدل على صحة خلافة أبي بكر t من القرآن)[٢].

ولما أورد قول عمر t :(فلا يغترن امرؤٌ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر)[٣]، قال أبو جعفر النحاس بعدها:(وفي هذا من المعنى أن عمر t تواعد وفعل مثل ذلك، وذلك أن أبا بكر t كان له من الفضائل الباهرة التي لا تدفع ما يستوجب به الخلافة وأن يبايع فجأة وليس هذا لغيره، وكان له استخلاف رسول الله r إياه على الصلاة، قال محمد بن جرير: استخلافه إياه على الصلاة بمعنى استخلافه إياه على إمامة المسلمين والنظر في أمورهم، لأنه استخلفه على الصلوات التي لا يقيمها إلا الأئمة من الجمع والأعياد وروجع في ذلك فقال: يأبى الله جل وعز والمسلمون إلا أبا بكر... فلما استخلف رسول الله r أبا بكر على خير أعمالنا كان ما دونه تابعا له)[٤].

وعند قول الله تعالى:M < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U W X Y Z [L[٥] يقول مبينا مافيها:(فكان في هذه الآية دلالة عن نبوة رسول الله r ؛ لأن الله أنجز ذلك الوعد، وكان فيها دلالة على خلافة أبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي y لأنه لم يستخلف أحدا ممن خوطب بهذه الآية غيرهم؛ لأن هذه الآية نزلت قبل فتح مكة وعن النبي r أنه قال:(**الخلافة**

(١) إعراب القرآن - (٤ / ٢٠٠)و(٤/ ٢٠٤).

(٢) معاني القرآن(٦/ ٥٠٤).

(٣) صحيح البخاري برقم٦٨٣٠(كتاب الحدود،باب رجم الحبلى في الزنا)(ص١١٧٦)

(٤) الناسخ والمنسوخ(٣/ ٤٩-٥١).

(٥) النور: ٥٥.

بعدي ثلاثون)[(١)])[(٢)].

الدراسة: -

من أصول أهل السنة والجماعة إثبات الخلافة بعد رسول الله r لأبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم على هذا الترتيب في استحقاقهم إياها[(٣)]، يقول الطحاوي رحمه الله:(ونثبت الخلافة بعد رسول الله r أولا لأبي بكر الصديق؛ تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب t ، ثم لعثمان t ، ثم لعلي بن أبي طالب t ، وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهتدون)[(٤)].

ويقول ابن بطة رحمه الله:(وأحقهم بخلافة رسول الله r أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو "عتيق".

ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب t وهوالفاروق ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان t ...

ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي بن أبى طالب t ..... فبحبهم رحمهم الله وبمعرفة فضلهم قام الدين وتمت السنة وعدلت الحجة)[(٥)].

ويقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله:(وأفضل أمته أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى y ....و"أبوبكر" أحق خلق الله

---

(١) أخرجه أحمد(٢٤٨/٣٦)برقم"٢١٩١٩"، وأبوداود"كتاب السنة، باب ماجاء في الخلفاء (٣٧/٥) برقم"٤٦٤٧"،والترمذي"كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة"(٤٣٦/٤) بر قم٢٢٢٦ وابن حبان (٣٩٢/١٥)برقم"٦٩٤٣"، والحاكم (٧١/٣) وغيرهم، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٢) إعراب القرآن - (٣ / ١٤٥)، وانظر:(٤٦٠/٤).

(٣) الإبانة عن أصول الديانة(٢٥١)صريح السنة(ص٢٤)، شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص٢١)، شرح السنة للخلال(٣٠١/٢)وما بعدها، السنة لابن أبي عاصم(٥٣٤/٢)وما بعدها، الإمامة والرد على الرافضة(ص٢٠٦).

(٤) العقيدة الطحاوية بشرحها لابن أبي العز(٦٩٨/٢).

(٥) الشرح والإبانة(ص٢٥٧-٢٦١) .

تعالى بالخلافة بعد النبي r ؛ لفضله، وسابقته، وتقديم النبي r له في الصلاة على جميع الصحابة y، وإجماع الصحابة y على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة.

ثم عمر t ؛ لفضله، وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان t لتقديم أهل الشورى له.

ثم علي t لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون، الذين قال النبي r فيهم: **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)**[(١)] وقال r : **(الخلافة بعدي ثلاثون سنة)** فكان آخرها خلافة علي t)[(٢)].

وقد اختلف أهل العلم في انعقاد خلافة أبي بكر الصديق t هل كانت بالنص أم بالاختيار ؟[(٣)]

- فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي كابن حزم وغيره.

-وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

والذي يظهر من كلام أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى ما يشير إلى ترجيحه القول بأنها ثبتت بالنص الخفي.

فمن قال إنها ثبتت بالنص استدل بأدلة منها:-

---

(١) أخرجه أحمد(٢٨/٣٦٧)، وأبوداود"كتاب السنة، باب لزوم السنة"(٥/١٣-١٥)برقم(٤٦٠٧)، والترمذي "كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة"(٥/٤٣-٤٤)برقم(٢٦٧٦)، وابن ماجه "المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين"(١/١٥)برقم(٤٢)، والحاكم (١/٩٥-٩٦)عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، والحديث قال عنه الترمذي(هذا حديث حسن صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) لمعة الاعتقاد - (١ / ١٦١).

(٣) انظر: الإمامة والرد على الرافضة(ص٢١٥ومابعدها)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم(٤/١٠٧)، منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية(١/١٣٤)-١٣٥، مجموع الفتاوى(٣٥/٤٧-٤٩)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز(٢/٦٩٨-٧١٠)، الصواعق المحرقة(١/٣٩ومابعدها).

١ - حديث جبير بن مطعم t قال: أتت امرأة النبي r فأمرها أن ترجع اليه قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ كأنها تريد الموت قال: **(إن لم تجديني فأتي أبا بكر)**[١] وذلك نص على إمامته.

٢ - وحديث حذيفة بن اليمان t قال:قال رسول الله r :**(اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)**[٢] .

٣ - وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة وهو يقول:**(مروا أبا بكر فليصل بالناس)**[٣] وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة فصلى بهم مدة مرض النبي r .

القول الثاني: القول بأنها ثبتت بالاختيار لا بالنص:

واحتج أصحاب هذا القول بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر t أنه قال: (إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني -يعني رسول الله r)[٤].

يقول ابن أبي العز بعد أن ذكر كلا القولين:(والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ولو كتب عهدا لكتبه لأبي بكر بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: "يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر"، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد فإن

---

(١) أخرجه البخاري برقم(٧٢٢٠) "كتاب الأحكام، باب الاستخلاف"(ص١٢٤٣)، ومسلم: برقم (٦١٧٩) "كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه" (ص١٠٥١).

(٢) أخرجه أحمد(٣٨/ ٢٨٠)برقم(٢٣٢٤٥) والترمذي برقم(٣٦٦٢)(٥/ ٦٠٩)كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وابن ماجه برقم(٩٧)"في المقدمة، باب فضل أبي بكر الصديق"(١/ ٣٧) والحاكم(٣/ ٧٩)برقم(٤٤٥١)وغيرهم، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري: برقم(٧٣٠٣)كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع(ص١٢٥٦)، ومسلم:برقم(٩٤٠)كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما(ص١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم(٧٢١٨)(كتاب الأحكام، باب الاستخلاف)(ص١٢٤٣)، ومسلم: برقم (٤٧١٣) كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (ص٨١٧).

النبي r دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله، وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض ؟ أو هو قول يجب اتباعه ؟ ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانا قاطعا للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين وفهموا ذلك - حصل المقصود، ولهذا قال عمر t في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: "أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله r" ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار طمعا في أن يكون من الأنصار أمير، ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي r بطلانه، ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط: إن النبي r نص على غير أبي بكر لا علي ولا العباس ولا غيرهما كما قد قال أهل البدع)[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد ذكره للخلاف الوارد في خلافة الصديق هل ثبتت بالنص الجلي، أو الخفي: (فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسوله r له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له، واختيارهم إياه، اختياراً استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله، فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعاً، لكن النص دل على رضا الله ورسوله بها، وأنها حق، وأن الله أمر بها، وقدرها، وأن المؤمنين يختارونها، وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها، لأنه حينئذ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية(٢/٧٠٥-٧٠٧) .

كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد، وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد، ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلاً على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة فإن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص)[١].

ب: وجوب السمع الطاعة:-

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى قول الله تعالى: M© ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم ´ µ ¶ ¸ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا L[٢] بقوله: (الله جل وعز أمر السلاطين أن يؤدوا الأمانات في قسمتهم في أمورهم، وأخبر جل وعز أن ذلك نعما يعظهم به، ثم أمر الناس بالسمع والطاعة لهم فيما كان لله جل وعز طاعة وللمسلمين مصلحة فقال جل وعز: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ L[٣])[٤].

ويقول مبينا معنى أولي الأمر في قول الله تعالى: M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ â وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا L[٥]: (وأولي الأمر منكم وقف مفهوم، وإن كان أهل التفسير قد اختلفوا في معناه؛ فقال ابن عباس: أولو الأمر:أولو العلم والفقه في الدين، وقال مجاهد:أولو الأمر أصحاب رسول الله، وقال عكرمة:أولو الأمر:أبو بكر وعمر، وقال أبو هريرة:أولو الأمر:الأمراء، وكان محمد بن جرير يميل إلى هذا القول لأن سياق الكلام يدل عليه، إذا كان الله جل وعز أمر الولاة أن يؤدوا الأمانات إلى

---

(١) مختصر منهاج السنة النبوية للغنيمان(١/ ٦٢-٦٣) .

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) القطع والائتناف (ص١٥٠).

(٥) النساء: ٥٩.

أهلها، وأمر الرعية أن يسمعوا لهم ويطيعوا فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين فيه مصلحة، وقد علم أن المعنى:أطيعوا أولي الأمر فيما كان لله عز وجل طاعة، وقد بين الله جل وعز ذلك على لسان رسوله أن طاعتهم لاتكون في معصية)[١].

وقال في معاني القرآن:(وهذه الأقوال كلها ترجع إلى شيء واحد؛ لأن أمراء السرايا من العلماء؛ لأنه كان لا يولى إلا من يعلم، وكذلك أبو بكر وعمر من العلماء)[٢].

الدراسة: -

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف.

فمن الكتاب قول الله تعالى:M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ L[٣]، وقد اختلف أهل العلم في المراد بأولي الأمر في الآية على أقوال متعددة ذكر أبو جعفر النحاس جملتها فيما سبق، وقد اختار جمع من المحققين[٤] أنها في الصنفين العلماء والأمراء، يقول ابن القيم عن هذين القولين: (والقولان ثابتان عن الصحابة في تفسير الآية، والصحيح أنها متناولة للصنفين جميعاً فإن العلماء والأمراء ولاة الأمر الذي بعث الله به رسوله، فان العلماء ولاته حفظا وبياناً وذباً عنه ورداً على من الحد فيه وزاغ عنه، والأمراء ولاته قياماً وعناية وجهاداً وإلزاماً للناس به، وأخذهم على يد من خرج عنه. وهذان الصنفان هما الناس وسائر النوع الإنساني تبع لها ورعية)[٥].

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى:(والظاهر -والله أعلم-أن الآية في جميع أولي

---

(١) القطع والائتناف(ص١٥١)، ورأي ابن جرير في التفسير(٨/ ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن للنحاس - (٢ /١٢٢ - ١٢٣).

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الاستقامة(٢/ ٢٩٥)، تفسير ابن كثير(٢/ ٣٤٥)، تفسير السعدي(ص١٨٣).

(٥) الرسالة التبوكية(ص٤١ -٤٢)، طبعة المدني، جدة، ت:د.محمد جميل غازي.

الأمر من الأمراء والعلماء)[١].

ومن السنة: قوله r : **(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)**[٢].

وقد ضَمَّن غير واحد ممن كتب في عقيدة أهل السنة والجماعة هذه المسألة في عقيدته؛يقول الأشعري رحمه الله: (وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى، أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار، أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويصلي خلفهم الجمع والأعياد)[٣].

ويقول الطحاوي رحمه الله تعالى: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز و جل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)[٤].

ويقول الصابوني رحمه الله تعالى:(ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل)[٥].

وتفاصيل حقوق الراعي على الرعية، وحقوق الرعية على الإمام كثيرة

---

(١) تفسير ابن كثير(٢/٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم(٧١٤٤)(كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) (ص١٢٢٩)، ومسلم:برقم(٤٧٦٣)(كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) (ص٨٢٦).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر - (١ / ٢٩٦-٢٩٧).

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحها(٢/٥٤٠).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث(ص٢٩٤).

مذكورة في مظانها من كتب أهل العلم[١].

وما ذكره أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: M© ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم ´ µ ¶ ¸ بِٱلۡعَدۡلِ L[٢] من دخول الولاة في هذا الخطاب هو ما عليه أكثر أهل التفسير[٣]، وقد اختار ابن جرير الطبري أنها خاصة بهم وذلك بقوله: (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قولُ من قال: هو خطاب من الله ولاةَ أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقَسْم بينهم بالسوية. يدل على ذلك ما وَعظ به الرعية في: Mأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ L[٤]، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الرّاعي بالرعية)[٥].

والذي يظهر أن الآية شاملة للولاة وغيرهم وفي ذلك يقول القرطبي رحمه الله: (والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل في الحكومات، وهذا اختيار الطبري.

وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع، والتحرز في الشهادات، وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه، والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى)[٦].

❖ ❖ ❖

---

(١) انظر على سبيل المثال:الأحكام السلطانيةللماوردي(٥١-٥٣)، غياث الأمم في التياث الظلم (١٤٧) ومابعدها، إكليل الكرامة في بيان مقاصد الإمامة(ص٥٣)وما بعدها.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) تفسير البغوي(٢/٢٣٩)، تفسير الرازي(١٠/١١١-١١٢)، المحرر الوجيز(٣/٢٨٩)تفسير ابن كثير (٢/٣٤١)، تفسير السعدي(ص١٨٣).

(٤) النساء:٥٩.

(٥) تفسير الطبري - (٨ / ٤٩٢).

(٦) تفسير القرطبي - (٥ / ٢٥٦).

الفصل السادس:

جهود أبي جعفر النحاس المتعلقة بالرد على اليهود والنصارى، والفرق المخالفة

وفيه مبحثان: -

المبحث الأول: جهوده في الرد على اليهود والنصارى.

المبحث الثاني: جهوده في الرد على الفرق المخالفة.

المبحث الأول:

جهوده في الرد على اليهود والنصارى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرد على اليهود.

المطلب الثاني: الرد على النصارى.

المطلب الأول: جهوده في الرد على اليهود .

ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى قول قتادة عند قول الله تعالى: M i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | L[١] فقال:(وقال قتادة: (j k l m) اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة، ثم كفرت يعني بالإنجيل، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ^ ، وآمنت النصارى بالإنجيل، ثم كفرت، وكفرهم به تركهم إياه، ثم ازدادوا كفرا بالقرآن وبمحمد عليه السلام)[٢].

كما أورد ما تنفرد به اليهود وذلك عند قول الله جل وعز: Mكُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقۡتُلُونَ L[٣] فقال:(اليهود والنصارى يشتركون في التكذيب، واليهود تنفرد بالقتل خاصة، وكانت الرسل منها من يأتي بالشرائع والكتب والأحكام نحو محمد ^ ، وموسى، وعيسى)[٤].

كما أوضح أن اليهود والنصارى يسمون بالمشركين فقال:(وأكثر من هذا أن في كتاب الله عز وجل نصاً تسمية اليهود والنصارى بالمشركين قال الله عز وجل: M ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ ´ µ ¶ ¸ وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ L[٥]

فهذا نص القرآن، فمن أشكل عليه أن قيل له: اليهود والنصارى لم يشركوا أجيب عن هذا بجوابين:

---

(١) النساء: ١٣٧.

(٢) معاني القرآن للنحاس (٢ / ٢١٧)، وانظر:تفسير الطبري(٢/٣٠٠).

(٣) المائدة: ٧٠.

(٤) معاني القرآن(٢/٣٤٠).

(٥) التوبة: ٣١.

أحدهما: أن يكون هذا اسماً إسلامياً، ولهذا نظائر بينها من يحسن الفقه واللغة من ذلك مؤمن أصله من" آمن" إذا صدق، ثم صار لا يقال: مؤمن إلا لمن آمن بمحمد ثم تبع ذلك العمل، ومن الأسماء الإسلامية: المنافق، ومنها على قول بعض العلماء الخمر سمي ما أسكر كثيره خمرا على لسان رسول الله.

والجواب الآخر: وهو عن أبي إسحق بن إبراهيم بن السري قال: كل من كفر بمحمد فهو مشرك، قال: فهذا من اللغة، لأن محمدا قد جاء من البراهين بما لا يجوز أن يأتي به بشر إلا من عند الله عز و جل، فإذا كفر بمحمد فقد زعم أن ما لا يأتي به إلا الله قد جاء به غير الله عز و جل فجعله الله عز و جل شريكا قال أبو جعفر: وهذا من لطيف العلم وحسنه)[١].

كما ذكر أن لا تفضيل بين اليهود والنصارى في الخيرية وذلك بقوله:(ولا يجوز أن تقول: النصراني خير من اليهودي، لأنه لا خير فيهما فيكون أحدهما أزيد في الخير من الآخر، ولكن يقال: اليهودي شر من النصراني، فعلى هذا كلام العرب)[٢].

كما بين معنى كون اليهود والنصارى تبع لنا في يوم الجمعة فقال:(فأما الحديث في يوم الجمعة "**فهم لنا تبع**"[٣] فمعناه: فعليهم أن يتبعونا، لأن هذه الشريعة ناسخة لشرائعهم)[٤].

كما بين معنى قول اليهود:إن الله فقير يقترض منا، فقال:(قال أهل التفسير لما أنزل الله جل وعز M مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ç è é L[٥] قال قوم من اليهود: إن الله فقير يقترض منا، وإنما قالوا هذا تمويها على ضعفائهم لا إنهم يعتقدون هذا لأنهم أهل كتاب ولكنهم كفروا بهذا القول لأنهم أرادوا تشكيك المؤمنين وتكذيب النبي

---

(١) الناسخ والمنسوخ(٢/١٢-١٣)، (٢/٤٣٠-٤٣١).

(٢) إعراب القرآن (٣/١٥٤)، وانظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب(٢/٥٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم١٩٨٢ (كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة) (ص٣٤٤).

(٤) إعراب القرآن(١/٣٠٤).

(٥) الحديد: ١١.

r أي إنه فقير على قول محمد r لأنه اقترض منا)[١].

وعند قول الله تعالى:M | { ~ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ L[٢] قال:(قال قتادة: "الأحزاب" أهل الملل كلهم، وقال سعيد بن جبير: "كنت إذا وجدت الحديث عن النبي r صحيحا أصبت مصداقه في كتاب الله فأفكرت في قول النبي r **(ليس يسمع بي أحد فلا يؤمن بي ولا يهودي ولا نصراني إلا دخل النار)**[٣] فطلبت مصداقه في كتاب الله فإذا هو M | { ~ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥ L[٤] والأحزاب أهل الأديان كلها لأنهم يتحاربون)[٥].

وفي بيان معنى قول الله تعالى:M H I J K M N O P Q R S L[٦] يقول:(أخبر الله تعالى اليهود لن يضروا المسلمين إلا بتحريف أو بهت فأما الغلبة فلا تكون لهم)[٧].

الدراسة: -

تنوعت الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في بيان بطلان عقيدة اليهود في مسائل كثيرة، وكذلك في ذكر بعض صفاتهم، و وقد أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في كتبه أقوال الصحابة والتابعين في بيان معاني الآيات، والذي أردت إيراده هنا هو ذكر جهوده من خلال التعليق على تلك الأقوال، وكذا شرح معاني بعض الآيات، وقد أفرد جماعة من أهل العلم مؤلفات في بيان بطلان

---

(١) إعراب القرآن(١/ ٤٢٣)، وانظر تفسير القرطبي(٤/ ٢٩٤)فقد نقل قول النحاس مرتضيا له.

(٢) هود: ١٧.

(٣) أخرجه مسلم:برقم٣٨٦(كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ^ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة) (ص٧٧).

(٤) هود: ١٧.

(٥) معاني القرآن للنحاس - (٣ /٣٣٨- ٣٣٩)، وانظر في هذين الأثرين:تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٩).

(٦) آل عمران: ١١١.

(٧) معاني القرآن للنحاس (١/ ٤٦٠).

عقيدة اليهود، [١] والمقصود إبراز شيء من جهود أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في بيان بطلان عقيدة اليهود وزيفها.

❊ ❊ ❊

(١) انظر على سبيل المثال: جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود إعداد: سميرة بناني، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دراسات في اليهودية والنصرانية د.سعود الخلف، اليهود في القرآن لعفيف طبارة، اليهود في السنة المطهرة د.عبدالله بن ناصر الشقاري، موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله د.سارة بنت حامد العبادي.

المطلب الثاني: جهوده في الرد على النصارى

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بطلان عقيدة النصارى في عيسى، وذلك من خلال شرحه لبعض الآيات التي ذكرت ذلك، ومنها قول الله تعالى:M K L M N O P Q R L[(١)] فقال في معناها:(لا نعبد عيسى، لأنه بشر مثلنا، ولا نقبل من الرهبان تحريمهم علينا ما لم يحرمه الله جل وعز علينا فنكون قد اتخذناهم أربابا)[(٢)].

وعند قول الله تعال:M 6 7 8 9 : ; < = > ? L[(٣)] يقول:(وهذا قول اليعقوبية فرد الله جل وعز ذلك عليهم بحجة قاطعة مما يقرون به فقال M A B C D E F G H L[(٤)] أي: إذا كان المسيح يقول: يا رب، ويا الله، فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها هذا محال)[(٥)].

كما أوضح عند قول الله تعالى في حق عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه: Mكَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ L[(٦)] لازم ذلك بقوله:(فإذا كانا يأكلان الطعام فهما محدثان، وقال محمد بن يزيد: معنى "كانا يأكلان الطعام":كانا يحدثان، فكنى الله تعالى عن ذلك، وكان في هذا دلالة على أنهما بشران، قال الله تعالى:M µ ¶ ¸ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ L[(٧)] أي: كيف يصرفون عن الحق بعد

(١) آل عمران:٦٤ .

(٢) إعراب القرآن(١/ ٣٨٤).

(٣) المائدة: ٧٢.

(٤) المائدة: ٧٢.

(٥) إعراب القرآن(٢/ ٣٤).

(٦) المائدة: ٧٥.

(٧) المائدة:٧٥.

هذا البيان ثم زادهم في البيان فقال M قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ L (١) أي: أنتم مقرون أن عيسى كان جنينا في بطن أمه لا يملك لأحد ضرا ولا نفعا] وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ Z أي: أنتم قد أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يعلم، والله جل وعز لم يزل سميعا عليما)(٢).

وعند قول الله تعالى:M ! " # $ % & ' ( ) L(٣) يقول في معناها:(أي لا تفرطوا كما أفرطت اليهود والنصارى في عيسى)(٤).

كما بين شيئا من خصائص النصارى وذلك عند قول الله تعالى: M \ ] ^ _ ` a b L(٥) وذلك بقوله:(وهذا موجود في النصارى يعظمون الملائكة والأنبياء حتى يجعلوهم أربابا، ويروون عن سليمان ^ أنه قال ربي لربي: اجلس عن يميني، يعنون قال الله جل وعز للمسيح ^)(٦).

ويقول أيضا:(وقوله جل وعز:M A B C D E F G H I J K L M N O L(٧) قال قتادة: هم اليهود والنصارى؛ آمنت اليهود بموسى والتوراة والإنجيل، وكفرت بعيسى والإنجيل، وآمنت النصارى بعيسى والإنجيل، وكفرت بمحمد والقرآن)(٨).

---

(١) المائدة: ٧٦.

(٢) إعراب القرآن - (٢ / ٣٥).

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) إعراب القرآن - (٢ / ٣٥).

(٥) آل عمران: ٨٠.

(٦) إعراب القرآن - (١ /٣٩١)، وانظر في الرد على عقيدتهم في عيسى:موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله د.سارة بنت حامد العبادي-ط.مكتبة الرشد-الأولى-١٤٢٦هـ.

(٧) النساء: ١٥٠.

(٨) معاني القرآن للنحاس - (٢ / ٢٢٨).

ثم ذكر فرق النصارى واختلافهم فيما بينهم وذلك عند قول الله جل وعز: M - . . / 0 1 2 3 L[١] فقال:(ومعنى أغرينا في اللغة: "ألصقنا" ومنه قيل "الغراء" للذي يغرى به، قال ابن أبي نجيح: يعني اليهود والنصارى، وقال الربيع بن أنس: يعني به النصارى خاصة، أغريت بينهم العداوة والبغضاء أي: مجازاة على كفرهم، فافترقوا فرقا منهم: النسطورية[٢]، واليعقوبية[٣]، والملكية[٤]، وكل فرقة تعادي الأخرى)[٥].

كما أورد قول قتادة رحمه الله عند قول الله تعالى: Mذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ © L[٦]: (اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رفع؛ فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض، أحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية.

قال: فقال الثلاثة: "كذبت"، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، قال: هو ابن الله، وهم النسطورية. قال: فقال الاثنان:" كذبت".

---

(١) المائدة: ١٤ .

(٢) النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قال إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. انظر: الملل والنحل ١ /٢٢٤، الفصل(١ /٤٨).

(٣) اليعقوبية أصحاب يعقوب البرذعاني وكان راهبا بالقسطنطينية، قالوا: بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو. انظر: الملل والنحل ١ /٢٢٥، الفصل(١ /٤٨).

(٤) الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم، واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته. انظر: الملل والنحل ١ /٢٢٢، الفصل(١ /٤٨).

(٥) معاني القرآن للنحاس - (٢ / ٢٨٣).

(٦) مريم: ٣٤.

ثم قال الاثنان للآخر: قل فيه. قال: هو ثالث ثلاثة؛ الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الإسرائيلية حديث ملوك النصارى. قال الرابع: كذبت؛ بل هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته، وهم المسلمون، فكانت لكل رجل منهم أتباع على ما قال؛ فاقتتلوا، فظهروا على المسلمين، فذلك قول الله جل وعز: M وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ´ L[1])[2].

ولما أورد قول الله تعالى: M إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ L[3] ذكر الأقوال في معنى الآية وردَّ منها ما لا يجوز في حق الأنبياء فقال:(وقال أبو اسحق: قد علم عيسى r أن منهم من آمن، فالمعنى عندي -والله أعلم-: إن تعذبهم على فريتهم وكفرهم فقد استحقوا ذلك، وإن تغفر لمن تاب منهم بعد الافتراء العظيم والكفر -وقد كان لك أن لا تقبل توبته بعد اجترائه عليك- فإنك أنت العزيز الحكيم، وأما قول من قال: إن عيسى r لم يعلم أن الكافر لا يغفر له فقول مجترء حتى على كتاب الله جل وعز؛ لأن الإخبار من الله جل وعز لا ينسخ. وقيل: كان عند عيسى ^ أنهم أحدثوا معاصي وعملوا بعده بما لم يأمرهم به إلا أنهم على عمود دينه فقال: (وإن تغفر لهم) ما أحدثوا بعدي من المعاصي)[4].

(١) آل عمران: ٢١.

(٢) معاني القرآن للنحاس (٤ / ٣٣٠).

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) معاني القرآن للنحاس - (٢ / ٣٩٣)، وانظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج(٢/٢٢٣-٢٢٥)، ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير للباحث / زيد مهارش-رسالة دكتواراة مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة (٢/ ٨٤٧- ٨٥٢) .

الدراسة: -

لقد تعددت الأدلة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه r ببيان ضلال عقيدة النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام، وكذلك في ذكر بعض ما تلبسوا به من الباطل، وقد ذكر شيئا من ذلك أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى، والمقصود إبراز شيئ من جهوده في الرد على النصارى [(١)].

❖ ❖ ❖

(١) ينظر: الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية لسليمان بن عبدالقوي الطوفي ت: د. سالم القرني - ط. مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ، دراسة العقائد النصرانية لمحمد اللافي ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي - الطبعة الأولى - ١٤٢٨هـ، منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن - ط. دار الفاروق - مصر - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، النصارى في القرآن والتفاسير لمجموعة باحثين - المعهد الملكي للدراسات الدينية.

المبحث الثاني:
جهوده في الرد على الفرق المخالفة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرد على الرافضة.

المطلب الثاني: الرد على الخوارج

المطلب الثالث: الرد على المرجئة .

المطلب الرابع: الرد على القدرية .

المطلب الخامس: الرد على المعتزلة.

المطلب الأول: الرد على الرافضة

أ: الرد عليهم في تنقص الصحابة: -

استنبط أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من قول الله تعالى:M x y L[1] فضل الصحابة والرد على من يتنقصهم فقال:(فدل بهذا على فضل أصحاب رسول الله **r** وعلى الرد على من يتنقصهم لأنه جل وعز اختارهم لنصرة نبيه عليه السلام)[2].

وذكر قول الإمام مالك رحمه الله بقوله:(قال مالك: ليس لمن شتم أصحاب الرسول **r** في الفيء نصيب؛ لأن الله تعالى قال:M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L[3] وقال قتادة:"لم تؤمروا بسب أصحاب النبي **r** ")[4].

الدراسة: -

دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب احترام الصحابة وعدم تنقصهم، وقد سبق في مبحث الصحابة دراسة هذه المسألة.

وأما الروافض فقد اتخذوا من أصحاب النبي **r** موقف العداوة والبغضاء، والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة.

فمن ذلك اعتقادهم: كفرهم وردتهم إلا نفراً يسيراً منهم، على ما جاء مصرحاً به في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم، وأوثقها عندهم.

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) إعراب القرآن (٣ / ١٠٦).

(٣) الحشر: ١٠، وقول الإمام مالك ذكره السمعاني(١/ ١٢٨)، وابن كثير(٨/ ٧٣).

(٤) إعراب القرآن (٤ / ٣٩٧).

وقدح الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر، وعثمان، وأمهات المؤمنين.

يقول محمد باقر المجلسي[(١)]:(وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لايتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم)[(٢)]، وقد ذكر الرازي معتقد الإمامية في الصحابة بقوله:(وهم يكفرون الصحابة رضي الله عنهم، ويقولون: إن الخلق قد كفروا بعد النبي r إلا عليا، وفاطمة، والحسن، والحسين والزبير، وعمارا، وسلمان، وأبا ذر، ومقدادا، وبلالا، وصهيبا y)[(٣)]، ويقول الاسفراييني:(واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة)[(٤)].

وتفاصيل أقوال الروافض في الصحابة وشبههم مذكورة في مواضعها، وقد أفرد أهل العلم من أهل السنة والجماعة مؤلفات في الرد على الروافض وعقيدتهم في الصحابة[(٥)].

---

(١) هو: محمد باقر المجلسي، متوفى سنة ١١١١هـ، من كبار علمائهم المتأخرين المكثرين من التأليف.
قال عنه الحر العاملي: «عالم، فاضل، ماهر، محقق، ». أمل الآمل ٢/ ٢٤٨. تحقيق: أحمد الحسيني، نشر دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران،وقد نقلت منزلته عند القوم حتى يتبين أن هذا القول-التبرؤ من الصحابة- ينقل عن علمائهم المعتبرين عندهم.

(٢) حق اليقين ص٥١٩ (فارسي) وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة ص٥٣، دار النشر الإسلامية-فيصل آباد-باكستان.

(٣) اعتقادات المسلمين والمشركين (١/ ٥٦).

(٤) التبصير في الدين (١/ ٤١).

(٥) ومن تلك المؤلفات على سبيل المثال: منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، حكم سب الصحابة لابن حجر الهيتمي، صب العذاب على من سب الأصحاب لمحمود الألوسي، عدالة =

ب: الرد عليهم في مسألة الإمامة:-

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الرد على ادعاء الرافضة كون الإمامة مستحقة لعلي t بعد رسول الله r فعند قول النبي r **"لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا"** يقول في معناه:(أي: لو كنت مختصا أحد بشيء لاختصصت أبا بكر، وفي هذا رد على من زعم أن النبي r اختص بعض أصحابه بشيء من أمر الدين)[١].

ويقول مبينا الرد على ما استدل له الرافضة في إثبات إمامة علي t :(وقد ذكرنا أن محمد بن علي -أبا جعفر- سئل عن معنى:M ¶ ﮌ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ L[٢] هل هو علي بن أبي طالب t ؟ فقال: "علي من المؤمنين" يذهب إلى أن هذا لجميع المؤمنين، وهذا قول بيِّن لأن "الذين" لجماعة المؤمنين، وهذا في تولي المؤمنين بعضهم بعضا، وليس هذا من الإمامة في شيء، يدل على ذلك أن هذا التولي في حياة رسول الله r)[٣]، كما ذكر الحديث الوارد في فضل علي t وبين معناه وذلك بقوله:(وفي الحديث عن النبي r :**(من كنت مولاه فعلي مولاه)** في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يكون المعنى من كنت أتولاه فعلي يتولاه.

والقول الثاني: من كان يتولاني تولاه.

والقول الثالث: أنه يروى أن أسامة بن زيد قال لعلي عليه السلام: لست مولاي، إنما مولاي رسول الله r فقال عليه السلام: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[٤].

= الصحابة عند المسلمين د.محمد الفهداوي، اعتقاد أهل السنة ومخالفيهم في الصحابة دراسة وتحليل د.إبراهيم بن عامر الرحيلي(بحث منشور في مجلة المدينة النبوية العدد"١٧").

(١) إعراب القرآن (١/ ٤٩١).

(٢) المائدة: ٥٥ .

(٣) إعراب القرآن(٢/ ٢٨).

(٤) معاني القرآن للنحاس - (٦ / ٤١٠-٤١١).

وعند قول الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[١] يقول في بيان معناها: (فأخبر الله عن نبيه ﷺ أنه ليس بضنين بشيء من أمر الدين، وأنه لا يخص به أحدا دون أحد، على خلاف ما يقول قوم أنه خص الإمام بها لم يلقه إلى غيره)[٢].

كما أشار إلى قول لبعض فرق الرافضة ولم ينسبه لأحد؛ فقال في ذكر مذاهب الناس في النسخ: (وقال آخرون: بل الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما شاء، وهذا القول أعظم من ذلك؛ لأن النسخ لم يكن إلى النبي إلا بالوحي من الله عز وجل إما بقرآن مثله على قول قوم، وإما بوحي من غير القرآن، فلما ارتفع هذان بموت النبي ارتفع النسخ)[٣].

الدراسة: -

يعتقد الرافضة الإمامية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها.

روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: « بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زراره: فقلت وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال: الولاية »[٤].

ويقول هاشم البحراني[٥]: « فبحسب الأخبار الواردة في أن الولاية أي:

---

(١) التكوير: ٢٤.

(٢) إعراب القرآن(٥/١٦٣-١٦٤).

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (١/٤٠٦).

(٤) الكافي للكليني(٢/١٨).

(٥) هو: هاشم بن سليمان البحراني، توفي سنة ١١٠٧هـ.

قال عنه يوسف البحراني: «كان فاضلاً محدثاً ».لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث(٦٣):ليوسف بن أحمد البحراني، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٤٠٦هـ، وقد نقلت منزلته عند القوم أيضا حتى يتبين أن هذا القول-بالإمامة - ينقل عن علمائهم المعتبرين عندهم.

الإقرار بنبوة النبي r إمامة الأئمة، والتزام حبهم، وبغض أعدائهم ومخالفيهم، أصل الإيمان مع توحيد الله عز وجل بحيث لا يصح الدين إلا بذلك كله. بل إنها سبب إيجاد العالم وبناء حكم التكليف، وشرط قبول الأعمال»[١]، ويرون أن الأحق بالإمامة بعد رسول الله علي بن أبي طالب بل حكى السكسكي رحمه الله إجماع الرافضة على ذلك فيقول في بيان ما أجمعوا عليه:(وأن إمامة علي وتقديمه ثابتة نصا، وقالوا بتفضيل علي على سائر الصحابة، وأنه الإمام بعد رسول الله، وقالوا إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي t)[٢].

وقد استدلوا على ذلك بشبه متعددة، بين بطلانها جمع من أهل العلم ممن تصدى لذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:("كون" مسألة الإمامة أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، كذب بإجماع المسلمين، سنيهم وشيعيهم، بل هو كفر، فإن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة .

وهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فالكافر لا يصير مؤمنا حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذا هو الذي قاتل عليه الرسول r الكفار كما استفاض عنه في الصحاح وغيرها أنه قال: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها)**[٣] .

وقد قال تعالى:M x y z { | } ~ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن © وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ ´ µ L[٤] وكذلك قال لعلي t لما بعثه إلى خيبر، وكذلك كان النبي r

(١) البرهان في تفسير القرآن:(ص١٩) لهاشم بن سليمان الحسيني البحراني، المطبعة العلمية، قم، إيران، ط ١٣٩٣هـ.

(٢) البرهان (ص٦٥).

(٣) سبق تخريجه(ص ٧٨).

(٤) التوبة: ٥.

يسير في الكفار فيحقن دماءهم بالتوبة من الكفار لا يذكر لهم الإمامة بحال وقد قال تعـالى بعـد هـذا:M h i j k l m n o p L[(١)]
فجعلهم إخوانا في الدين بالتوبة، فإن الكفار على عهد رسول الله كانوا إذا أسلموا أجرى عليهم أحكام الإسلام، ولم يذكر لهم الإمامة بحال، ولا نقل هذا عن الرسول أحد من أهل العلم، لا نقلا خاصا ولا عاما، بل نحن نعلم بالاضطرار أن النبي r لم يكن يذكر للناس إذا أرادوا الدخول في دينه الإمامة لا مطلقا ولا معنيا كيف تكون أهم المطالب في أحكام الدين ؟ ومما يبين ذلك أن الإمامة بتقدير الاحتياج إلى معرفتها لا يحتاج إليها من مات على عهد رسول الله r فكيف يكون أشرف مسائل المسلمين وأهم المطالب في الدين لا يحتاج إليه أحد على عهد النبي r.

أوليس الذين آمنوا بالنبي r في حياته واتبعوه باطنا وظاهرا ولم يرتدوا ولم يبدلوا هم أفضل الخلق باتفاق المسلمين أهل السنة والشيعة، فكيف يكون أفضل المسلمين لا يحتاج إلى أهم المطالب في الدين ؟ وأشرف مسائل المسلمين ؟)[(٢)]وقد سبق في مبحث الإمامة ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على شرعية إمامة الخلفاء الراشدين وبيان ترتيبهم في الخلافة، وأن رابعهم علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وتفاصيل أقوال الرافضة في الإمامة ومنزلتها وشروطها مذكورة في مظانها من كتبهم وممن رد عليهم[(٣)].

---

(١) التوبة: ١١.

(٢) منهاج السنة النبوية(١/ ٧٥-٧٧) بتصرف يسير.

(٣) انظر: الإمامة والنص لفيصل نور ط.دار الصديق-صنعاء-الطبعة الأولى١٤٢٥هـ، الشيعة وإمامة علي أ.د.عامر النجار-ط.دار المنار –القاهرة-الأولى-١٤١٤هـ، عصمة الأئمة عند الشيعة أنور الباز-دار الوفاء، الأولى-١٤١٤هـ، مختصر منهاج السنة النبوية للغنيمان، أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله د.علي السالوس-الطبعة الثانية-١٤٠٢هـ بدون ذكر الدار، عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية =

ج: الرد عليهم في ادعاء نقص شيء من القرآن: -

بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى أن القرآن محفوظ بحفظ الله تعالى له فعند قول الله تعالى:M g h i j k l m L[١] يقول في معناها:(فضمن الله جل وعز جمعه، فبهذا كفر الفقهاء من زعم أنه قد بقي منه شيء لأنه رد على ظاهر التنزيل، وسئل سفيان بن عيينة:كيف غيرت التوراة والإنجيل وهما من عند الله؟ فقال: إن الله جل وعز وكل حفظهما إليهم فقال جل ثناؤه M a b c d e L[٢]ولم يكل حفظ القرآن إلى أحد فقال:M g h i j k l m L[٣] وما حفظه لم يغير)[٤].

ويقول أيضا:(ولهذا قال كثير من العلماء: من زعم أن القرآن قد بقي شيء منه فهو راد على الله كافر بذلك، والنص الذي لا اختلاف فيه:M g h i j k l m L[٥]).[٦]

الدراسة: -

من عقيدة الروافض زعمهم أن القرآن محرف وأنه لم يكتمل، بل قد ألف

= د.علي السالوس –ط.دار الاعتصام-القاهرة-الأولى-١٤٠٧هـ، عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي السلمان-ط.دار الأمل –القاهرة بدون تاريخ، جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة د.عبدالله البخاري-ط.دار ابن عفان-القاهرة-الطبعة الأولى-١٤٢٠هـ، الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير.

(١) الحجر: ٩.

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الحجر: ٩.

(٤) إعراب القرآن(٥/ ٨٣).

(٥) الحجر: ٩.

(٦) انظر: الشيعة والقرآن للشيخ إحسان إلهي ظهير، موقف الرافضة من القرآن الكريم لمامادو كارامبيري-ط.مكتبة ابن تيمية، الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله –الطبعة الثالثة -١٤٠٩هـ، الشيعة وتحريف القرآن محمد بن عبدالرحمن السيف.

أحدهم كتابا في ذلك وساق فيه الأقوال عن جمع غفير من علمائهم[١]، جاء في الكافي:(عن جابر الجعفي قال:سمعت أبا جعفر يقول:ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب، والأئمة من بعده)[٢]، يقول الاسفراييني:(واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة .... ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن)[٣]ولهم تفاصيل في المحرف والمكتوم من القرآن وذكر شيء من النقص الذي وجدوه.

ويمكن الرد عليهم في ادعاء نقص القرآن وتحريفه بما يلي:-

١- قول الله تعالى:M X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p L[٤].

٢- قول ابن عباس t وقد سئل: أترك النبي من شيء؟ قال:ما ترك إلا ما بين الدفتين"[٥]، وقد بوب البخاري على هذا الأثر بقوله:(باب من قال لم يترك النبي r إلا ما بين الدفتين)يقول الحافظ ابن حجر:(وهذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيرا من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة علي واستحقاقه الخلافة عند موت النبي r كان ثابتا في القرآن، وأن الصحابة كتموه، وهي دعوى باطلة لأنهم لم يكتموا مثل:" أنت عندي بمنزلة هارون من موسى" وغيرها من الظواهر التي قد يتمسك بها من يدعي إمامته، كما لم

---

(١) الكتاب هو (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب لحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي).

(٢) الكافي للكليني(١/ ٢٨٨).

(٣) التبصير في الدين - (١/ ٤١).

(٤) فصلت: ٤١ – ٤٢.

(٥) صحيح البخاري (ص٨٩٩).

يكتموا ما يعارض ذلك أو يخصص عمومه أو يقيد مطلقه، وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية، وهو بن علي ابن أبي طالب، فلو كان هناك شيء ما يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه، وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزوما واطلاعا على حاله)[1].

٣-دليل الإجماع:("ف"القرآن جمع بمحضر من الصحابة بما فيهم علي t وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه، ولوكان مغيرا مبدلا، لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه، لأن مثل هذا لا يجوز أن يكتم في مستقر العادة)[2].

ويقول ابن حزم رحمه الله:(واعلموا أنه لو رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة أو شعر زهير كلمة أو ينقص أخرى ما قدر، لأنه كان يفتضح الوقت، وتخالفه النسخ المثبوتة، فكيف القرآن في المصاحف، وهي من آخر الأندلس ... إلى آخر السند وكابل .... وبلاد الهند، فما بين ذلك، فظهر حمق الرافضة ومجاهرتها بالكذب)[3].

٤- ومما يذكر في الرد على قولهم أن تعظيمهم لعلي بن أبي طالب t يقتضي أن يقفوا أثره في القرآن، ولبيان ذلك يقول ابن حزم رحمه الله:(ومما يبين كذب الروافض في ذلك أن علي بن أبي طالب -الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم مفروضة طاعته- ولي الأمر، وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعا، ظاهر الأمر، ساكنا بالكوفة، مالكا للدنيا -حاشى الشام ومصر إلى الفرات- والقرآن يقرأ في المساجد في كل

(١) فتح الباري (٩ / ٦٥).

(٢) المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء(ص٢٥٨).

(٣) الفصل في الملل - (٢ / ٦٧).

مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلا كما تقول الرافضة وكان يقرهم على ذلك، ثم إلى ابنه الحسن هو عندهم كأبيه فجرى على ذلك، فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا أن في المصحف حرفا زائدا، أو ناقصا، أو مبدلا مع هذا، ولقد كان جهاد من حرف القرآن، وبدل الإسلام، أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه، ورأي خلافه فقط)(١).

ويقول الملطي رحمه الله مبينا لازم قولهم بإثبات إمامة علي t بالقرآن: (يقال لهم:أخبرونا عن القرآن الذي هو اليوم بين الدفتين وفي صدور الأمة ويتلونه في صلواتهم، وأيامهم، وأوقاتهم، يحفظون حروفه، وحدوده، ومتشابهه ومحكمه، وتأويله، وتنزيله، ولا يسقط عليهم منه شيء، وهو مائة وأربع عشرة سورة معلومة محفوظة أهو القرآن الذي أنزله الله على رسوله أم لا؟

فإن قالوا:لا، بل ذلك القرآن صعد به إلى السماء، ونسخ من قلوبهم حين ارتدوا.

يقال لهم: فإذا كان القرآن مع نقل الأمة طبقة عن طبقة، وجماعة عن جماعة لا يصح نقله، فمن أين لكم هذه الأخبار التي تدعونها حجة لكم في إثبات الإمامة؟ ومن أين علمتم أن النبي عليه الصلاة و السلام نص على إمامة علي؟ وكيف خالفت الأمة أعلمكم من جهة سمع أم من جهة عقل؟

فإن قالوا: من جهة عقل غلطوا، وأخطأوا؛ فإن هذا لا يعرف من جهة العقل لأنه خبر عما كان في القديم.

وإن قالوا: من جهة سمع ونقل عرفناه.

قيل لهم: فكيف يكون قولكم صحيحا، وقول غيركم خطأ؟ أسرفتم فيما تجيزون لأنفسكم ولا تجيزون مثله لغيركم.

هذا ظلم في الجدال لا يجوز لكم، وإن قالوا:نقلكم صحيح، بطل قولهم في

---

(١) الفصل في الملل - (٢ / ٦٧).

القرآن بالطعن عليه بأنه نسخ، وغير، وبدل)[١].

❊ ❊ ❊

---

(١) التنبيه والرد (١/ ٢٨).

المطلب الثاني: الرد على الخوارج

أ: الرد عليهم في قولهم بكفر مرتكب الكبيرة: -

قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الرد على الخوارج الذي كفَّروا بالذنوب فقال:(وقوله جل وعز M$ % & ' ( ) L[١] الغلو: التجاوز، قال أبو عبيد: كما فعلت الخوارج أخرجهم الغلو إلى أن كفَّروا أهل الذنوب قال: ويبين لك هذا قول النبي r فيهم: **"يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"** والمروق: هو الغلو بعينه لأن السهم يتجاوز الرمية)[٢].

الدراسة: -

يعتقد الخوارج كفر مرتكب الكبيرة، وقد اختلف أهل العلم ممن كتب في هذه المسألة هل تكفير الخوارج لمرتكب الكبيرة على سبيل الإجماع أم الأغلب: -

فذكر بعض كتاب الفرق كالشهرستاني[٣]، والرازي[٤] إجماع الخوارج على تكفير مرتكب الكبيرة، وأنه مخلد في النار .

وذكر بعضهم: كالأشعري[٥]، والبغدادي[٦]، أن هذه المسألة لم يجمعوا عليها فقد قالت الإباضية[٧]: إن مرتكبي الكبائر موحدون لا مؤمنون لذا مناكحتهم

---

(١) المائدة:٧٧.

(٢) معاني القرآن(٢/ ٣٤٥).

(٣) الملل والنحل(١/ ١١٣).

(٤) اعتقاد فرق المسلمين والمشركين(ص٤٦).

(٥) مقالات الإسلاميين(١/ ٨٦).

(٦) الفرق بين الفرق(ص٥٦-٥٧).

(٧) وهم أتباع عبد الله بن أباض وهم فيما بينهم فرق وكلهم يقولون أن مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار لا مشركون ولا مؤمنون فهم عندهم كفار كفر نعمة، مقالات الإسلاميين(١/ ٤٥٣)التبصير في الدين - (١ / ٥٨)، الملل والنحل(١/ ١٣٣).

جائزة، وموارثتهم حلال، لأنهم إنما كفروا كفر نعمة لا كفر ملة كذلك النجدات[١] قالوا: الفاسق من موافقيهم كافر كفر نعمة. أما المحكمة الأولى[٢]، والأزارقة[٣]، والعجاردة[٤]، ومن وافقهم، فقد قرروا: أن مرتكب الكبيرة من أمة محمد r كافر مخلد في النار، وهذا القول هو الأرجح.

وقد استدلوا على باطلهم بعدة أدلة، أبرزها:-

- استدلالهم بعموم النصوص التي فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر كقوله تعالى: M وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ © فِيهَآ أَبَدًا L[٥]، وقال الله تعالى: M c d e f g h i j k l m n o p q r L[٦]، وقوله تعالى: M ! " # $% & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L[٧] وغيرها كثير.

---

(١) هم: أتباع نجدة بن عامر النخعي وهم يرون أن قتل من خالفهم واجب، الملل والنحل (١/١٢١-١٢٢) اعتقادات المسلمين والمشركين (١ / ٤٧).

(٢) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي الملل والنحل - (١ / ١١٤)، التبصير في الدين (ص٤٦).

(٣) هم أتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي، وقد اطبقت الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر وان قتل نساءهم وأطفالهم مباح وأن رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، مقالات الإسلاميين (١/٨٧)، التبصير في الدين (١/٥٠).

(٤) هم أتباع عبد الكريم بن عجرد وكان من أتباع عطية بن أسود الحنفي ومما اتفق عليه العجاردة قولهم إن كل طفل بلغ فإنه يدعى إلى أن يقر بدين الإسلام وقبل أن يبلغ يتبرؤون عنه ولا يحكمون له بحكم الإسلام في حالة طفوليته وخاصة مذهبهم تأن الأزارقة كانوا يبيحون أموالهم مخالفيهم حتى يقتل صاحب المال أولا، مقالات الإسلاميين (١/٩٣) التبصير في الدين - (١ / ٥٤).

(٥) الجن: ٢٣.

(٦) النساء: ٩٣.

(٧) الفرقان: ٦٨ – ٦٩.

وجه الاستدلال: قالوا هذه النصوص فيها الوعيد بالتخليد لأصحاب الكبائر في النار ولا يخلد في النار إلا الكفار.

الرد عليهم: ذكر أهل العلم أقوالا في الإجابة عما استدل به الخوارج على مذهبهم، يقول السفاريني رحمه الله في ذكر أجوبة العلماء عما تمسك به الخوارج من هذه الآيات: (قالت فرقة: الوعيد في حق المستحل لها ؛ لأنه كافر، وأما من فعلها غير مستحلها لم يلحقه وعيد الخلود، وإن لحقه وعيد الدخول . وقد أنكر الإمام أحمد t هذا القول، وقال: لو استحل ذلك ولم يفعله كان كافرا، والنبي r إنما قال من فعل كذا وكذا .

وقالت فرقة أخرى: الاستدلال بنصوص الوعيد هذه مبني على ثبوت العموم، قالوا: وليس في اللغة ألفاظ عامة، وقصدهم تعطيل هذه الأدلة عن استدلال المعتزلة والخوارج بها، لكن ذلك يستلزم تعطيل جملة الشرع، فهم ردوا باطلا بأبطل منه، وبدعة بأقبح منها، فكانوا كمن رام أن يبني قصرا فهدم مصرا .

وقالت فرقة أخرى: هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح، فيجوز على الله تعالى إخلاف الوعيد لا إخلاف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه، فإخلافه عفو وهبة، وإسقاط ذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، والوعد أوجبه على نفسه بوعده، والله لا يخلف الميعاد.

وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من إنفاذ الوعيد، بعضها بالإجماع، وبعضها بالنص، فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، فلا تعطل هذه النصوص وأضعاف أضعافها، فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين، ومن ثم قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات اعتبارا لمقتضى العقاب ومانعه؛ إعمالا لأرجحهما، وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما وبناء الأحكام الشرعية والأحكام القدرية، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها خلقا وأمرا،

وقد جعل تعالى لكل ضد ضدا يدافعه ومانعا يمانعه ويكون الحكم للأغلب منهما . والحاصل - والله أعلم - كون المذنب الملي وإن كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه؛ في مشيئة مولاه، إن شاء عذبه، وإن شاء عافاه)[(١)].

ويقول القرطبي مبينا رجحان هذا القول بعد ذكر قوله تعالى:M c d

e f g h i j k l m n o p q

r L[(٢)]: (الآية مخصوصة بآيات وأحاديث، فمن الآيات قوله تعالى:Mإِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ L[(٣)]، وقوله تعالى:M \ ] ^ _ ` a b c

d L[(٤)]، وقوله تعالى:M y z { | } ~ L[(٥)] وتوضيح ذلك أنه ليس الأخذ بظاهر هذه النصوص أولى من الأخذ بظاهر تلك النصوص، والأخذ بالظاهرين متناقض فلا بد من التخصيص .

وأما الأخبار المخصصة لعموم الآية فكثيرة، منها: حديث عبادة بن الصامت أنه r قال: « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا . . .** إلى أن قال: **فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه** »[(٦)]، وحديث أبي هريرة في الرجل الذي قتل مائة نفس [(٧)] .

(١) لوامع الأنوار البهية - (١/ ٣٧٠-٣٧١)بتصرف يسير.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) هود: ١١٤.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) النساء: ٤٨.

(٦) أخرجه البخاري:برقم(١٨)(كتاب الإيمان)(ص٦)، ومسلم:برقم(٤٤٦٣)(كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها)(ص٧٥٧-٧٥٨).

(٧) أخرجه مسلم:برقم٧٠٠٨(كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله)(ص١١٩٩).

ثم إنهم - الخوارج ومن وافقهم - قد أجمعوا معنا في الرجل يشهد عليه بالقتل أو الزنا ويقر بأنه قتل أو زنى ويأتي السلطان فيقيم عليه الحد، فهذا غير نافذ عليه الوعيد في الآخرة إجماعا على مقتضى حديث عبادة . فقد انكسر عليهم ما تعلقوا به من عموم هذه النصوص ودخلها التخصيص بما ذكر)[١].

ومما يرد به على الخوارج: أن الله سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها؛كما في قوله تعالى:M i j k l m n o L[٢]، قال ابن كثير رحمه الله: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم)[٣]، ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى:M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s L[٤] قال ابن حزم رحمه الله:(فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمدا وولي المقتول أخوان، وقد قال تعالى:M إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ L[٥] فصح أن القاتل عمدا مؤمن بنص القران)[٦].

ب: ذكر شيء من صفات الخوارج في كتاب الله تعالى:-

نقل أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بعض ما ذكره الصحابة والتابعين من صفات الخوارج؛فعند قول الله تعالى:M c d e f g h i j k l

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٣٣٤).

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) تفسير ابن كثير(٧/ ٣٧٤).

(٤) البقرة: ١٧٨.

(٥) الحجرات: ١٠.

(٦) الفصل (٣/١٣١).

m n o p q r s L[١] ذكر قول سعد بن أبي وقاص t بقوله:(عن مصعب بن سعد، قال: قلت لسعد:من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أهم الخوارج؟ فقال: هم اليهود والنصارى؛ أما اليهود فلم يؤمنوا بمحمد r ؛ وأما النصارى فلم يؤمنوا بالقيامة؛ لأنهم قالوا ليس في الجنة أكل ولا شرب ....وأما الخوارج فهم الذين قال الله فيهم:M w x y z { | } ~ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ L[٢])[٣].

وروى أبو غالب عن أبي أمامة عن النبي r في قوله تعالى:M I J K L M N O P Q R L[٤] قال: "هم الخوارج"[٥]. وقيل: إن الآية تدل على أن من ابتدع من خارجي وغيره فليس النبي r منهم في شيء لأنهم إذا ابتدعوا تخاصموا وتفرقوا وكانوا شيعا)[٦].

ثم ذكر عند قول الله تعالى: M u v w x y z { | } ~ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ L[٧] حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي r قال: **(فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم أولئك فاحذروهم)**، قال ابن عباس: "هم الخوارج"[٨]، وقال أبو غالب: قال أبو أمامة الباهلي ورأى رؤوسا من رؤوس الخوارج فقرأ:M u v w x

(١) الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) الرعد: ٢٥.

(٣) معاني القرآن للنحاس - (٤ /٢٩٨ - ٢٩٩)، والأثر:أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/٦٤١) والحاكم في المستدرك(٢/٤٠٢)وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الأنعام: ١٥٩ .

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور(٣/٤٠٢)، وقد أورده موقوفا ابن كثير في التفسير ثم قال:(٣ / ٣٧٧) (وروي عنه مرفوعًا، ولا يصح).

(٦) معاني القرآن للنحاس - (٢ / ٥٢٤).

(٧) آل عمران: ٧ .

(٨) معاني القرآن للنحاس - (١ / ٣٤٩-٣٥٠).

y z { | } ~ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ L [(١)] ثم قال: هم هؤلاء، فقلت: يا أبا أمامة أشيئا سمعته من رسول الله r، أم شيئا قلته من رأيك، فقال: أني إذا لجريء -يقولها ثلاثا- بل سمعت من رسول الله r غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث)[(٢)].

وعند قول الله تعالى:M N O P Q R S T U V W L[(٣)] أورد قول بكر المزني بقوله:(قال بكر بن عبد الله المزني: هؤلاء الحرورية)[(٤)].

ولما ذكر قول الله تعالى:Mفَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ L [(٥)] بين معناها ثم قال:(روي عن سعد بن أبي وقاص وأبي أمامة رضي الله عنهما: أن هؤلاء هم الحرورية)[(٦)].

الدراسة: -

جاءت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ببيان صفات الخوارج وسماتهم، وقد ذكر شيئا منها أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وذلك فيما أورده من أقوال عن الصحابة والتابعين عند بعض الآيات، وقد تتبع شيئا من ذلك بعض من كتب في الخوارج وصفاتهم[(٧)].

---

(١) آل عمران: ٧.

(٢) معاني القرآن للنحاس - (١ / ٣٤٩-٣٥٠).

(٣) محمد: ٢٢.

(٤) معاني القرآن للنحاس - (٦ / ٤٨٢)، والأثر نسبه السيوطي في الدر المنثور(٧/٤٩٧) لعبد بن حميد.

(٥) الصف: ٥.

(٦) إعراب القرآن - (٤ / ٤٢٠)، وانظر تفسير الطبري(٢٣/٣٥٨)، النكت والعيون(٥/٥٢٩).

(٧) انظر في صفات الخوارج:الخوارج دراسة عقدية(١٨٠-١٩٢)لناصر بن عبدالله السعوي-ط.دار المعراج -الرياض-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها د.غالب بن علي عواجي(٢٣١-٢٤٨)ط.مكتبة السنة –مصر-الطبعة الأولى-١٤١٨هـ، الخوارج(١٠-١٨) د.ناصر بن عبدالكريم العقل ط.دار القاسم-الطبعة الثانية-١٤١٧هـ، الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة د.عامر النجار-ط.عالم الكتب-الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ.

المطلب الثالث: الرد على المرجئة .

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في بيان معنى قول الله تعالى: M وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ L[1]: (ومنهم آخرون مرجؤن لأمر الله، من أرجأته أي: أخرته، ومنه قيل: "المرجئة" لأنهم أخروا العمل)[2].

كما رد على المرجئة من كتاب الله تعالى؛فعند قول الله تعالى:M K L M N L[3] يقول:(فدل بهذا على أن الإيمان والإسلام أشياء كثيرة، وهذا خلاف قول المرجئة)[4].

وعند قول الله تعالى:M يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ L[5] يقول في معناها:(والكلم جمع كلمة، وأهل التفسير؛ ابن عباس، ومجاهد، والربيع بن أنس، وشهر بن حوشب، وغيرهم قالوا: والمعنى: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهذا رد على المرجئة)[6].

وقد استنبط من قول الله تعالى:M4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L[7] الرد على المرجئة فقال في معناها:(فكان في هذا رد على المرجئة؛ لأنهم يقولون: يجوز أن يكون المفسد كالمصلح، أو أرفع درجة منه، وبعده أيضا M= > ? @ L[8])[9].

---

(١) التوبة:١٠٦.

(٢) إعراب القرآن - (٢ / ٢٣٤).

(٣) المائدة: ٣.

(٤) إعراب القرآن - (٢ / ٧).

(٥) فاطر: ١٠.

(٦) إعراب القرآن - (٣ / ٣٦٤).

(٧) ص: ٢٨ .

(٨) ص:٢٨ .

(٩) إعراب القرآن (٣ / ٤٦٢).

الدراسة: -

المرجئة لغة: اسم فاعل من " أرجأته " بالهمزة بمعنى أخرته، والرجاء من الأمل نقيض اليأس . ممدود، تقول رجاه يرجو رجوا ورجاء: أي أمل فيه .

والإرجاء: بمعنى التأخير . ومنه سميت المرجئة .

فأرجأ الشيء: أي أخره، ومنه قوله تعالى:M b c d L[١].

والطائفة المعروفة: المرجئة . بهمز ولا بهمز وكلاهما بمعنى التأخير، والهمز أجود[٢]

وفي الاصطلاح: -

يطلق الإرجاء على معنيين . **أحدهما:** بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: M b c d L[٣] أي: أمهله وأخره .

والثاني: إعطاء الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد . وأما بالمعنى الثاني . . فلأنهم كانوا يقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة[٤].

وقد سبق في باب الإيمان دراسة ما أورده من أن الإيمان يتضمن العمل، وضمن ذلك الرد على المرجئة، والمقصود بيان جهود أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في الرد عليهم.

---

(١) الأعراف: ١١١.

(٢) الملل والنحل(١/ ١٣٨)تهذيب اللغة(١١/ ١٢٥)، لسان العرب(١٤/ ٣١١).

(٣) الأعراف: ١١١.

(٤) الملل والنحل(١/ ١٣٨)، التبصير في الدين(ص٩٧)وانظر:لوامع الأنوار البهية(١/ ٨٩).

المطلب الرابع: الرد على القدرية

يقول أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند قول الله تعالى: Q P ONM R S T U V W L[1]: (أهل التفسير مجمعون فيما علمته على أن المعنى ما أنتم بمضلين أحدا إلا من قدر الله جل وعز عليه أن يضل ..... قال أبو جعفر: ففي هذه الآية رد على القدرية من كتاب الله جل وعز)[2].

كما استدل في الرد على القدرية بقول الله تعالى:Mإِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَهُ â L[3].

فقال:(فيه رد على من أنكر خلق الأفعال)[4].

وقد أورد القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عن أبي جعفر النحاس بقوله: (وأسند النحاس: وحدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة عن أنس قال: قال رسول الله r : **(القدرية الذين يقولون: الخير والشر بأيدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم مني)**[5].

---

(١) الصافات: ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) إعراب القرآن - (٣ / ٤٤٥).

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) إعراب القرآن (٤ / ٣٠٠) .

(٥) لم أجده في كتب النحاس المطبوعة، وإنما نقله عنه القرطبي في تفسيره(١٧ /١٤٨)، والحديث أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء لابن عدي(٣/١٢٢٤)ط.دار الفكر-١٤٠٤هـ، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية(١ /١٦١-١٦٢)ط.دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى-١٤٠٣هـ، وقال بعده:(هذا حديث لا يصح وقال ابن حبان: سعيد بن ميسرة يروي الموضوعات).

الدراسة: -

القدرية: اسم يطلق على من نفى القدر[١]، يقول البغدادي: (وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم، وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية)[٢] .

وكان أول ظهورهم بالبصرة في العراق على يد رجل ينسب إلى الزهد، يقال له معبد الجهني، حيث قال بنفي القدر، وأن العبد حر في تصرفاته.

وكان ذلك في أواخر زمن الصحابة - y - فأنكروا ذلك عليه كما أنكره عليه عامة التابعين، جاء في صحيح الإمام مسلم عن يحيى بن يعمر قال:(كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله r فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدكم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله r يوماً... فذكر حديث جبريل)[٣].

وقد أخذ معبد هذه المقالة عن رجل نصراني أسلم ثم تنصر، قال الأوزاعي: أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق، يقال له: سوسن، كان نصرانيا فأسلم

---

(١) التعريفات للجرجاني(٢٢٢)، الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة لليازجي(٢٩)، ت:أ.ديوسف بن محمد السعيد، ط.أطلس الخضراء،الرياض، السعودية،الأولى،١٤٢٤هـ، البرهان (٥٠).

(٢) الفرق بين الفرق(ص٩٤).

(٣) سبق تخريجه(ص١٨٧).

ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد[١] .

ثم أخذت هذه المقالة المعتزلة بعد أن انضم إليها عمرو بن عبيد، فضموا إلى بدعتهم في الإيمان، ومرتكب الكبيرة إنكارهم للقدر.

ونفي القدر كانت له مرحلتان:

المرحلة الأولى: مرحلة غلاة القدرية الأوائل الذين كانوا ينكرون العلم السابق، وكان على هذا معبد الجهني وبعض القدرية وقد كفرهم الأئمة بهذا، وقد انقرض هذا المذهب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:(وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف، أي مستأنف، وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان t في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم، وأنكروا مقالتهم، كما قال عبد الله بن عمر - لما أخبر عنهم -: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، وكذلك كلام ابن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين، فيهم كثير، حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون)[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:(وقد حكى المصنفون في المقالات عن طوائف من القدرية إنكار كون الباري عالما بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٤/ ٧٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى(٨/ ٤٥٠).

منهم، وإنما يعلمها بعد كونها، قال القرطبي وغيره: قد انقرض هذا المذهب، ولا نعرف أحدا ينسب إليه من المتأخرين، قال: والقدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم، وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول)[١].

وما أشار إليه القرطبي رحمه الله: هو المرحلة الثانية من مراحل القدرية حيث إن عمرو بن عبيد - زعيم المعتزلة - أخذ بمقالة معبد الجهني في القدر وتبعه على ذلك خلق من أهل البصرة فتبنى المعتزلة هذا الرأي وقالوا: بنفي القدر وأن العبد لا يعمل ضمن حدود القدر، وإنما هو حر طليق، وفعله الشر منشؤه مشيئته واختياره هو وحده، وليس لله عليه مشيئة البتة، وقد ستروا هذا الرأي تحت كلمة العدل، وهو أحد أصولهم الخمسة التي بنوا عليها مذهبهم[٢].

---

(١) فتح الباري(١/١١٩).

(٢) بحث "أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر" للدكتور:عبدالله بن سليمان الغفيلي، ضمن مجلة البحوث الإسلامية(٧٩/١٤٢-١٤٤).

المطلب الخامس: الرد على المعتزلة

أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من خلال عرضه لبيان معاني الآيات وكذا إعرابها الرد على المعتزلة في بعض المسائل التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة فقد رد عليهم في أبوب القضاء والقدر وغيرها وقد سبق بيان ذلك في مواضعه.

ومما يبين جهوده في الرد عليهم أيضا؛ ما أورده عند تفسير الآيات التي فيها الرد على من قال بخلق القرآن، فقد استنبط أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من التفريق بين الخلق والأمر أن كلام الله تعالى غير مخلوق فقال:(وقوله جل وعز: M n o p q L[1] ففرق بين الشيء المخلوق وين والأمر وهو كلامه فدل على أن كلامه غير مخلوق)[2].

ويقول كذلك:(وفي قوله تعالى:Mوَلَمْ ´ µ ¶ L[3] قولان:

أحدهما: أنه لم يجعله مختلفا كما قال سبحانه: M O P Q R S T U V W X L[4].

والقول الآخر: أنه لم يجعله مخلوقا كما روي عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: M ¶ ¸ عِوَجٍ L[5]قال: "غير مخلوق")[6].

(١) الأعراف: ٥٤.

(٢) معاني القرآن للنحاس - (٣ / ٤٢-٤٣).

(٣) الكهف: ١ .

(٤) النساء: ٨٢.

(٥) الزمر: ٢٨ .

(٦) معاني القرآن للنحاس - (٤ / ٢١٢)و: معاني القرآن للنحاس - (٦ / ١٧٠-١٧١)، والأثر أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات(١ / ٥٩٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة(٢/ ٢١٧)، والأصبهاني في الحجة(١ / ٢٤٣) وغيرهم.

الدراسة: -

دلت النصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه **r** وكذا إجماع سلف هذه الأمة على أن القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، أما نصوص الكتاب فكثيرة جدا ومنها:قول الله تعالى:M ¸ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ L[١]وقول الله تعالى:M ´ µ ¶ ¸ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ L[٢] .

وأما السنة فقوله **r** : **(من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك)**[٣] ، قال ابن عبدالبر:(في هذا الحديث من الفقه أيضا أن كلام الله عز و جل غير مخلوق، وعلى ذلك أهل السنة أجمعون وهم أهل الحديث والرأي في الأحكام، ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ^ أحدا أن يستعيذ بمخلوق)[٤].

وأما إجماع سلف الأمة على هذه المسألة فقد حكاه غير واحد من أهل العلم[٥]، يقول الآجري رحمه الله:(اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم: أن قول المسلمين الذين لم . تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديماً و حديثاً: أن القرآن كلام الله عز وجل ليس بمخلوق، لأن القرآن من علم الله تعالى، وعلم الله عز وجل لا يكون مخلوقاً، تعالى الله عز وجل عن ذلك .دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله

---

(١) التوبة: ٦.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) أخرجه مسلم برقم٦٨٧٨(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء) (ص١١٧٧).

(٤) التمهيد - (٢١ / ٢٤١).

(٥) الإبانة للأشعري(٩١-٩٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٢/٢٥٣)، الحجة في بيان المحجة (١/٣٦٠)، حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة المقدسي (ص٤٧)تحقيق:عبدالله الجديع، مكتبة الرشد-الرياض-الأولى-١٤٠٩هـ.

تعالى عنهم، وقول أئمة المسلمين رحمة الله تعالى عليهم، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث)[١]، ويقول اللالكائي رحمه الله بعد أن نقل عن جمع غفير من السلف:(فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسا أو أكثر من التابعين، وأتباع التابعين، والأئمة المرضيين، سوى الصحابة الخيرين، على اختلاف الأعصار، ومضى السنين والأعوام، وفيهم نحو ممن مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم الوفاً كثيرة، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار ونقلت عن هؤلاء عصرا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر)[٢].

وقد ذهبت طوائف منهم المعتزلة إلى القول بخلق القرآن وأنه محدث، واستدلوا على باطلهم ببعض الأدلة، وأبرزها:-

- قول الله تعالى:L y x w v M[٣]، يقول القاضي عبدالجبار:(الآية تدل بعمومها على حدوث القرآن، وأنه تعالى خلقه....ولا دلالة توجب إخراج القرآن من هذا العموم، فيجب دخوله فيه)[٤].

الرد عليهم:

١-يقول ابن أبي العز رحمه الله:(وأما استدلالهم بقوله تعالىx w v M L y[٥]، والقرآن شيء، فيكون داخلا في عموم كل فيكون مخلوقا فمن أعجب العجب؛ وذلك: أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله فأخرجوها من عموم كل، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون

(١) الشريعة للآجري - (١ / ٧٣).

(٢) اعتقاد أهل السنة - (٢ / ٣١٢).

(٣) الرعد: ١٦.

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل(٧/ ٩٤).

(٥) الرعد: ١٦.

المخلوقات، قال تعالى:M h i j k l m n o p q L[١]

ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقا لزم أن يكون مخلوقا بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطل)[٢].

٢-أن (عموم "كل" في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى:M l m n o p L[٣]، ومساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح؟ وذلك لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير . وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: M % & ' (L[٤]، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام .....، ولهذا نظائر كثيرة)[٥] .

وشبه المعتزلة التي توهموا أنها تدل على قولهم الباطل كثيرة، والمقصود بيان مخالفتهم لأدلة الكتاب والسنة ولإجماع سلف الأمة.

---

(١) الأعراف: ٥٤ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية(١/ ١٧٩).

(٣) الأحقاف: ٢٥ .

(٤) النمل: ٢٣.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٨١).

الخاتمة

الحمـــد لله رب العالمين،وصـــلى الله وســلم وبـــارك عـــلى رســـول الله وبعد:-

فأحمد الله تعالى على ما من به من تمام هذا البحث الذي أمضيت فيه أكثر من عام كامل ،استفدت من خلاله كثيرا مما أورده أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من علوم كثيرة تدل على سعة علمه واطلاعه،وقد خرجت منه فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد بما يلي:-

١- عاش أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع،وكانت تلك الفترة محل الاضطرابات من الناحية السياسية،ومع ذلك فإن الحركة العلمية كانت في قمة الازدهار على ما سبق تفصيله.

٢- تنوع شيوخ أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى -فمنهم المحدث، ومنهم المفسر ومنهم اللغوي- كان له الأثر الكبير في تنوع مصادره ومعلوماته.

٣- مصادر التلقي في العقيدة عند أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى كانت هي:الكتاب ،والسنة،والإجماع.

٤- كان من منهج أبي جعفر النحاس في العقيدة: عدم وقوع النسخ في الأخبار،والعمل بالنصوص من غير تفريق بين متواتر وآحاد،والاستدلال باللغة على تقرير مسائل الاعتقاد،وإعمال المجاز في بعض نصوص الصفات.

٥- عرف أبو جعفر النحاس الربوبية وذكر من أدلة ربوبية الله:دليل الفطرة،والميثاق،والآفاق،والأنفس .

٦- بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى معنى الألوهية و العبادة،وذكر من أنواع العبادة :الدعاء،والتوكل،والذبح،والتبرك،وقررها على منهج أهل السنة والجماعة.

٧- ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى مما يضاد توحيد العبادة:دعاء غير الله تعالى،والذبح لغير الله،والشفاعة الشركية.

٨- أورد أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى من أنواع الشرك الأصغر:الحلف بغير الله تعالى،الاستسقاء بالأنواء، التطير،بعض الألفاظ التي تقدح في التوحيد مثل قول"ماشاء الله وشئت"،قول العبد"مولاي"وكذا سب الدهر.

٩- عرض أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى لبيان المعنى اللغوي لجملة من أسماء الله تعالى الحسنى، كما ذكر أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

١٠- اضطرب منهج أبي جعفر النحاس رحمه الله تعالى في صفات الله تعالى فأثبت بعضا وأول بعضا مما يدل على أنه لم يتبن قولا واحدا فيها، فقد أثبت أبو جعفر من الصفات الذاتية:صفات العلو،العلم،الكلام،والنفس،ولم يثبت صفات اليد والوجه والعين.

١١- أثبت أبو جعفر النحاس من الصفات الفعلية: العجب،الكيدو المكرالمقيدتين و لم يثبت صفات الغضب والمحبة والرحمة ، وكذا بقية الصفات المقيدة .

١٢- يظهرمن خلال موقفه من الصفات أنه لم يكن على وتيرة واحدة ،بل كان خليطا من منهج السلف وغيرهم،ولعل مرجع ذلك في نظري تعدد شيوخه وكثرتهم فتارة يقرر حسب كلام علماء السلف كابن جرير و الذهلي والأنباري شيخه،وتارة يقرر حسب كلام شيخه الذي لازمه وهو الزجاج ،ومن الأسباب أيضا :إعماله للمجاز في تأويل بعض نصوص الصفات،مما خالف فيه المنهج الذي أورده بنفسه من أن الأصل عدم استعمال ذلك.

١٣- قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الإيمان بالملائكة من جهة وجودهم،وذكر شيئا مما ورد من أعمالهم،ثم عرض لمسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر .

١٤- أوضح أبو جعفر النحاس أن القرآن منزل من عند الله تعالى وأن جبريل سمعه من الله تعالى وصحح أثر ابن عباس رضي الله عنهما الوارد في ذلك،وبين أنه لايرده إلا أهل البدع،كما تطرق إلى تعدد وجوه إعجاز القرآن،وإلى حفظه.

١٥- قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى وجوب الإيمان بالرسل عموما،كما أورد

شيئا من دلائل نبوة نبينا محمد ^ .

١٦ - بين أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عصمة الأنبياء من الشرك كما قرر أن الذنوب قد تقع منهم،وأن ذلك لايقدح في عدالتهم وأمانتهم.

١٧ - ذكر أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى فيما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر بعض الأشراط الصغرى والكبرى للساعة،حسب ما ورد في كتاب الله تعالى،كما أورد شيئا من أحوال البرزخ،وبعض أمور الآخرة.

١٨ - أوضح أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عند الآيات التي دلت على مراتب القضاء والقدر ما يدل على إقراره لتلك المراتب.

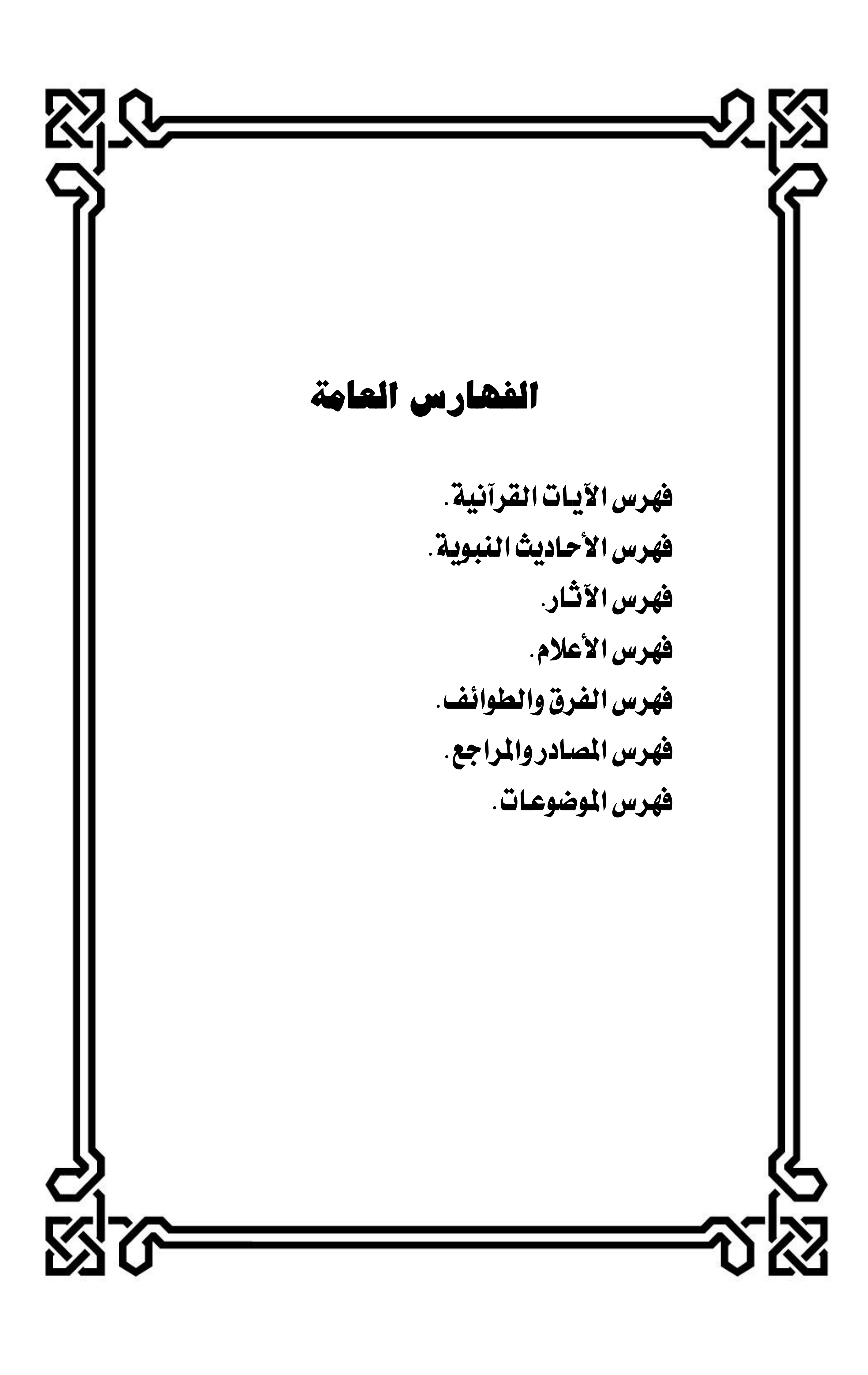
١٩ - وافق أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات الهدى والضلال وأنه بيد الله تعالى وأن للعبد قدرة على أفعاله وإرادة، كما عرض لمسألة الاستطاعة وقررها وفق ما تقتضيه الأدلة.

٢٠ - عرف أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى الإيمان والإسلام بما عليه أهل السنة والجماعة،كما بين أن الإيمان يزيد وينقص،وأنه قول وعمل وضمن ذلك الرد على المرجئة.

٢١ - اعتنى أبو جعفر النحاس رحمه الله تعالى بالرد على أهل الأهواء والبدع؛فقد رد على المعتزلة في مسألة القدر وكون المقتول مات بأجله وغيرها،وكذا رد على الروافض وبين ضلالهم في مسألة الإمامة والقرآن وغيرها،كما أورد الرد على الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة،واعتنى ببيان شيء من أوصافهم.

٢٢ - قرر أبو جعفر النحاس رحمه الله فضائل الصحابة ،وضمن ذلك الرد على من يتنقصهم،كما نص على مسألة إمامة الخلفاء الراشدين وأورد الأدلة في ذلك،ورد على من خالف فيها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام.

فهرس الفرق والطوائف.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

<table>
<tr><th>الآيــة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td colspan="3">البقرة</td></tr>
<tr><td>L A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 M</td><td>١ - ٤</td><td>٢١٨</td></tr>
<tr><td>M ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ L</td><td>١٥</td><td>١٧١</td></tr>
<tr><td>s r q p n m l k j i M
L t</td><td>٢٦</td><td>٣٢٦</td></tr>
<tr><td>وَٱسۡتَكۡبَرَ ~ } | { z y x w v M
وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ L</td><td>٣٤</td><td>٣٦٨</td></tr>
<tr><td>L 2 1 0 / . - M</td><td>٣٨</td><td>٢٨١</td></tr>
<tr><td>M إِنَّا كُلَّ à خَلَقۡنَٰهُ â L</td><td>٤٩</td><td>٤٣</td></tr>
<tr><td>أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ ~ } | { z M
فِيهَا خَٰلِدُونَ L</td><td>٨٢</td><td>٣٠٩</td></tr>
<tr><td>e d c b a ` _ ^] \ [ZM
L k j i h g f</td><td>٩٧</td><td>١٩٦، ٢٠٨، ٢١٠</td></tr>
<tr><td>L V U T S R Q P O M</td><td>١٠٢</td><td>١٢٢</td></tr>
<tr><td>M بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ L</td><td>١١٧</td><td>١٢٥</td></tr>
<tr><td>L t s r q M</td><td>١٣١</td><td>٢٢٢</td></tr>
<tr><td>لَكُمُ ٱلدِّينَ ~ } | { z y x w v M
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ L</td><td>١٣٢</td><td>٢٢٢</td></tr>
<tr><td>> = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 M
H G F E D C B A @ ?
L Q P O N M L K J I</td><td>١٣٦</td><td>٢١٨، ٢٤٠</td></tr>
<tr><td>L j i h g f d c b a ` M</td><td>١٤٣</td><td>٣٦٠</td></tr>
<tr><td>*) (' & % $ # " ! M
9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , +</td><td>١٦٤</td><td>٦٠</td></tr>
</table>

الآيــة	رقمها	الصفحة
C B A @ ? > = < ; : L K J I H G F E D		
Mوَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا ´ µ ¶ L ¸	١٧٤	٢٨٧
M " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L	١٧٧	١٨٧، ٢٠٦
M Y Z [\ ] ^ _ ` b c d e f g i j k l m n o p q r s L	١٧٨	٤٣٢
M z | } ~ ٱلْمُحْسِنِينَ L	١٩٥	١٦٨
M } ~ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً L	٢٠٨	٣٥٢
Mهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ L	٢١٠	١٧٧، ١٧٨
M © يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ L	٢١٨	١٦٨
Mمَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ L	٢٥٥	١٠٧
MK L M N O P Q R L	٢٧٢	٣٢٩
MO P QR S T U V W X L	٢٨٤	٤١
M g h i j k l m n p q r s t u v w x y z { | L	٢٨٥	١٨٧، ٢٠٦
M ¶ ¸ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا L	٢٨٦	١٨١
آل عمران		
Mu v w x y z { | } ~ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ L	٧	٤٣٣، ٤٣٤
M 4 5 6 7 8 9 : L	١٨	١٣٦
MH I J K L L	١٩	٣٥١، ٣٥٢
Me f g h i j k l L	٢٠	٦٤
Mوَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ´ L	٢١	٤١٤

الآيــة	رقمها	الصفحة
L < ; : 8 7 6 M	٣٠	١٦٦،١٦٣،١٦٤
L 1 0 / . - , + M	٥٤	١٧٠
L R Q P O N M L K M	٦٤	٤١١
M | { ~ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا L	٧٩	٣٣٧
g f e d b a ` _ ^] \ M L i h	٨٠	٤١٢،١٩٠
L F E D C B A @ ? M	٨٥	٣٥٢
L ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 M	١٠٢	١
6 5 4 3 2 1 0 / . M L 9 8 7	١١٠	٣٩٤
R Q P O N M K J I H M L S	١١١	٤٠٩
) (' & % $ # " M L , + *	١٣٣	٣٠٦
L k j i h g f e d c b M	١٤٥	٣٤٣
L d c b a ` _ ^] \ [Z Y M	١٥٤	٣٤٤
M يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ ´ µ ¶ ¸ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ L	١٥٦	٣٤٥
L _ ^] \ M	١٦٠	٩٢،٩١
M ´ µ ¶ ¸ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ L	١٦٤	٢
] \ [Y X W V U T S R M L b a ` _ ^	١٦٨	٣٤٥
q p o m l k j i h g f e M L w v u s r	١٧٨	٣٤

<table>
<tr><th>الآيـــة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td colspan="3">النساء</td></tr>
<tr><td>M ! " # $ % & ' ( ) * + ,
- . / 0 1 3 4 5 6 7 8 : ;
< = > L</td><td>١</td><td>١</td></tr>
<tr><td>M b c d e f g h i j
k l m L</td><td>٣١</td><td>٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٠</td></tr>
<tr><td>M 3 4 5 6 7 8 9 : ;
< = > L</td><td>٤٦</td><td>٢٣٢</td></tr>
<tr><td>M r s t u v w x y z { | } ~ وَمَن يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا L</td><td>٤٨</td><td>٣٦، ١٠٠، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٣١</td></tr>
<tr><td>M A B C D E F G H I
J K L M N O P Q R
S T U V L</td><td>٥٠</td><td>٢٢٥</td></tr>
<tr><td>M أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا L</td><td>٥١</td><td>١٢٣</td></tr>
<tr><td>M p q r s t u v w x
y z { | } ~ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا L</td><td>٥٧</td><td>٣٠٩</td></tr>
<tr><td>M© اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم ´ µ ¶
بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا L</td><td>٥٨</td><td>٤٠١، ٤٠٤</td></tr>
<tr><td>M يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ â
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا L</td><td>٥٩</td><td>٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤</td></tr>
<tr><td>M نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ L</td><td>٦٧</td><td>١٨٠</td></tr>
<tr><td>M C D E G H I L</td><td>٨١</td><td>٩٢</td></tr>
<tr><td>M K L M L</td><td>٨٢</td><td>٢٦</td></tr>
<tr><td>M O P Q R S T U V W X L</td><td>٨٢</td><td>٢٦، ٤٤١</td></tr>
</table>

الآيــة	رقمها	الصفحة
Mوَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا L	٨٥	١٤٢
M c d e f g h i j k l m n o p q r L	٩٣	٤٢٩، ٤٣١
Mوَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ L	١١٣	٢٧
M K L M N O P Q R S T U V W X Y Z | \ ] ^ _ ` a b c d e f g L	١٣٦	١٨٧، ٢١٨، ٢٢٥
M i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | L	١٣٧	٣٦٤، ٤٠٧
MH I J K L M L	١٤٢	٣٩، ١٧٢
MA B C D E F G H I J K L M N O L	١٥٠	٤١٢
Mp q r s t u v w x L	١٥٩	٢٥١
M" # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < L	١٦٣	٢٤٠
M I J K L L	١٦٤	٣٠، ١٦٠، ١٦٢
M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] L	١٦٥	١، ٣٣٨
Mإِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L	١٦٩	٣٠٩
Mفَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ L	١٧١	٢٢٥
M_ ` a b c d e f g h L	١٧٢	١٩٩
المائدة		
M K L M N O P Q R S T U L	٣	٣٥٠، ٣٥٢، ٤٣٥
Mوَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ L	٥	٣٦١

<table>
<tr><th>الآيــة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td>Mوَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ L</td><td>٢٣</td><td>١٠٠</td></tr>
<tr><td>M K J I G F E D B A @ ? > = M
L R Q P O N</td><td>٣٠</td><td>٢٨٧</td></tr>
<tr><td>Mفَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ L</td><td>٣٥</td><td>٣٧٢</td></tr>
<tr><td>= < ; : 9 8 7 6 4 3 2 1 0 / . M
L A @ ? ></td><td>٣٧</td><td>٢١٢</td></tr>
<tr><td>Q P N M L K J I H G F E D C M
L Z Y X W U T S R</td><td>٣٨</td><td>٢٧، ٢٧٩،٢٨٠، ٣١٩</td></tr>
<tr><td>L | { z y x M</td><td>٥٠</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td>L ? > = < ; M</td><td>٥٤</td><td>١٦٤</td></tr>
<tr><td>Mوَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ
وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا
رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ L</td><td>٥٩</td><td>٣١٨</td></tr>
<tr><td>d c b a ` _ ^] \ [Z M
L j i h g f e</td><td>٦٣</td><td>١٠١</td></tr>
<tr><td>وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ ~ } | { z y x w v M
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ L</td><td>٨٨</td><td>١٠٠</td></tr>
<tr><td>L s r q p M</td><td>١١٤</td><td>٢١٠</td></tr>
<tr><td>Mأَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ L</td><td>١٤٥</td><td>٩٣، ١٠٣</td></tr>
<tr><td>: 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / M
H G E D C B A @ ? > < ;
U T S R Q P O M L K J I
L V</td><td>١٤٨</td><td>٣٣٨</td></tr>
<tr><td>Mقُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ L</td><td>١٥١</td><td>٣٧</td></tr>
<tr><td>T S R Q P N M L K J M
L \ [Z Y X V U</td><td>١٥٣</td><td>١٢٦</td></tr>
<tr><td>L w v u t s r q p M</td><td>١٥٥</td><td>٢٦، ٩٦</td></tr>
</table>

<table>
<tr><th>الآيــة</th><th>رقمها</th><th>الصفحة</th></tr>
<tr><td>V U T R Q P O N M L K J I M
L \ [Z Y XW</td><td>١٥٩</td><td>١٢٥، ٤٣٣</td></tr>
<tr><td>Mقُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي ©رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ L</td><td>١٦٢</td><td>٩٣، ٩٤، ١٠٤</td></tr>
<tr><td colspan="3">سورة الأعراف</td></tr>
<tr><td>L ^] \ [Z Y M</td><td>٦</td><td>٢٨٧</td></tr>
<tr><td>q p o n m l j i h M
| { z y x w v u t s r
L }</td><td>٨-٩</td><td>٢٩٧، ٢٩٨</td></tr>
<tr><td>Mوَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا ´ µ ¶
إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ L</td><td>١١</td><td>٥٧</td></tr>
<tr><td>Mإِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ L</td><td>٢٠</td><td>١٩٩</td></tr>
<tr><td>+ *) (' &% $ # " ! M
L ,</td><td>٢٣</td><td>٢٣٠</td></tr>
<tr><td>L z y w v u t s r M</td><td>٣٤</td><td>٣٤٠</td></tr>
<tr><td>y w v u t s r p o n M
L z</td><td>٣٤</td><td>٣٤١، ٣٤٣</td></tr>
<tr><td>M وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ´ µ ¶ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ L</td><td>٣٦</td><td>٣٠٩</td></tr>
<tr><td>Mوَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ L</td><td>٤٣</td><td>٣٤٦</td></tr>
<tr><td>Mفَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا L</td><td>٥١</td><td>١٨٠</td></tr>
<tr><td>L q p o n l k j i h M</td><td>٥٤</td><td>٤٤١، ٤٤٤</td></tr>
<tr><td>الأعـــــــــراف ٥٥ M x y z { | } ~يُحِبُّ
ٱلۡمُعۡتَدِينَ L</td><td>٥٥</td><td>٨٦، ٨٨، ٨٩</td></tr>
<tr><td>Mإِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ L</td><td>٥٦</td><td>١٦٨</td></tr>
<tr><td>s r q p n m l k j i M
t u v w x y z | } ~ عَلَىٰ
قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ L</td><td>١٠١</td><td>٢٣٥</td></tr>
</table>

الآيـــة	رقمها	الصفحة
Mثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم ´ µ ¶ ¸ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا L	١٠٣	٣٦٤
M b c d L	١١١	٤٣٦
M قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ ´ µ ¶ ¸ بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ L	١١٦	١٢٢
M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 L	١٣١	١١٣
Mوَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ L	١٤٣	١٦٠، ١٦٢
Mقَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ © إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي L	١٤٣	٣٠٢
M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p L	١٥٦ — ١٥٧	٣٦٠
M6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C E F H J K L M N O P Q R L	١٧٢	٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٧
MC D E F G I J K L M L	١٨٠	١٢٩، ١٤٤
M I J K L M O P Q R L	١٨٠	١٢٩
M e f h i j L	١٨٣	١٧١
M z { | } ~ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن © قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ L	١٨٥	٦٠
M! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : ; < = > L	١٨٨	١١٦

الآيــة	رقمها	الصفحة
J I H G F E D C B AM W V U S R Q P O N M K b a ` _ ^] \ [Z Y X L m l k j i h g f e d c	١٨٩-١٩٠	٢٢٩
سورة الأنفال		
A @ ? > = < ; : 9 8 7 M J I H G F E D C B U S R Q P O N M L K L [Z Y X W V	٢-٤	٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٢
L q p o m l k M	٣٠	١٧٠
L | { z y x w v u t sM	٣٨	٣٨٠
سورة التوبة		
وَجَدتُّمُوهُمْ ~ } | { z y xM وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن © وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ ´ µ L	٥	٤٢٢
L أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ¸ M	٦	٤٤٢
L D C B A @ ?M	٨	١٣٠
L p o n m l k j i hM	١١	٤٢٢
وَأَنزَلَ جُنُودًا ´ µ LM	٢٦	١٩٢
ٱتَّخَذُوٓاْ © وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ M وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ ´ µ ¶ ¸ وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ L	٣١	٤٠٧
L % $ # " ! M	٣٧	٢٨٨
نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ LM	٦٧	١٨٠
8 7 6 5 4 3 2 1 0 / M F E D C B A @ ? = < ; : 9 L G	٧٤	٣٦٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
M سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ L	٧٩	١٧٢
M وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ L	١٠٦	٤٣٥
L = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 M	١٢٤	٣٦٢
L z y x w v u t M	١٢٧	١٧٢
سورة يونس		
L ; : 9 8 7 6 5 4 3 M	٢	٢٨٩
L \ [Z Y X W V M	٣	١٠٦
P O N M L K J I H G F E D M L T S Q	٣	١٩٦
M { | } ~ ٱللَّهِ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي © وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ L	١٨	١٠٦
. , + *) (' % $ # " M L 4 3 2 0 /	٢٦	٣٠٤،٢٨
M قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ ´ µ ¶ ۦ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ L	٣١	١٩٦
v u t s r q p o n m l k j M L ٱلۡعَٰلَمِينَ ~ } | { z y x w	٣٧	٢١١
L B A @ ? > M	٧١	٣١٤
L U T S R Q M	٧٢	٢٢٢
c b a ` _] \ [Z Y X M L f e d	١٠١	٦٠
M وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ L	١٠٦	١٠٢
S R P O N M L J I H G F M L U T	١٠٨	٣٢٧،٣٢٥

الآيــة	رقمها	الصفحة
Mفَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاL	٤٢	١٧٠
سورة إبراهيم		
F E D C B A @ ? > = M L P O N M K J I G	٢٧	٢٦٦، ٢٦٧
سورة الحجر		
L - , + *) M	١٧	٢٣٣
L m l k j i h g M	٩	٢١٥، ٤٢٣
M فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ L	٣٠-٣١	٢٠٢
L , + *) (' & M	٩٢-٩٣	١٦١، ٢٨٦، ٢٨٧
سورة النحل		
m l j i h f e d c b a M L n	٦٠	٨٣، ١٨١
L { z y x v u t s r q M	٧٦	٣٨٦
L بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ¸ ¶ µ M	٧٨	٥١
*) (' & % $ # " ! M L - , +	٨٨	٢٨٨
M قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ L	١٠٢	٢٠٨
b a ` _ ^] \ [Z Y M L d c	١٠٦	١٦٧
L n m l k j M	١١٥	١٠٣
سورة الإسراء		
L 5 4 3 2 1 0 / M	٩	٢٧
L W V U T M	١٢	٦٠
Mوَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا L	١٥	٦٧
Mكَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا L	٥٨	٣١٩
Mوَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ L	٦٤	٣٢٥

الآيــة	رقمها	الصفحة
L K J I H G E D M	٧٨	١٩٤
L X W V U T S M	٧٩	٢٨٩
M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا L	٨٥	٢٦٨
L 4 3 2 1 0 / . - , M	١٠٦	٢٠٩
سورة الكهف		
L L K J I H G E D C B M	٢٩	٣٣٣
- , + *) (' & % $ # " ! M 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . D C B A @ ? > = < ; : 9 L J I H G F E	٣٥-٣٧	٣٣٦، ٣٦٨
v u t s r q p o n m l M مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ ~ } | z y x w عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا L	٥٠	٢٠٣
M وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ! L - , + *) (' & % $# "	٨٣-٨٥	٢٣٩
; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / M L G F E D C B A @ ? > =	٨٦	٢٣٩
L Q P O N M L K J I H G M	١٠١	٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧
o n m l k j i h g f e d c M L s r q p	١٠٣ - ١٠٤	٤٣٣
L فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ~ } M	١٠٥	٢٩٨
L î بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦ ë ê é è ç كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ â M	١١٠	٨٤
سورة مريم		
L k j i h g f e d M	١٩	١٨٢
M ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ © L	٣٤	٤١٣
L - , + * M	٦٥	٧٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة المؤمنون		
Mوَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ ´ µ L	١٠٠	٢٦٢
L 9 8 7 6 5 4 3 M	١٠٧	٣٢٦
o n m l k j i h g f e d c b M L q p	١١٢-١١٣	٢٦٤
سورة النور		
D C B A @ ? > = < M M L K J I H G F E X W U T S R Q P O N L [Z Y	٥٥	٣٩٦
f e d c b a ` _ ^] M L h g	٦٣	٨٤
L بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ~ M	٦٤	١٥٣
سورة الفرقـان		
Mتَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ © لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا L	١	٩٥
Mوَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا L	٢	٣٢٤
p o n m l k j i h g M L q	٢٧	٢٣٣
M وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا L	٣٢	٢٠٩
R Q P O N M L K J M L W V U T	٣٧	٢٢١
L x w v u t s r q p M	٥٠	١١١
, + *) (' & % $ # " ! M : 9 8 7 6 5 4 3 1 0 / . - L @ ? > = < ;	٦٨-٦٩	٤٢٩

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة الشعراء		
L (' & % $M	٦١	٣٠٢
L f e d cM	١٩٢	٢٠٧
L q p o n m l k j i hM	١٩٣-١٩٤	١٨٢، ١٩٦
سورة النمل		
Mفَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ L	٢٢	٤٢
L (' & % M	٢٣	٤٤٤
L J I H G F E D CM	٥٩	٣٨٤
a ` _ ^] \ [Z Y X W V M L e d c b	٨٢	٢٥٧
M وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ L	٨٧	٢٧٢، ٢٧٣
L + *) (' & % $ # " !M	٨٩	٧٨
سورة القصص		
k j i h g f e d c b a ` _M L l	٥٦	١١٦
L w v u t s r M	٦٥	٢٨٧
L > = < ; : M	٧٨	٢٨٧
L j i h g fM	٨٨	١٥٦
سورة العنكبوت		
Mمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ L	٥	١٧٨
` _] \ [Z Y X W V U T M L a	٤٨	٢٣٣
> = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 M L B A @ ?	٦٥	١٠١
j i h g f e d c b a ` _ ^] M L n m l k	٦٨	٣٦٨

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة الروم		
M } ~ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ L	٢-٣	٢٣٤
M o p q r s t u v x y z {	L		٦٠، ٦٢
M فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ © ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ¶ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ L	٣٠	٥٠، ٥٧
M c d e f g h i j k m n o L	٥٥	٢٦٤
سورة لقمان		
M ! " # $ % & ') * + , - / 0 1 2 3 4 L	١٢	٢٣٧
M A B C D L	١٣	٩٩، ١٠٠
سورة السجدة		
M [\ ] ^ _ ` L	٥	١٩٥
M ! " # $ % & ' ( ) L	٢١	٢٦٣
سورة الأحزاب		
Mوَمَا â إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا L	٢٢	٣٦٢
M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 2 3 4 5 6 7 8 9 L	٣٦	٢٦
M B C D E F G L	٥٦	١١٥
M Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k L	٥٧-٥٨	٣٩١
M u v w x y z {	L	٧٠	١، ٧٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة سبأ		
M 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B D E F L	٢	١٥١
M J K L M O P Q R L	١٧	٣٧٩
M قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ! " # $ %& ' (* + , - . / 0 1 2 4 5 7 8 9 L	٢٢	١٠٧
سورة فاطر		
M يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ L	٣	٣٢٣، ٣٣٠
M يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ L	١٠	٤٣٥
M à يُعَمَّرُ â مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ ç è é ê إِنَّ ذَٰلِكَ î ï يَسِيرٌ L	١١	٣١، ٣٤٠، ٣٤٢
M= > ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U L	٤٠	٤٢
سورة يس		
M إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ ´ µ ¶ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ L	١٢	٣٢٠
M إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ L	٥٣	٢٧٣
M ! " # $ %& ' ( ) * + , L	٧١	١٥٤
سورة الصافات		
M ! " # $ % & ' (L	١-٣	١٩٧، ١٩٨
M i j k L	١٢	١٧٥
M وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ L	٩٦	٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٢
M 4 5 6 7 8 : ; < = > L	١٥٨	١٩١

الآيــة	رقمها	الصفحة
L W V U T S R Q P O N M L K J M	١٦١-١٦٣	٣٢٩، ٤٣٧
L W V U T S R Q P O N M	١٦٢-١٦٣	٣٢٥، ٤٣٧
L ^] \ [Z Y M	١٦٤	١٩٤
سورة ص		
= < ; : 9 8 7 6 5 4M L @ ? >	٢٨	٤٣، ٤٣٥
L [Z Y W V U T S M	٤٨	٢٤٢
M فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ ©ٱلۡكَٰفِرِينَ L	٧٣-٧٤	٣٦٧
M قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا ´ µ L	٧٥	١٥٤
M قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ L	٧٦	٢٠٢
L 7 6 5 4 3 2 1 0 / . M	٨٦	٢٥٤
سورة الزمر		
U T S R Q P O N M L K M L Y X W V	٢-٣	٨٤، ١٠٩
L f e d c b a `M	٣	١٠٦، ١٩٠
Mإِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا L	٥٣	٣٦
L h g f e d b a ` _M	٦٢	٣٢٤، ٣٣٢
- , + *) (' &% $ # " ! M L 7 6 5 4 3 2 1 0 .	٦٨	٢٧٢، ٢٧٣
L < ; : 9 M	٦٩	٢٨
سورة غافر		
Mرَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ ´ L	٧	١٥٣
Mلِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ L	١٦	٢٧٧، ٢٧٨
L @ ? > = < ; : M	١٨	٢٩١
L r q p o n M	٤٦	٢٦٤
6 5 4 3 1 0 / . - M	٦٠	٨٦، ٨٧، ١٠٢

الآيـة	رقمها	الصفحة
L : 9 8 7		
M p q r L	٦٤	٢٧٦
سورة فصلت		
M ( ) * + , - . L	٣	٣٣
M Y Z [\ ] ^ _ ` a b c L	٦-٧	٧٨
M حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ L	٢٠	٢١١
M { ~ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ L	٢٦	٢١١
M L M N O P Q R S T U V W X L	٣٣	٣٥٣
M وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ © وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ ´ µ ¶ ¸ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ L	٣٧	٥٩
M فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ L	٣٨	١٨٧
M : ; < = > ? @ A L	٤٠	١٤٤
M X Y Z [\ ] ' _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p L	٤١-٤٢	٢١٦، ٤٢٤
M أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ à مُّحِيطُۢ L	٥٤	١٣١
سورة الشورى		
M J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z | \ ] ^ _ ` a | L	١٣	٨٤، ٢٢١، ٢٢٥
M وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ L	١٥	٢١٨
M P Q R S T U L	٢٤	٢٣٤
M \ ] ^ _ ` a b c d L	٢٥	٤٣١
M وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ	٢٩	٢٨١

الآيـــة	رقمها	الصفحة
جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ L		
M | } ~ مِّثۡلُهَا L	٤٠	١٧٢
سورة الزخرف		
M وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ © سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ L	١٩	١٨٩
M وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ´ µ لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ L	٢٠	٣٣٨
M a b c d e f g L	٢٨	٧٤، ٨٠
M ! " # L	٦١	٢٤٦، ٢٥١
M { ~ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ L	٦٩	٣٥٦
M v w x y z { | { وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ L	٨٤	٧٥
سورة الدخان		
M& ' ( ) * , - . L	٣	٢٠٨
M c d e f g h i j k m n o p q r s t u v L	١٠-١٢	٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٦
M لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L	٥٦-٥٧	٣٤٦
سورة الجاثية		
M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 L	٢٣	٣١٧
M ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L N O P Q L	٢٤	١١٨
سورة الأحقاف		
M u v w x y L	٣	٣٦٦
M وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ L	٥	١٠٢
M u v w x y L	١٤	٣٦٨

الآيــة	رقمها	الصفحة
L p o n m l M	٢٥	٤٤٤
سورة محمد		
Mذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ L	١١	١٣٤
M فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا L	١٨	٢٤٦
L W V U T S R Q P O N M	٢٢	٤٣٤
Lٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ¸ ¶ M	٢٨	٨٣
سورة الفتح		
L F E D C B A @ ? > = <M	٤	٣٦٢
L *) (' M	١٠	١٥٤
+ *) (' & % $ # " ! M L 4 3 2 1 0 / . - ,	١٦	٣٩٥
r q p o n m l k M L x w v u t s	٢٦	٣٨٤ ،٧٧
سورة الحجرات		
X W V U T S R Q P O N M L Z Y	٧	٣٣٥
L o n m l k j i M	٩	٤٣٢
Mإِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ L	١٠	٤٣٢
h g f e d c b a ` _ ^] M L k j i	١٤	٣٥٦ ،٣٥٢
سورة الذاريات		
L v u t s r M	٢١	٦١
Mوَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ L	٤٧-٤٩	٦٤
سورة الطور		
Mفَمَنَّ ٱللَّهُ ´ µ ¶ ¸ L	٢٧	٣٤٥
Mوَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ L	٤٧	٢٦٣

الآيــة	رقمها	الصفحة
سورة النجم		
L . - , +M	٣	٢٧
Mوَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ L	٢٣	٧٣
Mوَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ à إِلَّا â بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ç è é L	٢٦	١٠٥، ١٠٧، ١٩٠
L Z Y X W V U T S R Q P OM	٣٠	٣١٦، ٣٢٧
L s r q p o n m M	٣٢	٣٧٦
M وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ L	٣٧	٣٥١
M وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ L	٣٩	٦٥
سورة القمر		
Mإِنَّا كُلَّ à خَلَقْنَٰهُ â L	٤٩	٤٣٧
سورة الرحمن		
L Y X W V U T M	٢٧	١٥٦، ١٥٧
Mفَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ L	٣٩	٢٨٧
L [Z Y X W V M	٧٨	٩٥، ٩٧
سورة الواقعة		
L ; : 9 8 M	٨٢	١١١
سورة الحديد		
Mوَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ L	٢	١٣١
L B A@ ? > M	٤	١٤٨
Mلَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ L	١٠	٣٨٤
M مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ç è é L	١١	٤٠٨
p o n m l k j i hM L q	٢١	٣٠٦
Mمَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ © فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ ´ µ ¶ L	٢٢	٣١٩

الآيــة	رقمها	الصفحة
L $ # " ! M	٢٥	٢٣٥
سورة الحشر		
M فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ´ L	٢	٢٣٤
L w v u t s r q p M	٧	٢٧، ٢٨، ٨٤
) (' & % $ # " ! M 5 4 3 2 1 0 / . - , + * L 7 6	١٠	٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٤١٧
سورة الممتحنة		
M رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ L	٤	٩١
L R Q P O N M L K J M	١٣	١٦٧
سورة الصف		
M فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ L	٥	١٧٢، ٤٣٤
l k j i h g f e d c b a `M L m	٩	٢٥٢
سورة الجمعة		
8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . M L B A @ ? > = < ; : 9	٢	٢٨
سورة المنافقين		
M ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ © فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ L	٣	٣٦٧، ٣٦٩
سورة التغابن		
Z Y X V U T S R Q P O N M M L [	٤	١٥٢
L z y x w M	١٦	٣٣٧
سورة الطلاق		
L	{ z y x w M	٣	٩٢
سورة الملك		
L 2 1 0 / M	٢	٨٥

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة النازعات		
M ~ أَمْرًا L	٥	١٩٥
سورة عبس		
M Z [\ ] ^ L	١٥-١٦	١٩٧
سورة التكوير		
M 1 2 3 L	٥	٢٨٠، ٢٨١
M = > ? L	٨	٦٥
M وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ L	٢٤	٤٢٠
M لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ L	٢٨-٢٩	٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٢
سورة الانفطار		
M - . / L	٤	٢٤٨
M 7 8 9: ; < = > ? @ A L	٦-٧	٦٣
سورة المطففين		
M T U V W X Y L	١٥	٤١، ٤٢
سورة الطارق		
M c d e f g h L	١٥-١٦	١٧١
سورة الشمس		
M 8 9 : ; < = > L	٧-٨	٣١٨
سورة الليل		
M 9 : ; < = L	٢٠	٣٩، ١٥٦، ١٥٧
الشرح		
M z { | } ~ أَنقَضَ ظَهْرَكَ L	٢-٣	٢٢٩
سورة التين		
M + , - . / 0 L	٤	٦٢
سورة العلق		
M d e f g L	٦	٦٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة
سورة القدر		
L % $# " !M	١	٢٠٧، ٢٠٩
L 2 1 0 / . -M	٣	٩٦
سورة البينة		
h g f e dcba ` _ ^] \M s r q p onml k j i L x w v t	٤-٥	٨٤، ٢٢٢، ٣٥١
سورة الزلزلة		
_ ^] \ [Z Y X WM L c b a `	٧-٨	٢٨٦
سورة التكاثر		
L ` _ ^] \ [M	١-٢	٢٦٣
سورة قريش		
L 4 3 2 M	٤	١٣٦
سورة الكوثر		
L X W VM	١	٢٩٤، ٢٩٥
L \ [Z M	٢	٩٣، ٩٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥
L a ` _ ^ M	٣	٢٣٣
سورة الإخلاص		
L 2 1 0 / . M	٤	٣٦
سورة الفلق		
L H G F E DM	٤	١٢٠

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
قال ما ترك إلا ما بين الدفتين		
السبل البدع والشبهات	مجاهد	١٢٦
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) هي الشفاعة	جابر بن عبدالله	٢٨٩
علي من المؤمنين	محمد بن علي	٤١٩
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (فإذا نفخ في الصور) في القرن	ابن مسعود	٢٧٥
(فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هم الحرورية	سعد بن أبي وقاص	٤٣٤
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً نزلت في المؤمن	الحسن	٨٣
كان إبليس من أشراف الملائكة وكان خازن الجنان وكان أمينا على السماء الدنيا والأرض	ابن عباس	٣٦٧
كذبت يا عدو الله، بل الذي خلقك وهو يضلك ويدخلك النار إن شاءالله	عمر بن الخطاب	٣٣٠
كلمة التقوى لا إله إلا الله	علي بن أبي طالب وابن عمر وأبو هريرة	٧٧
كنت إذا وجدت الحديث عن النبي صحيحاً أصبت مصداقه في كتاب الله	سعيد بن جبير	٤٠٩
الكوثر الخير الكثير	سعيد بن جبير	٢٩٥
الكوثر القرآن	الحسن وقتادة	٢٩٥
الكوثر النبوة والقرآن	عكرمة	٢٩٥
لا نقول كما يقول أهل حروراء	قتادة	٢٩٠
لم تؤمروا بسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	قتادة	٤١٧
(لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) في أرض المحشر يوم	ابن مسعود	٢٧٨

الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
M a b c d e f g L التوحيـــــــد والإخلاص في عقبه	قتادة	٨٠
M a b c d e f g L كلمـة (باقيـة) لا إله إلا الله	مجاهد	٨٠
وقال صوابا في الدنيا أي قال لا إله إلا الله	ابن عباس وعكرمة	٧٩
ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يعني الرياء	مجاهد	٨٢
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الـدنيا) هـو عند المساءلة إذا صار في القبر	البراء بن عازب وأبو هريرة	٢٦٦
يحشر الله الخلـق كلهـم يـوم القيامـة البهـائم والطـير والدواب وكل شيء	أبو هريرة	٢٨٠

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والطوائف

فهرس أبرز المصادر والمراجع

الرسائل الجامعية:

- § (أبوجعفر النحاس وأثره في الدراسات النحوية للباحثة: وهبة متولي عمرسالمة)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة.
- § (اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر إلى نهاية سورة النمل، للباحث/عبدالهادي بن علي الزهراني)،وهي رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى .
- § (إعراب القرآن بين النحاس ومكي وابن الأنباري للباحث: عبد العزيز بن ناصر السبر)، وهي رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير بكلية أصول الدين.
- § (جهود أبي جعفر النحاس اللغوية في كتابه معاني القرآن) للباحث: علي عبد الله الراجحي وهي رسالة "ماجستير" مقدمة لكلية اللغة العربية قسم النحو والصرف وفقه اللغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- § (مسائل الخلاف النحوية والتصريفية بين النحاس والفراء في كتابيهما "إعراب القرآن ومعاني القرآن) وهي رسالة ماجستير أعدها الباحث: إبراهيم المحيميد لكلية اللغة العربية قسم النحو والصرف وفقة اللغة.
- § ترجيحات أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة المائدة للباحث/زيد بن علي مهارش،وهي رسالة دكتوراة مقدمة إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى.
- § الشفاعة عند المثبتين والنافين –دراسة مقارنة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة- د.عفاف بنت حمد الونيس وهي رسالة دكتوراة مقدمة لكلية التربية بجامعة الملك سعود ط.دار التوحيد-الأولى -١٤٢٩هـ.

§ الكتب الأخرى:-

§ أبجد العلوم لصديق حسن، ط: دار الكتب العلمية - بيروت – ١٣٩٨هـ، تحقيق: عبد الجبار زكار.

§ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ.

§ أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله د.علي السالوس-الطبعة الثانية-١٤٠٢هـ بدون ذكر الدار.

§ الآحاد والمثاني، لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني. ت: د.باسم فيصل أحمد الجوابرة ط: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

§ أحكام القرآن للجصاص، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥ ت: محمد قمحاوي.

§ الأحكام الكبرى لعبدالحق الإشبيلي، ط.مكتبة الرشد-الرياض-ط١، ١٤٢٢هـ.

§ أحكام أهل الذمة لابن القيم، ت: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، ط. رمادى للنشر - دار ابن حزم - الدمام – بيروت -الطبعة الأولى، ١٤١٨ .

§ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ط. المكتب الإسلامي ببيروت-١٤٠٢هـ، ت:الشيخ عبدالرزاق عفيفي.

§ الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد د.سعود العريفي، ط.عالم الفوائد-الرياض-السعودية-الطبعة الأولى-١٤١٩هـ.

§ الإذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة للقنوجي، ط.دار ابن حزم-الأولى١٤٢١هـ، ت:بسام الجابي.

§ الأذكار للنووي ، ط. دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ.

§ إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري.

§ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ط. دار ابن الجوزي.

§ إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان لمرعي الكرمي، ت:مشهور سلمان-ط.دار عمار-الأردن-الطبعة الأولى-١٤٠٨هـ.

§ الاستطاعة بين أهل السنة ومخالفيهم أ.د.يوسف بن محمد السعيد: بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (العدد الثالث والخمسون-محرم ١٤٢٧هـ).

§ الأسماء والصفات للبيهقي، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، الناشر: مكتبة السوادي – جدة، الطبعة: الأولى.

§ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للقرطبي، ت:عرفان الدمشقي، ط. المكتبة الحضرية١٤٢٧هـ..

§ الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي، ت:حسين شكري ط.دار المنهاج-الثالثة-١٤٢٦هـ.

§ اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي، ت:د. عبدالحسين مبارك، ط. مؤسسة الرسالة-الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

§ أشراط الساعة د.عبدالله الغفيلي، ط.وزارة الشؤون الاسلامية١٤٢١هـ.

§ أشراط الساعة ليوسف الوابل، ط.دار ابن الجوزي-الطبعة الحادية والعشرون - ١٤٢٥هـ.

§ أصول الدين لأبي منصور للبغدادي، ط.دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٤٠٠هـ.

§ أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد السرخسي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت.

§ أصول السنة لابن أبي زمنين ،ت:عبدالله البخاري،ط.مكتبة الغرباء-المدينة النبوية-الطبعة الأولى-١٤١٥هـ.

§ أضواء البيان للشنقيطي، ط. عالم الفوائد - الأولى١٤٢٦هـ.

§ اعتقاد أئمة الحديث، تأليف: أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، دار النشر: دار العاصمة - الرياض - ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس.

§ الاعتقاد للبيهقي، ت:فريح البهلال، ط.رئاسة البحوث العلمية بالسعودية-الأولى-١٤١٨هـ.

- § إعجاز القرآن للباقلاني، ت:السيد أحمد صقر-ط.دار المعارف-مصر-الطبعة الثالثة.
- § إعراب القرآن للنحاس تحقيق زهير زاهد، ط. عالم الكتب-الأولى١٤٢٦ هـ .
- § إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي-ت:عبدالحميد منير-ط.مكتبة دار الوفاء-جدة-السعودية-الأولى بدون تاريخ.
- § الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي، ت:أحمد عطية الغامدي، ط.مكتبة العلوم والحكم-المدينة النبوية-الأولى-١٤١٤هـ
- § أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر"للدكتور:عبدالله بن سليمان الغفيلي، ضمن مجلة البحوث الإسلامية.
- § الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تأليف: سليمان بن موسى الأندلسي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد كمال الدين علي.
- § الإمام أبو جعفر ابن النحاس وأثره في الحديث وعلومه ت:علي بن محمد العمران، ط. عالم الفوائد١٤٢٩ هـ
- § الإمامة والنص لفيصل نور ط.دار الصديق-صنعاء-الطبعة الأولى١٤٢٥هـ.
- § أمل الآمل. تحقيق: أحمد الحسيني، نشر دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران.
- § إنباه الرواة على أنباه النحاة لعلي بن يوسف القفطي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار الكتب العلمية–الأولى ١٣٦٩هـ.
- § الانتصارات الإسلامية في كشف الشبه النصرانية لسليمان بن عبدالقوي الطوفي ت:د.سالم القرني-ط.مكتبة العبيكان-الطبعة الأولى-١٤١٩هـ.
- § إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن إبراهيم القاسمي ط . دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٧ .
- § الإيمان بالقضاء والقدر د.محمد الحمد، ط.دار ابن خزيمة-الثانية-١٤٢٨هـ.
- § الإيمان لابن تيمية، بتحقيق الشيخ /محمد بن ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي ببيروت-١٤٠٨هـ.

§ البحر المحيط لأبي حيان، ط.دار الكتب العلمية ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض -الأولى -١٤٢٢هـ.
§ البحور الزاخرة في علوم الآخرة للسفاريني،ت:محمد شومان،ط.دار غراس -الكويت -الطبعة الأولى -١٤٢٨هـ.
§ بدائع الفوائد لابن القيم، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد ، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - ١٤١٦ الطبعة: الأولى.
§ البداية والنهاية لابن كثير، ط. مكتبة المعارف ببيروت -الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.
§ البدور السافرة في أمور الآخرة للسيوطي، ط.مؤسسة الكتب الثقافية -الأولى -١٤١١هـ.
§ البرهان في تفسير القرآن، لهاشم بن سليمان الحسيني البحراني، المطبعة العلمية، قم، إيران، ط ١٣٩٣هـ.
§ البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت:د.يوسف المرعشي وآخرين ط.دار المعرفة ببيروت ١٤١٠ -الأولى.
§ البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط. دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
§ بطلان عقائد الشيعة، محمد عبدالستار التونسوي ، دار النشر الإسلامية -فيصل آباد -باكستان.
§ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط. عيسى الحلبي - الأولى١٣٨٧هـ .
§ بيان إعجاز القرآن للخطابي طبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط.دار المعارف -القاهرة -الطبعة الرابعة.
§ بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ،اعتنى به مجموعة من المحققين ط.مجمع الملك فهد ١٤٢٦هـ.
§ بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط.مطبعة الحكومة -مكة المكرمة -الطبعة الأولى -١٣٩٣هـ،ت:محمد بن عبدالرحمن بن قاسم.

§ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي د. حسن بن إبراهيم، ط:مكتبة النهضة المصرية، السابعة١٣٨٥هـ.

§ تاريخ الطبري. ت: أبو الفضل إبراهيم ط. ١٣٨٧هـ.

§ تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لأبي الوليد الأزدي المعروف بابن الفرضي، عزت الحسيني، ط. مكتبة الخانجي-الطبعة الثانية١٤٠٨هـ.

§ تاريخ اللغة العربية في مصر د. أحمد مختار عمر، ط. ١٣٩٠هـ.

§ تأويل مختلف الحديث، تأليف: عبدالله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، ط: دار الجيل - بيروت - ١٣٩٣، تحقيق: محمد زهري النجار.

§ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ت:أحمد صقر-ط.دار التراث-القاهرة - الطبعة الثانية١٣٩٣هـ.

§ التبرك أنواعه وأحكامه د.ناصر الجديع، ط.مكتبة الرشد،الرياض،الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

§ التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تأليف: علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية / الرياض - ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د.عوض القرني، د. أحمد السراح.

§ التحفة العراقية في الأعمال القلبية لشيخ الإسلام ابن تيمية، رسالة في تحقيق التوكل لشيخ الإسلام ابن تيمية، ضمن جامع الرسائل.

§ التذكرة للقرطبي، ت:أحمد حجازي-ط.دار الجيل-لبنان-١٤٠٦هـ.

§ التصريح بما تواتر من نزول المسيح للكشميري، ط.مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب-الخامسة-١٤١٢هـ ت: أبو غدة.

§ تعظيم قدر الصلاة للمروزي ،ت:د.عبدالرحمن الفريوائي،ط.مكتبة الدار-المدينة النبوية-ط.الأولى-١٤٠٦هـ.

§ تفسير ابن أبي حاتم ت:أسعد الطيب،مكتبة نزار الباز-مكة المكرمة-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ.

§ تفسير أسماء الله الحسنى لأبي إسحاق الزجاج، ت:أحمد الدقاق ط. دار المأمون

للتراث - دمشق - الطبعة الثانية١٣٩٩هـ.

§ تفسير البغوي ت:محمد النمر وآخرون ط.دار طيبة الرياض السعودية - الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ

§ تفسير السعدي، ت:عبد الرحمن اللويحق ط. الرسالة - الأولى - ١٤٢٠هـ.

§ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ت: سامي السلامة ط: دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ .

§ التفسير للرازي، ط.دارالكتب العلمية ببيروت - الأولى - ١٤٢١هـ.

§ تقريب التدمرية للشيخ العثيمين، ط. مكتبة السنة بمصر ١٤١٣هـ.

§ التكفير وضوابطه د.إبراهيم الرحيلي، ط.دار الإمام البخاري - قطر - الأولى - ١٤٢٦هـ.

§ تلخيص كتاب الاستغاثة، ت:محمد عجال ط.الغرباء الأثرية - الأولى - ١٤١٧هـ.

§ التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب، تحقيق أبي عمشة - دار إحياء التراث بمكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦.

§ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبدالبر ، ت:مصطفى العلوي ومحمد البكري، ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب – ١٣٨٧.

§ تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني، ت: مشهور بن حسن سلمان، ط١، ١٤١٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.

§ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني،ط.دار الفكر - بيروت –لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ

§ تهذيب اللغة للأزهري ، ط: دار إحياء التراث العربي ١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

§ التوحيد للحافظ ابن منده، ط.مكتبة العلوم والحكم.ت:د.علي الفقيهي - الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

§ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٦،

الطبعة: الثالثة، تحقيق: زهير الشاويش.

§ توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي الكرمي الحنبلي ،ت:خليل السبيعي،ط.دار ابن حزم-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ.

§ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط. الصميعي ١٤٢٨هـ ت:أسامة العتيبي.

§ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط. المعارف –الرياض (١٤٠٠هـ).

§ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير،ت:عبدالقادر الأرناؤوط،ط.مكتبة الحلواني وغيرها،الطبعة الأولى-١٣٨٩هـ.

§ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، ت:أحمد شاكر، ط. الرسالة ١٤٢٠هـ

§ جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ط.دار العطاء –الرياض-السعودية-الطبعة الأولى-١٤٢٢هـ ت:د.محمد رشاد سالم.

§ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي ، ط. دار المعرفة - بيروت -الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

§ جامع المسائل، المجموعة الثالثة، ت: محمد عزيز شمس، ط:عالم الفوائد-الثانية ١٤٢٧ هـ

§ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ت:هشام سمير بخاري، ط. دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ.

§ جلاء الأفهام، ت: مشهور آل سلمان، ط:ابن الجوزي الثالثة١٤٢٠هـ.

§ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي،ط.مطبعة المدني-١٤٠١هـ.

§ جمع جهود الحفاظ النقلة بتواتر روايات زيادة العمر بالبر والصلة، جمع:لطفي الصغير-ط.أضواء السلف-الأولى-١٤١٨هـ

§ جمهرة اللغةلابن دريد، ط: دار العلم للملايين - بيروت – ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.

§ جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة د.عبدالله البخاري-ط.دار ابن عفان-

القاهرة-الطبعة الأولى-١٤٢٠هـ.

§ الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم للشيخ/ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ط.الحكومة-مكة المكرمة-١٣٦٩هـ.

§ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية،ت:قاسم النوري وعلي الشربجي،ط.الرسالة-الطبعة الثالثة-١٤٢٤هـ.

§ حجة القراءات لابن زنجلة،ت:سعيد الأفغاني،ط.الرسالة –بيروت-الطبعة الثانية-١٤٠٢هـ.

§ الحجة في بيان المحجة لقوام السنة، تحقيق محمد المدخلي ط. دار الراية، سنة النشر ١٤١٩هـ / الرياض.

§ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دار إحياء الكتب العربية –الأولى١٣٨٧هـ.

§ حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة المقدسي تحقيق:عبدالله الجديع، مكتبة الرشد-الرياض-الأولى-١٤٠٩هـ.

§ الخصائص الكبرى للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ.

§ الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها د.غالب بن علي عواجي، ط.مكتبة السنة –مصر-الطبعة الأولى-١٤١٨هـ.

§ الخوارج دراسة عقدية، لناصر بن عبدالله السعوي-ط.دار المعراج -الرياض-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ.

§ الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة د.عامر النجار-ط.عالم الكتب-الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ.

§ الخوارج، د.ناصر بن عبدالكريم العقل ط.دار القاسم-الطبعة الثانية-١٤١٧هـ.

§ الدابة دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة جمع: أد.محمد بن عبدالعزيز العلي، ط.دار طيبة-الأولى-١٤٢٩هـ.

§ دراسة العقائد النصرانية لمحمد اللافي ط.المعهد العالمي للفكر الإسلامي-الطبعة الأولى-١٤٢٨هـ.

§ الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم،ت:د.أحمد الحمد،ط.مكتبة التراث-الطبعة الأولى-١٤٠٨هـ.

§ الدعاء للطبراني ، ط. دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٨هـ ت:سامي أنور.

§ دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام، د.عبدالله بن صالح الغصن، ط.دار ابن الجوزي-الأولى-١٤٢٤هـ.

§ دعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس، ط. دار الكتب العلمية.

§ دلائل التوحيد للقاسمي، ط.دار النفائس-الأولى-١٤١٢هـ.

§ دلائل النبوة للبيهقي ط. دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

§ الدولة العباسية لمحمد بك"، ط. المكتبة التجارية بمصر ١٣٩٠هـ .

§ رد الإمام الدارمي على بشر المريسي،ت:د.رشيد الألمعي،ط.مكتبة الرشد-الرياض-الطبعة الأولى-١٤١٨هـ.

§ الرد على الجهمية لابن منده، ت:علي الفقيهي ط.مكتبة الغرباء الأثرية-المدينة النبوية-الطبعة الثالثة-١٤١٤هـ..

§ الرد على الجهمية للدارمي، ت:بدر البدر، ط. الدار السلفية –الكويت-الطبعة الأولى-١٤٠٥هـ.

§ الرد على المنطقيين، ط. دار المعرفة-بيروت.

§ الرد على من قال بفناء النار لشيخ الإسلام، تحقيق:أ.د.محمد السمهري،ط.بلنسية-الراض-الطبعة الأولى-١٤١٥هـ.

§ الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة د.عبدالإله الأحمدي،ط.دار طيبة-الرياض-الطبعة الأولى -١٤١٢هـ.

§ الرسالة التبوكية، ت: د. محمد جميل غازي، طبعة المدني، جدة.

§ رسالة المحو والإثبات في المقادير د.عيسى بن عبدالله السعدي، ط.دار ابن الجوزي-السعودية-الطبعة الأولى-١٤٢٧هـ.

§ رسالة إلى أهل الثغر، تأليف: علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - لبنان - ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد

الله شاكر المصري.

§ رسالة إلى أهل الثغر، ط. مكتبة العلوم والحكم - دمشق الطبعة الأولى، ١٩٨٨ت: عبدالله الجنيدي.

§ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني، ت:الشيخ الألباني ط.المكتب الإسلامي -الأولى١٤٠٥هـ.

§ روح المعاني، ت. محمود الألوسي أبو الفضل ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

§ الروح لابن القيم، ت:يوسف بديوي، ط. ابن كثير الخامسة١٤٢٢هـ .

§ زاد المسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.

§ الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

§ الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، ط.المكتبة العصرية-لبنان١٤٢٠هـ.

§ زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه د.عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط.كنوز اشبيليا-الرياض-السعودية.

§ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. مكتبة المعارف - الرياض - السعودية-الطبعة الرابعة-١٤٠٨هـ.

§ السنة لابن أبي عاصم ، ت:محمد ناصر الدين الألباني،ط. المكتب الإسلامي – بيروت-الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠هـ.

§ السنة لأحمد الخلال ،ت:د.عطية الزهراني،ط.دار الراية-الرياض-الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

§ السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ،ت:د.محمد بن سعيد القحطاني ،ط.دار ابن القيم-الدمام-الطبعة الأولى-١٤٠٦هـ.

§ سنن ابن ماجه القزويني،ط.دار الفكر –بيرت ،ت:الشيخ/محمد فؤاد عبدالباقي.

§ سنن أبي داود السجستاني-ط.دار الكتاب العربي-بيرت – لبنان.

§ سنن البيهقي الكبرى، ط: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ -، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

§ سنن الترمذي ط.دار إحياء التراث العربي-بيروت،ت:الشيخ أحمد شاكر وآخرون.

§ سنن الدارمي،ت:فواز زمرلي وخالد السبع،ط.دار الكتاب العربي-بيروت-الطبعة الأولى-١٤٠٧هـ.

§ سنن النسائي ط.مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب،ت:عبد الفتاح أبو غدة-الطبعة الثانية-١٤٠٦هـ

§ السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطهالأبي عمرو الداني ت:د.رضا المباركفوري،ط.دار العاصمة-الرياض-الطبعةالأولى-١٤١٦هـ.

§ سير أعلام النبلاء للذهبي، ت:مجموعة من العلماء ط. الرسالة١٤٠٩هـ .

§ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تأليف: علي بن برهان الدين الحلبي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٠ هـ.

§ شأن الدعاء لأبي سليمان الخطابي، ت:أحمد الدقاق، ط. دار الثقافة العربية –دمشق-الطبعة الثالثة١٤١٢هـ.

§ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبليط.دار الكتب العلمية.

§ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ت:د.أحمد سعد الغامدي ط.دار طيبة-الرياض-السعودية-الطبعة الثالثة-١٤١٥هـ.

§ شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار،ت:د.عبدالكريم عثمان،ط.مكتبة وهبة-القاهرة-الطبعة الثالثة-١٤١٦هـ.

§ شرح السنة للبغوي، ت: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، ط. المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - الطبعة: الثانية.

§ شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ت:سعد الصميل، ط. دار ابن الجوزي-الرابعة١٤١٧هـ.

§ شرح القصيدة النونية للشيخ:محمد خليل هراس، ط. دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الثالثة١٤٢٤هـ.

§ شرح المعلقات العشر لأبي عبدالله الزوزني"ط. دار مكتبة الحياة-بيروت – لبنان(١٤٠٣هـ).

§ شرح أمالي القالي، لعبد الله بن عبد العزيز البكري، ت: عبد العزيز الميمني. ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧هـ-الأولى.

§ شرح صحيح مسلم للنووي، **ط.** دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

§ شرح نهج البلاغة، ت:محمدالنمري، ط.دار الكتب العلمية-لبنان-١٤١٨هـ.

§ الشرح والإبانة على أصول الديانة لابن بطة،ت:رضا نعسان معطي،ط.المكتبة الفيصلية-مكة المكرمة.

§ الشريعة للآجري،ت:د.عبدالله عمر الدميجي،ط.دار الوطن-الرياض-الطبعة الأولى-١٤١٨هـ.

§ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، ط. العبيكان – الرياض١٤٢٠هـ ت:عمر الحفيان.

§ الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها د.ناصر بن عبدالرحمن الجديع ط.دار أطلس-الأولى-١٤١٧هـ.

§ الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ط.دار الأرقم-الكويت –الثانية-١٤٠٣هـ.

§ الشيعة وإمامة علي أ.د.عامر النجار-ط.دار المنار –القاهرة-الأولى-١٤١٤هـ.

§ الشيعة وتحريف القرآن لمحمد مال الله –الطبعة الثالثة -١٤٠٩هـ.

§ صحيح ابن حبان بترتيب بن بلبان،ت:شعيب الأرنؤوط، ط.الرسالة- الطبعة الثانية-١٤١٤هـ.

§ صحيح ابن خزيمة، ت:محمد الأعظمي، ط.المكتب الإسلامي-بيروت- لبنان-الطبعة الثالثة-١٤٠٨هـ.

§ صحيح البخاري ط.دار السلام –الرياض- السعودية،الطبعة الثانية١٤٢١هـ.

§ صحيح مسلم ط.دار السلام –الرياض- السعودية،الطبعة الثانية١٤٢١هـ.

§ صريح السنة لابن جرير الطبري،ت:بدر المعتوق،ط.دار الخلفاء-الطبعة الأولى-١٤٠٥هـ.

§ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، د.محمد بن أمان الجامي ط.مكتبة الفرقان-الثالثة-١٤٢٣هـ.

§ صناعة الكتاب لأبي جعفر النحاس ط. بتحقيق:د. بدر أحمد ضيف، بدار العلوم العربية ببيروت-سنة١٤١٠هـ .

§ طبقات الحنابلة لأبي يعلى،ت:محمد حامد الفقي،ط.دار المعرفة-بيروت لبنان.

§ طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنروي، "ت: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة-الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

§ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، ت:محمد أبو الفضل إبراهيم ط. دارالمعارف بمصر١٣٩٢هـ.

§ عالم الملائكة الأبرار أ. د. عمر الأشقر ط. دار النفائس.

§ عبدالله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب لعلي السلمان-ط.دار الأمل –القاهرة بدون تاريخ.

§ العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: علي بن حسن، ط. دار المغني الرابعة١٤٢٥هـ.

§ العصر العباسي الثاني د. شوقي ضيف، ط. المعارف –مصر-الطبعة الثانية.

§ عصمة الأئمة عند الشيعة أنور الباز-دار الوفاء، الأولى-١٤١٤هـ.

§ عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أ.د يوسف بن محمد السعيد(طبع ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

§ عقيدة الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية د.علي السالوس –ط.دار الاعتصام-القاهرة-الأولى-١٤٠٧هـ.

§ العلل المتناهية لابن الجوزي، ط.دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى-١٤٠٣هـ

§ العلل المتناهية، ط.دار الكتب العلمية-بيروت-الأولى-١٤٠٣هـ.

§ الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت:حسنين مخلوف.ط.دار المعرفة – بيروت-الأولى-١٣٨٦هـ .

§ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني بتعليق الشيخ عبدالعزيز

بن بازط. السلفية-القاهرة-١٣٨٠هـ.

§ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ت:طارق عوض الله،ط.دار ابن الجوزي-السعودية-١٤٢٢هـ.

§ فتح القدير للشوكاني، ط. دار الفكر – بيروت-لبنان.

§ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ط: مكتبة الخانجي – القاهرة.

§ الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها لعلي القرني، ط. دار المسلم١٤٢٤هـ.

§ الفقيه و المتفقه، تأليف: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي.

§ فلسفة القدر في فكر المعتزلة د.سميح دغيم، ط.دار الفكر اللبناني-بيروت-١٤١٢هـ.

§ فهم القرآن ومعانيه، تأليف: الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكندي ، دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: حسين القوتلي.

§ الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة لليازجي، ت:أ.ديوسف بن محمد السعيد، ط.أطلس الخضراء،الرياض، السعودية،الأولى،١٤٢٤هـ.

§ القاموس المحيط للفيروزآبادي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

§ القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم –دراسة عقدية-لمحمد هشام طاهري، ط.دار التوحيد-الرياض-الطبعة الأولى-١٤٢٦هـ.

§ القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ط.دار الكتب العلمية،ت:أحمد المزيدي.

§ القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة للسخاوي، ت:د.محمد العقيل، ط.أضواء السلف١٤٢٢هـ-الأولى.

§ قواطع الأدلة في الأصول، تأليف: أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد حسن الشافعي.

§ القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف د.إبراهيم بن محمد البريكان، ط.دار الهجرة-الأولى-١٤١٤هـ.

§ القول السديد شرح كتاب التوحيد، ط.دار الوطن-١٤١٢هـ.

§ القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ت: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح ط:دار ابن الجوزي ١٤١٨هـ.
§ القيامة الصغرى أد.عمر الأشقر،ط.دار النفائس –الثالثة عشر-١٤٢٣هـ.
§ الكافية الشافية بشرح ابن عيسى توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ط : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ تحقيق : زهير الشاويش.
§ الكامل في الضعفاء لابن عدي .ط.دار الفكر-١٤٠٤هـ.
§ كتاب العين، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي.
§ الكشاف ط. إحياء التراث العربي – بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.
§ الكشاف للزمخشري، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
§ كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار د.علي الحربي اليماني ط.طيبة-مكة-الأولى.
§ الكفر الأكبر د.عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين بحث منشور بجامعة أم القرى –العدد ٢٢.
§ لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث:ليوسف بن أحمد البحراني، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط الثانية ١٤٠٦هـ.
§ اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -الطبعة: الأولى.
§ لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
§ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني ط.المكتب الإسلامي –بيروت-الطبعة الثالثة-١٤١١هـ.
§ مباحث المفاضلة في العقيدة د. محمد الشظيفي ط. دار ابن القيم ١٤٢٣هـ .
§ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي،ط.دار الفكر-بيروت –لبنان١٤١٢هـ.
§ مجموع فتاوى شيخ الإسم ابن تيمية،جمع الشيخ:عبدالرحمن بن محمد بن قاسم

وابنه -طبع مجمع الملك فهد -السعودية - ١٤٢٤هـ.

§ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ /محمد بن عثيمين ط.دار الثريا -الرياض - السعودية،بعناية /فهد بن ناصر السليمان.

§ المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، لبنان، ط.الأولى- ١٤١٣هـ.

§ مختار الصحاح للرازي ، ط: مكتبة لبنان ناشرون ١٤١٥، الطبعة: ت: محمود خاطر.

§ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره ابن الموصلي ت٧٧٤هـ، ط. أضواء السلف –الطبعة الأولى-١٤٢٥هـ، ت:د. الحسن العلوي

§ المخصص ـ لابن سيده، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ الطبعة: الأولى تحقيق: خليل إبراهم جفال.

§ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ط. دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ تحقيق: فؤاد علي منصور.

§ مسائل أصول الدين المبحوثة في علم أصول الفقه عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة د.خالد بن عبد اللطيف محمد نور، ط.عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية-الأولى-١٤٢٦هـ،

§ المستدرك على الصحيحين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

§ مسند الإمام أحمد بن حنبل ط.مؤسسة الرسالة ،الطبعة الثانية-١٤٢٠هـ بإشراف: د. عبدالله التركي

§ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي،ط.دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان.

§ مصنف عبدالرزاق، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

§ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول للشيخ حافظ الحكمي ،ت:عمر محمود ،ط.دار ابن القيم-الدمام-الطبعة الأولى-١٤١٠هـ.

§ معالم السنن للخطابي، ط.الكتب العلمية-بيروت-لبنان-الطبعة الأولى١٤١١هـ.

§ معاني القرآن لأبي جعفر النحاس ،ت:محمد علي الصابوني،نشر مركز إحياء التراث بمكة المكرمة-الطبعة الأولى-١٤٠٩هـ.

§ معاني القرآن للفراء، ط.عالم الكتب-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية-١٤٠٠هـ.

§ معترك الأقران للسيوطي، ت:علي البجاوي ط.دار الثقافة العربية-القاهرة-١٣٨٩هـ.

§ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى د.محمد خليفة التميمي ط.دار إيلاف الدولية-الكويت-الطبعة الأولى-١٤١٧هـ.

§ معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين د. محمد بن عبدالوهاب العقيل ط. دار أضواء السلف ١٤٢٣هـ الأولى.

§ المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى الفراء،ط.دار المشرق –بيرت-لبنان-ت:د.وديع حداد

§ معجم الأدباء، ط. دار إحياء التراث –ببيروت-لبنان .

§ المعجم الوسيط لجمع من المؤلفين، ط: دار الدعوة تحقيق: مجمع اللغة العربية.

§ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ط: دار الجيل ١٤٢٠هـ الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

§ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ،ت:ريتر،ط.دار إحياء التراث –الطبعة الثالثة.

§ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،ت:محمد محي الدين عبدالحميد،ط.المكتبة العصرية-بيروت-١٤١١هـ.

§ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي، ط. مكتبة الجندي-مصر١٣٨٧هـ.

§ مناقب الإمام الشافعي للبيهقي، تحقيق: أحمد صقر، نشر: مكتبة دار التراث، طبع: دار النصر طبعة أولى ١٣٩١هـ.

§ مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري للباحث:محمد الشيخ عليو ، ط. المنهاج-الطبعة الأولى- ١٤٢٧هـ.

§ منهج الإمام الشوكاني في العقيدة د.عبدالله نومسوك، ط.مكتبة دار القلم-الأولى-١٤١٤هـ.

§ منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى د.عبدالراضي محمد عبدالمحسن-ط.دار الفاروق-مصر-القاهرة-الطبعة الثانية١٤١٥هـ.

§ الموطأ، للإمام مالك، ط. دار إحياء التراث العربي – مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

§ موقف الرافضة من القرآن الكريم لمامادو كارامبيري-ط.مكتبة ابن تيمية.

§ موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله د.سارة بنت حامد العبادي-ط.مكتبة الرشد-الأولى-١٤٢٦هـ.

§ الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ت:د. سليمان اللاحم ط. الرسالة١٤١٢هـ .

§ النبذة الكافية في أحكام أصول الدين لابن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز.

§ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغر بردي، ط. وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر١٣٨٣هـ.

§ نزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات الأنباري،ت:إبراهيم السامرائي ط. مكتبة الأندلس ببغداد-الثانية ١٣٩٠هـ.

§ نزول القرآن الكريم د.عبدالودود بن مقبول حنيف، والبحثان طبعا ضمن ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

§ نزول القرآن والعناية به في عهد الرسول r د.محمد عمر حوية.

§ النصارى في القرآن والتفاسير لمجموعة باحثين-المعهد الملكي للدراسات الدينية.

§ نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تأليف: محمد بن جعفر الكتاني أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب السلفية - مصر، تحقيق: شرف حجازي.

§ النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، ط.دار الكتب العلمية-الثانية-١٤٠٨هـ ت:عبده الشافعي.

§ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ت:عبدالسلام علوش، ط.الرشد-

السعودية -الأولى -١٤٢٢هـ.

- § النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد النجدي، ط. مكتبة الذهبي - الكويت -الطبعة السابعة١٤٢٦هـ.
- § الوافي بالوفيات. تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى .
- § وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، ت:إحسان عباس ط. دار صادر - الأولى١٣٩١هـ.

فهرس الموضوعات